تاريخ العالم القديم

ليوحنا النيقيوسى

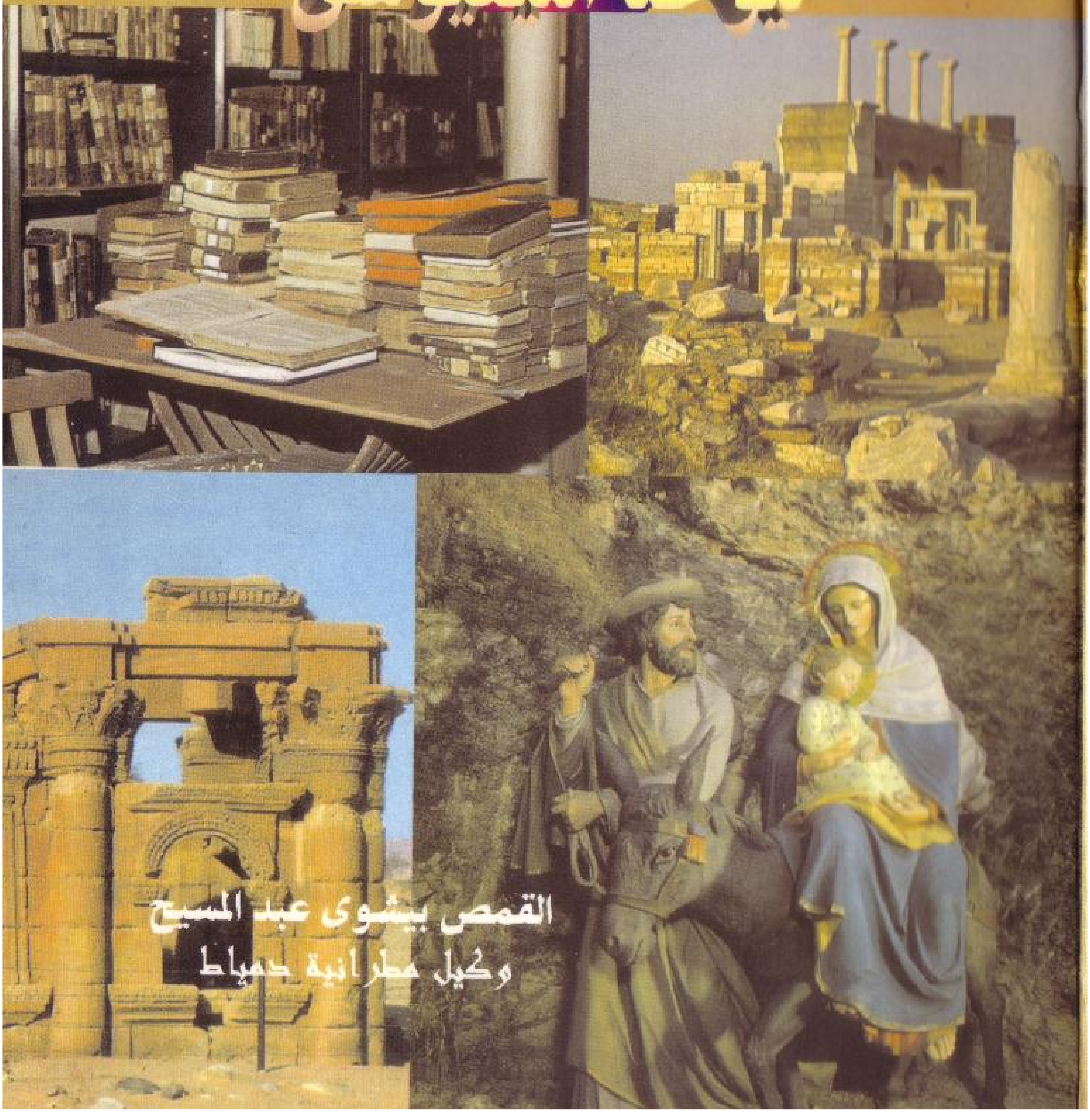

القمص بيشوى عبد المسيح
وكيل مطرانية دمياط

تاريخ العالم القديم

ودخول العرب مصر

القمص بيشوى عبد المسيح

حضرة صاحب القداسة البابا المعظم

الأنبا شنودة الثالث

بطريرك الكرازة المرقسية ١١٧

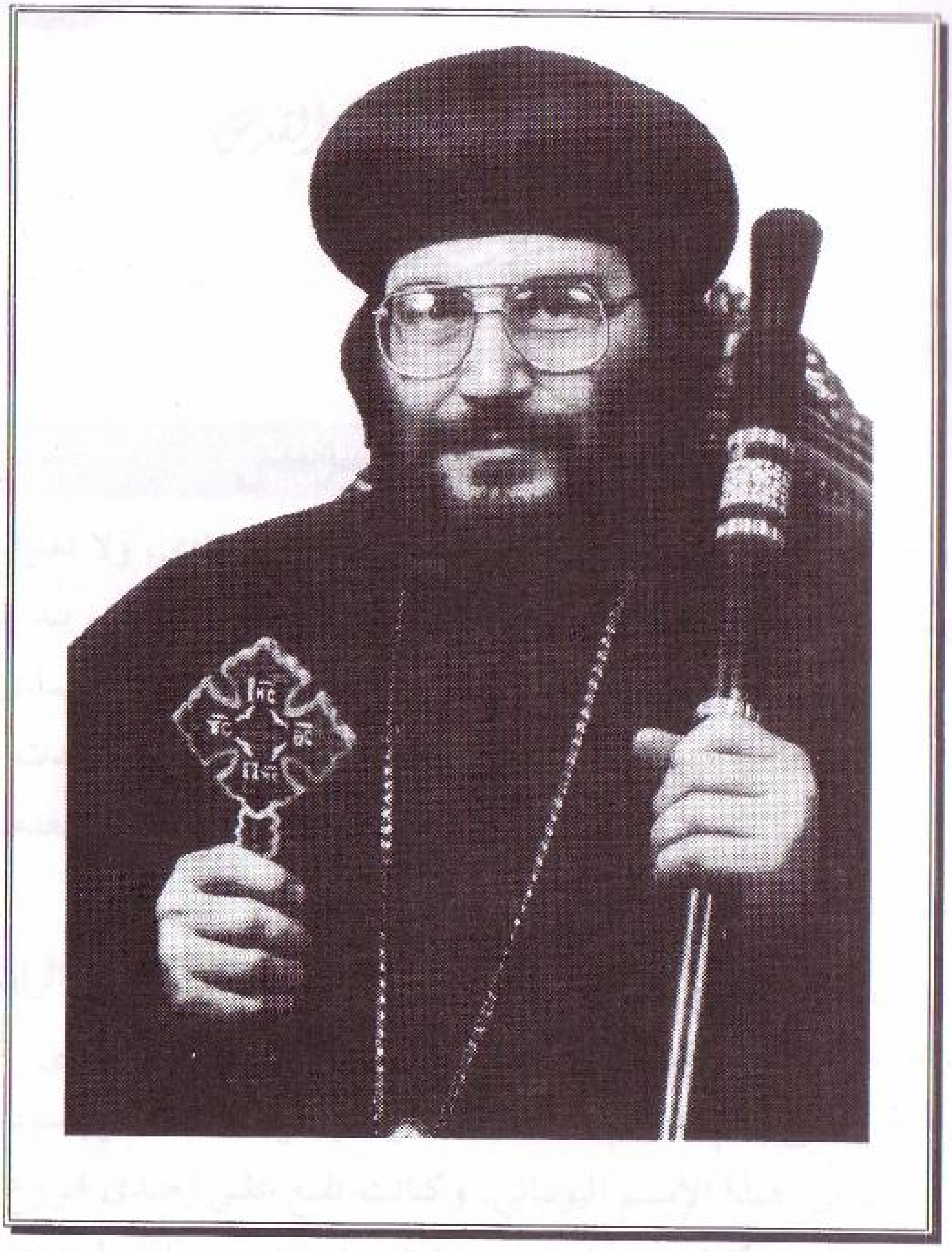

حضرة صاحب النيافة

الأنبا بيشوى

مطران كرسى دمياط وكفر الشيخ وبرارى بلقاس
ودير القديسة دميانة

بسم الآب والابن والروح القدس
إله واحد آمين

مقدمة

القديس يوحنا النيقيوسى

نشأ يوحنا فى مدينة نيقيوس فى بداية القرن السابع الميلادى، ولا نعرف عنه الكثير، ولو أنه يعتبر ضمن مشاهير الأباء العظام، الذين سطت عليهم يد الدهر، فلم يتبق من تاريخهم، وسيرتهم إلا القليل. هذا الأب، يوحنا النيقيوسى الذى كان ضمن الشخصيات الذين تمسكوا بقوميتهم، واعتزوا بمصريتهم، لكن فقدت معظم أعماله وكتبه، ولم يتبق سوى هذا الكتاب، الذى لأول مرة يترجم له، بعدما فقد نصه القبطى، والعربى كليهما .....!

ونرجع إلى مدينة نيقيوس مسقط رأسه، والتى كانت عاصمة الإقليم الرابع فى مصر الفرعونية، وتسمت (نيت رسى) أى (نيقيوس) وتغير إسمها إلى ابشاتى. غير أن إسمها تغير أخيراً على إسم الحاكم الذى إكتشفها. وقيل أن الملك بروسوبس هو الذى غير إسمها إلى هذا الإسم اليونانى. وكانت تقع على إحدى فروع النيل الأساسية، مما جعلها مركزاً هاماً تجارياً، وميناءاً شهيراً، فإشتهرت المدينة بغناها، كما بكثرة معابدها ...وقد صارت بعد إنتشار المسيحية إيبارشية كبرى.

وقيل فى التقليد أن نيقيوس قديمة العهد، وذكر أن العائلة المقدسة مرت بهذه البلدة، وبقيت فيها نحو سبعة أيام، أثناء عبورهم بمنطقة الدلتا.

كما يذكر التاريخ المسيحى أن هذه المدينة كانت مسقط رأس والدى القديس مينا الشهيد. ولا غرابة ! فقد نشأ فى هذه المدينة العديد من الشهداء القديسين ...

فنسمع فى هذا القرن عن الأنبا صرابامون الأسقف والشهيد، والقديس ماكروبيوس والأسقف ثيؤدوسيوس فى القرن الرابع، والأسقف بيوشامون فى القرن الخامس ثم الأسقف مكاريوس والأب الأسقف باسيليوس...

وسيم أخيراً صاحب هذه الترجمة المؤرخ يوحنا أسقفاً على هذه المدينة.

فى مدينة عظيمة كهذه، توفرت فيها كل مقومات الحضارة والثروة، والروحانية، نشأ قديسنا هذا العالم والأسقف والمؤرخ.

ونهل من نبع لم يجف من الحكمة والإيمان والروحانية، وترعرع فى محبة ربنا يسوع فنراه بعد ذلك بقليل، زهد العالم، حيث مضى وترهب فى حداثته بدير القديس مكاريوس ببرية شهيت.

يوحنا الراهب والمشير:

مضى إلى برية شيهيت، حيث بدأ حياته الرهبانية بدير القديس مقاريوس الكبير، ولم يمض الوقت الطويل حتى نما وتعمق فى حياة الفضيلة. وكان فى رهبانيته يتميز بالقداسة والعمق الروحى وحسن التدبير.

ولما رأى البابا أغاثون (٣٩) (٦٦١- ٦٧٧م) هذه الصفات فيه، إستدعاه من الدير ليستعين به فى الخدمة، وعينه سكرتيراً خاصاً له، فأخلص فى خدمته، وكان له نعم المشير.

ولما إنتقل هذا البابا إلى الفردوس، خلفه البابا يوأنس الثالث سنة ٦٧٣م، الذى إستبقى يوحنا النيقيوسى فى خدمته أيضا. ولما تنيح هذا البابا وخلفه الأنبا اسحق البطريرك (٤١) (٦٨٦- ٦٨٩م) لازمه يوحنا أيضا فى كل أعماله، فكان البابا يثق فيه، وكان يرافقه فى مقابلاته لأمير البلاد.

وعاش هذا الأب طويلا، حتى أيام البابا سيمون البطريرك (٤٢) (٦٨٩-٧٠١م) الذى رأى فى يوحنا نقاء الضمير، وشفافية الروح، وعمق الحكمة، وكثرة الأمانة، والتضحية والبذل فى الخدمة، فأراد أن يستفيد من خبراته الكثيرة، فسامه أسقفاً على مدينة نيقيوس.

الأنبا يوحنا الأسقف والمدبر:

لما رأى البابا سيمون كثرة مشاكل الرهبان، والأديرة آنذاك، سلم يوحنا النيقيوسى مقاليد الأديرة، لما رأى فيه من طول الخبرة فى الحياة الرهبانية، وكان خبيراً بتقاليدها وقوانينها حتى عرف (بالمدبر)، وأعطاه سلطاناً على الرهبان، وكان يشجع تعمير القلالى ويحث الأراخنة أن يقوموا بأحوالها.

ثم رقى رئيساً لأساقفة الوجه البحرى، فجمع حوله العديد من المشيرين الأمناء، وقاد أسقفيته بروح النعمة، حتى دفع كثيرين إلى الإيمان المستقيم، ولو أننا لا نعرف الكثير عن خدمته، وكرازته وعظاته، وتعاليمه!

وتذكر مدام بوتشر فى كتابها تاريخ الأمة القبطية: أن هذا الأسقف المصلح فى وظيفته، ظل مدة من الزمان كمصلح لكثير من العوائد البالية، وكمفتش للأديرة، لكن من المعروف أنه قاسى فى سبيل هذا العمل، المتاعب والمشاق الكثيرة، بسبب أمانته وغيرته على الحق، وإخلاصه.

غير أنه لا تخلو حياته الإدارية من الضعف أو نعصمه من الخطأ؟!

حادثة أثناء رياسته:

مما زاد فى شقاء هذا الأب الأسقف، قصة هذا الراهب التى يرويها الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين:

"قيل أن راهباً بالإسم، كان منحرفاً عن العبادة وكان من المحبين لشهواتهم، فتحايل على عذراء، أخرجها من ديرها، وجاء بها إلى وادى هبيب دون علم أحد. وأوقعه الشيطان بها سراً، فلما كشف الأمر بين الرهبان صار بينهم سجس وقلق عظيم، فلم يسمع بمثل ذلك قط فى هذا الموضع؟!

فلما وصل الخبر إلى الأنبا يوحنا، أخذته الغيرة على الحياة الرهبانية، وخاف من تفشى الوباء فتصدى للأمر بشدة. فأمر بضرب هذا الراهب المنحرف بقساوة، بإزاء هذه الفعلة القبيحة! والذى حدث هو أن هذا الراهب مات بعد عشرة أيام من تأديبه، مما أهاج الأكليروس والرهبان، هياجاً كاد يقضى إلى ثورة شنعاء، لولا أن مجمع الأساقفة تداركوا الأمر، فإجتمعوا فى سنة ٦٩٨م. وكان أول مجمع يعقد فى مصر لمحاكمة أسقف، ولم يكن البابا البطريرك له سلطة الإشراف عليه.

مجمع الأساقفة وحكمه:

كان انعقاد المجمع بدون إذن البطريرك، ربما لأنهم أرادوا ألا يحرجوه فى حكم سيصدر على أسقف يجله جداً...!!

ولما إجتمع المجمع طلبوا من الأنبا يوحنا أن يشرح لهم ما حدث، فأخبرهم بالحادثة، وإعترف بأنه هو الذى أمر بضرب الراهب بهذه القساوة! فإغتاظ الأساقفة من قساوة هذا الأب الأسقف، وأوجب المجمع عزله من وظيفته، لكونه تعدى حد الواجب فى تأديب الراهب، الأمر الذى أفضى به إلى درجة الموت.. وأصدروا حكمهم على الأسقف هكذا:

(ما أنت فى حل أن تدنو من الهيكل، ومن أدوات الهيكل منذ الآن. بل تتناول السرائر كراهب عادى) وقد إمتد القطع إلى ثلاث سنوات.

ثم أن مجمع الأساقفة اقاموا أسقفا آخر يرعى الإيبارشية، بدلا عنه إسمه الأنبا مينا من دير أبو مقار ...

فلما رأى الأنبا يوحنا أن المجمع إنعقد، وأصدر حكمه بالقطع، وأن الأب البطريرك لم يتدخل فى الأمر، أو يحتج نادى أساقفة المجمع قائلا:

(كما قطعتمونى ظلماً، الرب الإله الذى أعرف اسمه، يجعل جميعكم غرباء عن كراسيكم، إلى تمام الزمان الذى حكمتم فيه على)

تعليق أنبا ساويرس على هذه الحادثة:

(..وبعد أيام ليست كثيرة تم ما تنبأ به هذا الأسقف البار، بشأن الأساقفة، لأنه كان فى ذلك الوقت قوم يتشبهون بالأمم، فأصابتهم عادة التسرى، وتعدد الزوجات، ملتصقين بنساء أخريات غير محلله لهم، ليشبعوا شهواتهم الدنيئة، ويدعون أنهم نصارى!

ولما قام مجمع الأساقفة بردعهم، ومنعهم من السرائر المقدسة، مضى قوم منهم إلى الأمير، وأدعوا أن الأساقفة منعوهم من الزواج، وأفرزوهم من الشركة المقدسة بالكنيسة، مما دفعهم إلى الزنى!

فغضب الأمير، وأمر بجمع الأساقفة من كراسيهم إلى مدينة الاسكندرية، فلما إجتمعوا جميعاً وكان عددهم نحو ٦٤ أسقفاً، ولم يعلموا لأى شىء إجتمعوا!

ثم أمر الأمير فى ذلك اليوم، بأن تمنع صلوات النصارى وقداساتهم، لأنه قال أنهم ضالون. وأمر بابعاد الأساقفة عن كراسيهم، مدة من الزمن، نحو ثلاث سنوات، أى ما يعادل فترة القطع التى أوجبوها على الأنبا يوحنا).

آلام الأنبا يوحنا وإضطهاده ونياحته:

يغلب الظن أن هذا الأب لم يعمر طويلاً بعد هذه الحادثة، فقد عاصر فى نهاية أيامه، الحكم الأموى، حيث كان الإضطهاد قد إشتد، وبسبب أمانة هذا الأب فى الدفاع عن الإيمان، ومحبته للمسيح وقوميته، ألقوا القبض عليه، ونفوه عن كرسيه

أيضا إلى إحدى الجزر فى النيل... حيث قضى بقية حياته وشيخوخته هناك، وبسبب كثرة آلامه وكبر سنه، أصيب بفقد بصره.

وكان بعض المؤمنين الناجين من الإضطهاد، يعتنون به إلى أن تنيح بسلام، فى بداية القرن الثامن الميلادى. بركة صلواته تكون معنا آمين.

يوحنا النيقيوسى:

ترجع شهرة يوحنا النيقيوسى، إلى كتاب التاريخ الذى ألفه، الذى يشتمل: على تاريخ العالم منذ بدء الخليقة وحتى أواخر القرن السابع الميلادى.

وقد أسهب فى سرد الحوادث الخاصة بالفتح العربى، والتى كتبها كشاهد عيان، مما جعل لكتابه قيمة كبرى، ومصدراً لا غنى عنه لكل باحث فى تاريخ ذلك العصر.

وقد وضع الكتاب باللغة القبطية، لغته القومية، ولغة هذا العصر، ولكن مما يؤسف له أن النسخة الأصلية للكتاب، قد ضاعت منذ أمد بعيد، ولم يتبق سوى ترجمة حبشية للكتاب قام بترجمتهاإلى اللغة الحبشية، أثيوبى يدعى غبريال، ذكر عن نفسه أنه الإبن الروحى ليؤنس القصير. وقد قام بهذا العمل، بأمر من الملكة مريم سنا، وأثناسيوس قائد الجيش الأثيوبى.

وسمى الكتاب بالحبشية باسم (يوحنس مدبر)

وبدأ ترجمته من اللغة العربية إلى الحبشية، فى ٢٨ أبيب وإنتهى فى بابه سنة ١٦٠٢م. أما النص العربى نفسه، والمترجم من النص القبطى، وهو ما ترجم عنه هذا الشماس فلم نعثر عليه، لأنه فقد مع النص سابقه!

هذا الكتاب:

مترجم عن النص الفرنسى، الذى سبق أن قام بترجمته عن الحبشية، أحد العلماء المستشرقين وهو :

زوتنبرج Zotten burge بعنوان:

Chronique de Jean de Nikious Paris ١٨٨٣م.

وقامت بترجمته أخيراً الأستاذة ليزة عزيز إسكندر موجهة اللغة الفرنسية بمحافظة دمياط، وقمت بضبط المعانى والأسماء والتواريخ والأعلام.

وقد كتب هذا الكتاب أصلاً باللغة القبطية، اللغة القومية وكتبه يوحنا النيقيوسى، الكاتب القبطى المتمسك بقوميته، وكتبه لشعبه القبطى فى القرن السابع الميلادى، الذى فيه بدأت اللغة اليونانية فى الإنقراض، ولم تكن تستخدم آنذاك إلا فى بعض العواصم الكبرى والاسكندرية.

كما أن الكاتب لم يذكر أى شيء من التاريخ البيزنطى، حتى يكتب لهم باليونانية! لذلك نجد أن رأى كثير من المؤرخين أن يوحنا كتب كتابه بالقبطية، ونرى أن معظم صيغ الأعلام فى النص الحبشى، تدل على أنها أخذت من الأصل القبطى لا اليونانى..!!

أخيراً: تعليق على الكتاب

يظهر أن الكاتب جمع معلوماته من كتب التاريخ القديمة، ونراه يسرد الحقائق التاريخية فى صراحة ووضوح تبين مدى ما وصل إليه من تعمق فى البحث، وغزارة فى المادة.

وقسم كتابه إلى ١٢٢ باباً مستخدماً الجمل الطويلة بدون فواصل، وسارداً تاريخاً خالياً من المبالغة فى الأسلوب.

بدأ منذ إبتداء الخليقة وحتى الفتح العربى، أى منذ آدم الأول، إلى ثيو الذى حكم اليونان وأفريقيا.

ومن روميلوس وريموس اللذان حكما روما، إلى القديس قسطنطين، وإلى حكم جوفيانوس.

ومن حكم فالنتينوس إلى نهاية حكم ثيودسيوس.

ومن عصر أركاديوس وأنوريوس، ولدا الامبراطور ثيودوسيوس إلى حكم أنسطاسيوس. ومن يوستينيانوس إلى آخر حكم هرقل.

ومن عصر ثيودوسيوس والى مصر، إلى يوحنا راهب جبل سينا....

وكان مؤلف الكتاب متعصباً لقوميته، لدرجة لم يدع فرصة يقدر أن يتكلم فيها عن مصر، إلا ودسها بين سطور وأبواب الكتاب!!

وقد خص مصر بأبواب كثيرة مثل:

فى الفصل الأول: بين أن الشعب المصرى هو أول من صاغ الذهب، وبحث عن المناجم.

وفى الفصل الثانى: ذكر أن المصريين هم أول من صنعوا آلات الحرب.

وفى الفصل الثالث: تحدث عن تأسيس مدينة أون القديمة (عين شمس) أو هليوبوليس، وتأسيس مدينة أبوصير، ومدينتى سمنود والبرابى.

ثم ذكر أن إبتداء فلاحة الأرض كانت فى مصر، وتحدث عن سيزوستريس، الذى كان أول من فرض الضرائب فى مصر، وشق القنوات.

وتحدث عن ملك أثيوبيا، الذى حكم مصر بعد سيزوستريس، وهو أول مصلح اجتماعى، شرع بأن المجرم لايقتل أو يعذب، بل يستغل فى إصلاح الأرض، وردم المستنقعات، وفى أيامه جفت اليابسة من مياه النهر، وأمكن للناس أن يشيدوا مدناً فوق المرتفعات تفادياً لمياه الفيضان.

ثم عرض لبناء الأهرامات الثلاثة فى مدينة ممفيس، وذكر أن ملشيصاداق كان من أسرة سيدوس إبن ملك مصر والنوبة.

وذكر أن فرعون بيتشوبيس هو الذى أبدل إسم مدينة إبشادى إلى نيقيوس. وشرح كيف غمر النهر مجراه عند هذه المدينة، من المشرق إلى المغرب. ثم تحدث عن فترة حكم كورش وفتحه لمصر، ويوليوس قيصر، وكليوباترا وفترة حكمهم لمصر.

وذكر بعض المنشآت بمدينة الاسكندرية، وبناء حصن بابليون بمصر. وزمن حكم دقلديانوس لها. ثم أخبار القديس ثاؤفليس بطريرك الاسكندرية، وقيام ثورة فوكاس (فوقا) فى مصر.

لكن الفصول الإحدى عشر الأخيرة، خصها بالفتح العربى، وأفاض بمعلومات مطولة كتبها كشاهد عيان. فكتب بإسهاب عن حوادث عصره من الباب ١١١ وحتى نهاية الكتاب. وما جاء به من أخبار الفتح الاسلامى بمصر كانت بيانات أصيلة وأكيدة.

ويختم كتابه بالقول: يقولون أن طرد الروم وإنتصار العرب، كان بسبب ظلم الإمبراطور هرقل، وإضطهاده للأقباط الأرثوذكس فى أيام قورش البطريرك الخلقيدونى...!!

وتتم الفصول بالباب ١٢٢ وفيه يقدم المؤلف الشكر على فراغه من هذا الكتاب، ويلخص العديد من الموضوعات، التى سبق وعالجها ليسهل على القارىء الإلمام بها.

أخيراً: نلاحظ أن الترجمة الحبشية جاءت ملأنة بالأخطاء، وغير منظمة، وفيها أسماء الأعلام والبلدان، ترجمت بطريقة مقربة، وأحياناً محرفة وغير واضحة. لذلك حرصنا فى بعض الأحيان على وضع الإسم الصحيح بين قوسين.

ويعتبر الكتاب محاولة أولى للظهور. ولكن مازال يحتاج إلى البحث، والتنقيح والمراجعة، متى توفرت المراجع، ولكنى أتمنى أن أكون قدمت مرجعاً تاريخياً للمكتبة العربية.

وأسأل الله القدوس أن يبارك هذا العمل لمجد إسمه بصلوات حضرة صاحب القداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث وشريكه أبينا الطوباوى المطران الأنبا بيشوى حفظهما لنا الله لسنين عديدة آمين،

المؤلف

بسم الآب الرؤوف الرحيم

الفصل الأول

نبدأ حديثنا بذكر أول من خلقوا من البشر ... فمكتوب عن آدم وحواء أن الله بعدما خلقهما أعطاهما أسماء.

لكن آدم هو الذى أعطى أولاده أسماء، كما أنه سمىَ كل المخلوقات الأخرى.

الفصل الثانى

حصل شيث ابن آدم على موهبة العلم من ربه.

فهو الذى أعطى الكواكب أسماءها. فسمى الأول (زحل)، والثانى (المشترى)، والثالث (المريخ)، والرابع (الزهرة)، والخامس (عطارد).

ومن جهة أخرى، أعطى للشمس إسمها، وكذلك القمر، فأصبح عدد الكواكب فى عرفه سبعة.

كما أنه أول من كتب الأحرف باللغة العبرية...

الفصل الثالث

صار أبناء نوح كباراً وجبابرة، لذلك بدأوا فى بناء السفن.

وكانوا يجوبون البحار.

"نلاحظ أن المترجم إقتضب هذه المقدمة القصيرة، لأنها غامضة، وقال المترجم أنه لم يفهم معنى معظم الجمل، لأن بعض الكلمات حذفت خطأ من المترجمين الذين سبقوه أو ربما من النساخ".

الفصل الرابع

قيل عن قينان بن أرفكشاد الذى ولد من سام بن نوح، وأنه كان رجلاً عالماً، وراعياً، وهو الذى له الفضل فى إنشاء علم الفلك بعد الطوفان، وقد أكمله الهنود من بعده.

الفصل الخامس

كان هناك رجل من الهند يدعى (كونتوريوس) أو كوش وهو من أصل أثيوبى من قبيلة سام.

وأنجب هذا (أفرويد) وهو المدعو نمرود الجبار. وهذا بنى مدينة أسماها بابل، وقد خضع له الفرس، ورفعوه إلى مصاف الآلهة. وأعطوه إسم نجم من السماء يدعى (أوريون) ومعناها بالعربية (جبارة) وكان نمرود هذا أول من مارس صيد الحيوان، وأكل لحومها.

الفصل السادس

كان أكروتس مارداً جباراً، وهو من قبيلة سام بن نوح. وكانوا أيضاً يسمونه بسم أحد الكواكب وهو (عطارد). وكان له ابن يدعى (دومنس)، وكان رجلاً حربياً مقاتلاً مخيفاً.

كان أول من مارس الملك فى فارس وفى أسيا، وقد تزوج إمرأة تسمى (ريا) (Rhea) آسيوية وأنجبت له إبنان هما: بيكوس (Pecus) ويسمونه أيضا زيوس (Zeus) ونينوس ويترجم أيضا فينوس.

ونينوس هو الذى بنى فى ملكه فى آسيا مدينة ملكية سميت باسمه (نينوى). أما عن الجد (كروتس) فقد ترك ابنه فى مملكته، وذهب هو الى جهة الغرب لأنهم كانوا بلا ملك، فملك هو عليهم.

لكن ابنه (زيوس) لم يهدأ له بال، بل قام بثورة على أبيه كروتس وقتلـه. وسبب ذلك لأنه إفترس أولاده الأخرين، وصير ريا (التى كانت زوجته) أُمّا له، مع أنها أم ابنه هذا الذى تبقى له.

الفصل السابع

أما بيكوس الذى يسمى أيضاً (زيوس) فكان أول من تزوج أختـه، وأنجب منها ابناً دعاه بلليوس Belluis، وكان يشبه جده كروتس، الذى حكم فى آسيا، بعد اختفاء أبوه، وجده.

وأخيراً بعد موت بلليوس، رفعه الفرس إلى مصاف الألهة.

الفصل الثامن

... وبعد موت بلليوس ملك عمه نينوس فى آسيا (أشور) بعدما تزوج امه (سميراميس)، فوضع أساس هذه العادة البغيضة، والتى أنتقلت منه إلى خلفائه الذين قاموا بهذا العمل الشنيع حتى الآن.

هذا ولو أن هذا العمل شىء غير مشين فى فارس، لأن الفرس يتزوجون أمهاتهم، وأخواتهم، وبناتهم.

الفصل التاسع

أما فى الغرب، فبعد موت بيكوس ملك فونوس Faunus (الذى يدعى أيضاً هرمس) لمدة خمس وثلاثين عاماً.

وكان أول من أخترع صياغة الذهب، وكيفية صهره، إذ كان صائغاً. ولما علم أن اخوته غيورين منه، لدرجة أن كانوا يريدون قتله، هرب إلى مصر، حاملاً كمية كبيرة من الذهب، وظل هناك مدة من الزمن.

وكان يرتدى رداءً جميلاً مزيناً بالذهب.

وكان يوزع صدقات كثيرة على الناس، ويهب عطايا للمصريين. لهذا فقد قبلوه بكل إعزاز وفخر، وكرموه وكان يدعى معرفته بالمستقبل، فوضعوه فى مصاف الألهة، لدرجة أن عبده الفقراء، وأسموه (سيد الذهب)

الفصل العاشر

وهناك رجلاً يدعى هيفوسطس Hephoetos كان قد حكم مصر، ورفعوه إلى مستوى الآلهة، وكان رجل حرب يحب المعارك، وكانوا يعتقدون أنه على دراية بخفايا الأمور، وإذ كان حداداً فكان أول من صنع أسلحة الحرب والقتال، وعمل الأحجار التى أستخدموها فى الحرب، ومع ذلك كله فقد كان أعرجاً، إذ كان قد سقط فى القتال من على ظهر جواده، فجرح فى رجليه وظل أعرجاً طوال حياته.

الفصل الحادى عشر

ونعلم من التاريخ المقدس أن ميتوشائيل (ميتوسالم) أنجب لامك (لاميش)، وهذا الأخير تزوج أمرأتين إحداهما (عادة) والأخرى صلة.

وأنجبت عادة يابال، وبعد عدة سنوات أنجبت أيضاً توبال، الذى أشتغل بالمطرقة والسنديان والحديد. فعمل توبال ابن لامك حداداً قبل الطوفان إذ كان قد تسلم من الله موهبة العلم.

الفصل الثانى عشر

بعد موت هيفوستوس Hephoeatos الشهير (بشمس) حكم مصر إبنه المسمى أيضا (شمس) مثل أبيه.

وأسس مدينة سماها على أسمه أى (هليوبوليس) وصارت فيها مقابر الملوك، كما بنيت فيها معابد لأعظم الألهة.

الفصل الثالث عشر

وكان هناك رجل يدعى ميتا أوناوس، الذى جاء خلفاً لأيكاسبيرا Aygasbera الشهير بديونسيوس، وهذا الأخير أسس مدينة تدعى بوسيرس Bousiris (أبو صير) فى مصر العليا، وأخرى بنفس الأسم فى شمال مصر.

الفصل الرابع عشر

إن أوزيريس، أو كما يسمى اليونان (أبوللو) أسس مدينة سمنود، وأقام بها معبداً كبيراً. وهذه المدينة دعيت فى الأقوال المأثورة بلفيجور Belphigor.

الفصل الخامس عشر

قيل فى كتابات العلماء المصريين فى ذلك الوقت ... من هو هيرمس Hermas؟ انه كان رجلاً عجيب الشأن، آمن ببعض الأقوال الوثنية مثل: أن قوى ثلاثة عظمى هى الخالق، وأنها هى إله واحد، فقد أعلن هيرمس إذن بين الوثنيين وجود الثالوث الأقدس الواحد، وأظهر عظمته، وأنه مصدر الحياة، وهو المهيمن على العالم، فصار معتبراً بين الوثنيين.

الفصل السادس عشر

هناك مدينة تعتبر هى الأولى فى معرفة زراعة الأرض، وبذر القمح، وكل أنواع الحبوب الأخرى. وسر اتساع رقعة أرض هذه المدينة، بسبب الكميات الهائلة من المياه المنحدرة من نهر جيحون، حتى أصبحت المدينة مغطاه بالبحيرات والمستنقعات.

الفصل السابع عشر

ملك سيزوستريس (رعمسيس الثانى) فى مصر، والأقاليم المجاورة، وكان أول حاكم مسح الأراضى، وفرض الضرائب، فجمع غنائم كثيرة، وأسر كثيرين من كل سكان البلاد المجاورة، حيث سخرهم فى حفر الأراضى، وردم المستنقعات التى فى مصر، فأمكن الشعب أن يزرعوا الأراضى المستصلحة. وكانوا يدفعون ضرائب للملك عنها، وذلك من ثمار الأرض، ثم حفر الملك قناة تسمى Dik ديك حتى يومنا هذا.

الفصل الثامن عشر

بعد سيزوستريس حكم مصر (سايجون) ملك الهند لمدة خمسون عاماً. وكان يحب الناس، فطلب ألا يسفك دم أحد دون وجه حق. وقد سن قانوناً فى مصر، بالا يحكم على مجرم بالقتل، أو حتى يقاسي العذاب، بل أمر بأن تستبق حياة المذنبين، ويحكم عليهم فقط بالأشغال الشاقة - كل بحسب جريمته - فكانوا يعملون فى تنظيف الأرض، وردم البرك والمستنقعات بالأتربة.

حينئذ قام الأهالى بتشييد مدنهم على المرتفعات، بعدما انحسرت المياه عن الأرض نتيجة هذه الأعمال. وصار الشعب فى مأمن عن الفيضانات، وقد حدث بالفعل عدة فيضانات فى أيام حكم سيزوستريس، وذلك قبلما يتعلمون بأن يحفروا ويعمقوا مجرى النهر. وقد سبب ذلك الفيضان تسرب كميات هائلة من المياه، كونت مستنقعات كبيرة وقد حاولوا ردمها فلم يفلحوا.

ويرجع الفضل لسايجون ملك الهند بجهوداته المشكورة، فى أعطاء السكان مساكن على المرتفعات.

الفصل التاسع عشر

حكم مصر بعد ذلك رجل يدعى (خوفو)، وهذا أغلق معابد الآلهة والأصنام الأخرى التى كان المصريون يعبدونها، مضحيين للشياطين وقد شيد فى مدينة ممفيس اهرامات، وحمل المصريين على عبادة الشمس. وكلفه هذا العمل على دفع ١٦٠٠ هبة من النقود للعمال. هذا بجانب ما أنفق من الخضروات والكرات أبو شوشة، لأن هذه وجدت مقيدة بالسجلات القديمة، ومحفورة على الجدران بلغة القدماء المصريين، تشهد لمن يقرأها بالظروف التاريخية التى أحاطتها. ونتيجة لهذا العمل فقد انفق الملك فى هذه السنين كل حصيلة الضرائب، بسبب كثرة عدد العمال والبنائين المستخدمين، حتى أبتلع العمل كل ثروات المملكة دون أن ينتهى.

وقد وقع هذا الملك البائس فى فقر وضيق، لدرجة أن كانت له أبنة جميلة الوجه، فوقعت فريسة لأغراء الشيطان، حيث أنها إرتمت فى مكان العهارة، فأسلمت الفتاة نفسها للغواية، لكل من يريد أن يستمتع بشهواته، نظير أن يحفر حجراً كبيراً يضيفه إلى البناء.

وقيل أن أقل حجر وضع، كانت مساحته ثلاثين قدماً أو عشرين ذراعاً وقد انتهى أخيراً من بناء أحد هذه الأهرامات الثلاثة، التى أعتبرت ثمنا باهظاً هذه العاطفة الخاطئة لهذه الفتاة البائسة.

الفصل العشرون

يقولون اخترع هرقل فيلسوف مدينة تيرا Tyra حرفة صناعة الحرير، والذى صنعت منه ثياب فونيكس (فونس) ملك تير الكنعاني، وكل خلفائه من بعده، وقد حذا ملوك البلاد الأخرى حذوه، حتى تميزوا عن بقية الشعب، لأن الشعوب القديمة كانوا يلبسون ملابس من الصوف.

فأصبح كل الملوك والقضاة بعد ذلك يرتدون الملابس الحريرية، وتركوا عنهم الملابس القديمة.

الفصل الحادى والعشرين

كان هناك رجل يدعى برسوس Persee، وكان يتطلع دائماً إلى أرض سوريا. لكن أبناء أعمامه (نينوس)، (زيوس) كانوا ينافسونه.

ومرة بينما هو ذاهب إلى... تقدمت إليه فى الطريق فتاة كانت تسير بمفردها، فأمسكها من شعر رأسها، ثم قطع رأسها بسيفه حيث ثبت هذه الرأس فوق رمحه، إذ كان قد تعلم السحر من أبوه زيوس، وكان يحمل هذه الرأس معه فى كل حملاته الحربية.

ثم هم ليمضى إلى الهند، فإتجه ناحية سوريا، فعارضه الليكونيين، فهزمهم، رافعاً أمامهم رأس الفتاة الساحرة Gorgone. ثم أسس مدينة أيقونية التى كانت فيما مضى قرية صغيرة تدعى أماندرا Amandra. لأنه وضع فيها صورته مع رأس الفتاة البغيضة.

وذهب بعد ذلك إلى آشور Isaurie ثم سيسليا، فحورب من سكانها، لكنه هزمهم أيضا بقوة السحر المعقود على رأس جورجونى. أما قرية سيسليا، التى كانت تسمى إندراسوس، فجمل منها مدينة كبيرة أسماها ترسوس Tarse .

ومضى من سيسليا إلى آشور، وهناك قتل أحدى الشخصيات العظيمة المدعى ساندانبل Sandanaple، ولم يقم أى إعتبار لأية قرابة بينه وبين هؤلاء الناس.

وبعدما إستولى على هذه البلاد، غير اسمها إلى آشور، وكان سكانها من الفرس بحسب اسم بلادهم الأصلية (فارس) وبعد ما غير اسم بلادهم إلى اسم آخر، زرع

فيها أشجاراً أسماها برسئة Persee أو خوخة (أى شجرة الخوخ) تذكاراً لإسمه إلى اليوم، ثم حكم سوريا لمدة ثلاثة وخمسون عاماً.

حدثت فى هذه السنين عدة اضرابات، فحدثت رعود شديدة مصحوبة بكميات عظيمة من الأمطار والسيول، لدرجة أن ملأت النهر الذى يخترق سوريا (درونطس). وقد إندفع وميض البرق من السماء على شكل نيران غطت وجه النهر، حتى هدأ وتوقف فيضان النهر وحينئذ اطمأن الناس.

فاندهش برسوس Persee لما حدث وقال: لابد أن الذين أحدثوا ذلك، هم اشخاص شيطانيين ولهم خبرة بالزراعة!

ولما انتهى من قوله اشتعلت النيران، فحفظ جزءاً منها عند عودته إلى سوريا، فجعلها الفرس سكان سوريا احدى مقدساتهم، وقدموا لها العبادة والسجود، وبنوا لها معبداً أسموه النار الخالدة وكانوا يقولون: "أن النار هى ابنة الشمس المغلفة بالبلور الذى يشبه القطن، ولونه قريب من لون الماء، لأنه مولود منه وفى داخله مثل الماء".

الفصل الثانى والعشرون

كان من قبيلة يافث ابن نوح رجل يسمى أناخوس، وكان هو أول ملك على بلاد Argiviens الجزائر التى فى الغرب. وكان يعبد القمر، وجعله أهم مقدساته. وأنشأ فى تلك البلاد مدينة بإسم القمر أى Jopoles أو مابوليس، لأن الجزائريين يسمون القمر Jo فى أسرارهم حتى اليوم. وبنى لهذه العبادة معبداً وأقام مذبحاً، وصور هناك تمثالاً للقمر من البرونز، حفر عليه هذه الكلمات. (المملوء نوراً).

الفصل الثالث والعشرون

حكم بوسيدون ناحية الجنوب، وتزوج من امرأة تدعى ليبيا إبنة بيكوس، وأمها مابوليس. وقد أعطى بوسيدون اسم زوجته ليبيا على البلد الذى يحكم.

وأنجب بوسيدون ثلاثة بنين هم بوسيدون Poseidon، بليص Belus، أجنور Agenor .

وهذا الأخير تزوج إمرأة تدعى ديرو. ثم أنشأ مدينة أسماها على اسم زوجته، أى ديروس وهى مدينة تير Tyr، وأنجب ثلاثة أولاد من زوجته هم سيروس، فينكس، وسيلكس وقد أصبحوا بدورهم حكاماً مشهورين.

بعدما مات أجنور Agenor ، قسمت مملكته بين أولاده الثلاثة. فأخذ فينكس كنعان، والأقاليم المجاورة، وسمى أقليم فونسكى على اسم زوجته. وأخذ الثانى سوريا، وأعطى لها إسمه (سيروس) والثالث سيلكس أخذ الأقليم الباقى وسماه (سيليس).

الفصل الرابع والعشرون

قيل عن رجل من عائلة بيكوس أو (زيوس)، واسمه طوروس (Taurus)، كان يحكم قبرص. قام بحملة على تير، وكان قد وصل إليها وقت غروب الشمس، فأستولى على المدينة، وسلب كل ثروتها، وأسر شعباً كثيراً من المدن الأخرى المجاورة. وتزوج من امرأة تدعى أوربا Europe، حيث أطلق اسم زوجته على تلك المنطقة. وأسس هناك مدينة جديدة أسماها جورتيتا، على اسم والدته. ثم قفل مبحراً أثناء الليل وعاد إلى بلدته قبرص.

الفصل الخامس والعشرون

كان هناك رجل يدعى ليوس Laius، له ابن يدعى دوكا (tokka)، وكان قد اكتشف أن أبنه على علاقة غير مشروعه مع أمه، فأمر جنوده، بأن يعلقوه من رجليه في شجرة مقطوعة الأغصان حتى يموت...

الفصل السادس والعشرون

قيل أن أول من عبد الأوثان بدافع من الشيطان، رجل اسمه (صاروش Saruch) من قبيلة يافث ابن نوح. وقد بنى لها المذابح، وكان يقدم لها العبادة والسجود.

الفصل السابع والعشرون

لكن ملشيصاداق Melchisedec البار، والذى كان من بين الودعاء الذين عبدوا الله، إذ كان صديقاً وبلا خطية، وذكر اسمه فى الكتب المقدسة، ولم يكن من قبيلة ابراهيم، بل بلا أب ولا أم ... وكان يكره آلهة الأمم، وصار كاهناً لله الحى.

ورغم ذلك قيل عنه، أنه كان ينخرط من عائلة "سيدوس" ابن ملك مصر والنوبة. الذى أخذ عنه المصريون إسمهم.

ومعنى ملشيصادق، أى الملك البار. وعلى ذلك فإن سيدوس كما يقولون: كان يحكم كنعان، كان من أصل قبيلة قوية، وقد سماه المصريون هكذا، بسبب بلاد الفلسطينيين (كنعان) التى كان قد أخضعها، وما زالت تسمى بهذا الاسم حتى اليوم. ولما استتب له الأمر مع أهل هذه البلاد، أسس فيها مدينة أسماها صيدون والتى ما زالت جزءاً من كنعان الآن.

وإذا صدق القول، فإن والد ملشيصادق وأمه كانا وثنيان. ولكن الرجل قديس، كان يلوم والديه على وثنيتهم، ثم هرب منهم (كأنه أصبح بلا أب ولا أم)، وأصبح كاهناً لله الحى، ثم حكم كنعان، وشيد على الجلجثة، مدينة تدعى صهيون أو ساليم وهو يعنى فى لغة اليهود "مدينة السلام".

وحكم فيها نحو ١١٣ عاماً ثم مات. لكنه ظل طوال حياته طاهراً وباراً، كما كتب عنه يوسيفوس المؤرخ والعالم، فى بداية كتابه" تاريخ اليهود".

وكان أول من قدم قرابين لإله السماء، من الخبز والخمر، فى هيئة أسرار مقدسة، أشارت إلى ربنا يسوع المسيح.

كما قال داود فى المزامير "أنت هو الكاهن إلى الأبد على طقس ملكى صادق" وفى مكان آخر "الله عرف فى صهيون وتعظم فى اسرائيل".

وعلى هذا فإن اليهود تسلموا معرفة الله من ابراهيم.

وساليم نفسها، هى القدس أو أورشليم. وقد سميت هكذا لأن السلام كان يسود صهيون أثناء حكم ملشيصادق.

أما عن اسم (العبرانيين) الذى أطلق على اليهود، فإن تسميتهم هذه ترجع إلى كلمة "عبر" التى أطلقت على ابراهيم الأصل.

وفى الحقيقة فإن أول ما فعله ابراهيم، أنه (عبر)، بعدما قام الأشرار ببناء برج، ثم فشلوا بسبب خطيتهم الرديئة، قام ابراهيم ومضى منفصلاً عنهم، وظل مرتبطاً بالله بإيمان.

لذلك فأنه بعد بلبلة الألسن واللغات، ظلت لغة العبرانيين هى الوحيدة كما هى، فى تكاملها، ودقتها، فلم يصبها أدنى تغيير.

وقد احتفظ خلفائهم بلغة الملائكة، وهذه اللغة نفسها هى التى تحدث بها آدم، وكانت النتيجة، أن أصبح اسمهم عبرانيين، ولغتهم هى العبرية.

الفصل الثامن والعشرون

قيل عن رجل من أصل قبيلة يافث بن نوح، اسمه هيزيود Hesiode، وهو الذى إخترع الكتابة باليونانية، وعلمها أيضا، ويحكى أنه فى عهد ملوك مصر، كان يوجد فى ليديا Lydie، فيلسوفا منحدراً من العمالقة، من أصل يافث، يدعى انديميون Endymion، قدم صلوات سرية للقمر، وأُعلن له منه، فى رؤية، اسم الله، وبينما كان هو ذاهباً ذات يوم، سمع هذا الاسم المقدس، وبعدها قضى نحبه فحفظ جسده فى ليديا، وكانوا يرونه فى كل سنة عندما يفتحون تابوته، حيث يرقد.

الفصل التاسع والعشرون

قيل أنه فى عصر يشوع بن نون حكم فى أتيكا Attique ملك يدعى اوغيجس Ogyges، وقد حدث طوفان فى أيام حكمه فى هذا البلد فقط، فهلك الملك وكل شعبه حتى أصبح هذا البلد صحراء مهجورة لمدة ٢٥٦ سنة، وقد ذكر افريكانوس هذا الكلام فى التاريخ القديم.

الفصل الثلاثون

فى عصر موسى خادم الله، والمشرع العظيم، الذى قاد بنى اسرائيل وأخرجهم من مصر، كان بيتسونيس يحكم مصر وهو أموسيوس Amosios الفرعون .. كان يستعين فى الحكم بكتاب الساحران ، ينيس، ويمبريس، اللذان قاوما موسى العظيم كليم الله.

وبرغم المعجزات والعجائب، التى عملها موسى بعصاه، إلا أن فرعون أبى أن يطلق بنى اسرائيل.

وقد ذهب بيتسوينس إلى مكان تنبؤات المستقبل التى كانت توجد فى (منف) بالقرب من الوحي المشهور عندهم، وقدم له القرابين. وعندما سأل أحد العبرانيين هذا الوحى Taninns أجابه: "انه الله الكائن فى السماء السرمدى" الذى ترتعد أمامه السموات والأرض، ويخشاه البحر، والشياطين ترتعب لذكره. ولكن الملائكة تمجده، لأنه هو الذى يمنح القوة والإرادة" .

وقد سجل بيتسوينس هذا الوحي على عمود، ووضعه في معبد قريباً من مقياس النيل. وقد تهدم المعبد فيما بعد، ولكن مازال هذا العمود باقياً، بل كان هو الشيء الوحيد فى مصر الذى لم يكسر، وظل هكذا حتى انهدم معبد الأوثان تماماً، حيث لم تكن هناك قوة تستطيع أن تحمى معبد منف، لأنه قد تهدمت كل المعابد بقوة ربنا يسوع المسيح.

وعلى هذا فقد غرق بيتسوينس، هذا الفرعون المعتوه، مع خيله وخيالته فى البحر الأحمر.

ومن المعروف أن بنى اسرائيل، عندما خرجوا من مصر، حملوا معهم ثروات المصريين، وكان هذا بإرادة الله، وحسب مشيئته.

لأنهم اعتبروا هذه الثروات بمثابة مكافأة لهم، نظير الأعمال الشاقة التى تكبدوها في العمل الشاق بلا إنقطاع.

فعضب فرعون لما علم بذهابهم، وسار بجيشه ليلاحقهم فى طريقهم، فغرق فى البحر هو وكل أتباعه، ولم يتبق منهم أحد.

أما بنو اسرائيل فمشوا على اليبس فى وسط البحر إلى أن وصلوا إلى ما شاء الله الذى هو ممجد فوق كل المخلوقات.

لكن بنو المصريين الذين لم يهلكوا كالباقين، فقدموا قرابين للشياطين وتركوا عنهم عبادة الله. هؤلاء المساكين أهلكوا نفوسهم، متشبهين بالملائكة الذين سقطوا، وثاروا ضد الله، وعبدوا صنعة أياديهم. فالبعض عبدوا البقرة، وآخرون عبدوا الثور، الكلب، الحمار، والبغل، والاسد، والسمك، والتمساح، والكرات أبو شوشة... وكثيراً من المخلوقات الأخرى المشابهة.

الفصل الحادى والثلاثين

فى هذا الوقت، وفى حكم الملك السابق فى مصر، حيث كان السكان يعبدون الأوثان والمقدسات الأخرى... وكذا مدينة Absay أبشاى الشهيرة أو "نقيوس". كان ملك هذه المدينة يدعى بروسبيس الذى معناه "من يحب المقدسات ذات الثلاثة أوجه".

هذا الملك كان يقيم على الضفة الغربية للنهر، وكان يحارب دائماً البربر المعوين "الموريتانيين"، حيث كانوا يأتون من بنتابوليس، وقاموا بمعركة ضارية، ولكن سكان هذه المدينة حاربوهم بقوة، وقتلوا منهم عدداً كبيراً. وبعد هذا الانتصار السعيد، لم يرجع البربر أبداً للهجوم على هذه المدينة مدة طويلة، بفضل الله وقدرته الإلهية وعظمته، التى أخرج كل شىء من العدم إلى الوجود.

وكان النهر الكبير الذى أسماه اليونانيون (إكريسورس) وسمى فى الكتاب الموحى به من الله جيحون. وكان يجرى فى البداية شرقى المدينة، ثم غير مجراه وأصبح يجرى غربها. فأصبحت المدينة كجزيرة وسط النهر. كان بها غابة من الأشجار تسمى Akreyas وهى نفسها الآس.

الفصل الثانى والثلاثون

وأورشليم التى أنشأها ملكيصادق، كانت تحت سيطرة الكنعانيين والفلسطينيين. وكان قد حاربها يشوع بن نون وفتحها، وأسماها Jebus (جبعون) وبعدما فتح كل ذلك الاقليم، أقام فى شكيم التى تسمى حتى يومنا هذا نيابوليس.

ثم فى عهد الملكين الحكماء، داود وسليمان، بعد تدشين هيكل الله المقدس، الذى جهز له داود كل الاستعدادات، ثم بناه فى أورشليم الملك سليمان، ثم أسمى أورشليم لذلك " مدينة الهيكل" أو الحرم، بسبب تقديمه الذبائح الناموسية، والسلام المعطى من الله.

ولأن ربنا ومخلصنا يسوع المسيح له المجد، احتمل فيها الآلام.

الفصل الثالث والثلاثون

فى عصر القضاة، كان هناك قاض بين اليونانيين يدعى "دسودس" بمعنى أنه موهوب بمائة عين ثاقبة، فيرى من بعد ويلمح بما يفوق كل البشر، وهذا الشخص إخترع فى الغرب كل أنواع العمل اليدوى.

الفصل الرابع والثلاثون

عثر كل من بروميثى و ايميثى Promethee, Epimethee على منضدة من حجر من العصور القديمة، محفور عليها كتابة تقول: "أنه هكذا صعد إلى السماء، ولما كان فى السماء كان فى قلبه" Deucalion ومن جهة كتب الخصائص وتاريخ ما حدث فى عصر الطوفان وحوادثه العجيبة.

وقد فسر إيليا النبى هذه الأشعار كما قالها اليونان.

الفصل الخامس والثلاثون

انتقلت السلطة إلى الأثينيين فى أتيكا Attique بعد الطوفان، وكان هناك ملكاً يدعى Elwafes ربما مشتقة من اسم Cecrops ككروبس.

وهو أول من جعل الوجبات أساسية، وأول من أمر الناس وشرع لهم بأن يتزوجوا فتيات عذراوات، ليصيروا لهم زوجات.

كما أمرهم أن يحفروا شبه نافورة فى الأرض فى خفية، حتى يمكن أن يسكب لهم فيها كميات من اللبن، تبدو كأنها نبع إلهى يخرج من الأرض.

وقبل فترة حكمه، كان نساء أتيكا Atteque، والأثينيين يعيشون معا فى علاقات بلا قانون إذ كانت المرأة تعبر من رجل لآخر مثل الحيوانات، وكان كل فرد يتبع هواه. فلم يكن لأحد منهم زوجة خاصة، بل كانوا يتنازعون النساء بوحشية. وكانوا لا يعرفون أبناءهم الذكور أو الإناث حيث لا يوجد أب معروف بعينه ... فكان الأولاد المولودين من النساء، يعتبروا كانهم أبناء لكل الرجال؟؟ بسبب العلاقات غير الشرعية بين الرجال والنساء.

ونعجب أن الكل كانوا مسرورين بهذا الفساد، فى العلاقات الجنسية، لدرجة أن كروكوبس Cecrps مؤلف الكتاب إعتقد بأن إقليم أتيكا Attque هذا، كان يجب أن يباد من الله بطوفان وبعد هذا العصر فإننا نرى أن الشعب عاشوا بحكمة، ملتزمين بشريعة الزواج بين رجل وإمرأة. وعاش Cecrops طوال حياته معتبراً ومبجلاً من الناس، لأنه جعل الأبناء يعرفون آبائهم كما يجب.

الفصل السادس والثلاثون

كان يعيش Orphee de thrace (أورفى) شاعر أوديسى، الذى كان يعرف عند اليونان بالحكيم الكبير، وترك لهم الكتاب المسمى ثأوغانيا Theogonie

وهذا يعنى فى لغتهم أصل الآلهة. وحسب ما ينقله المؤرخ (تيموثاؤس) كان يقول: "قبل كل العصور كان الثالوث المقدس، وهو الواحد القدوس خالق كل الأشياء".

الفصل السابع والثلاثون

يقولون أن العلماء الأثينيين كانوا أول من مارسوا الطب وفن شفاء الناس. وفى الواقع الفلاسفة هم أول من قاموا بهذا الكشف الراسخ، وهو استخدام الدواء الذى يناسب الأحشاء. وما زال كثير من الناس يذهبون إلى اثينا لهذا الغرض. لأن عمل الطب متقدم هناك.

الفصل الثامن والثلاثون

كان الملك سليمان ابن داود أول من بنى حمامات، ومجمعات فى كل مكان فى مملكته. لأن الشياطين كانت خاضعة له، فكان له هذا الفضل، خاصة قبلما يغضب الله الضابط الكل، بواسطة النساء الأجنبيات اللآئى كن يعشن معه، وقد دنسوا القدس بآلهتهم الوثنية.

الفصل التاسع والثلاثون

فى عصر القضاة الذين عاشوا فى فريجية، حيث الفيلسوف مارسياس Marsyas، وهو أول من عزف على المزمار، والبوق، والنفير. وشنف آذان الناس، وكان يدعى أنه إله، وبأنه موجد الطعام للناس عامة، وللفئات الصغيرة، فغضب الله عليه وعاقبه، حيث أصيب بالجنون حيث ألقى بنفسه فى النهر فغرق ومات.

الفصل الأربعون

عاش فى ذلك العصر البطل هرقل، وقام بمساعدته أهل جاسون Jason ومساعدة أصحابه من الملاحين، فى ذهابهم إلى هلينسبونط Hellespont.

وكان سكان هذه المنطقة لهم ملك يدعى سيزيك Cyzique، فهاجموا هذا الملك وحاربوه وقتلوه، ولم يكونوا يعلموا أنهم جميعهم أقرباؤه، وكان هو اصلاً من موطنهم، فندموا على فعلتهم هذه.

ثم اعتدوا على الناس فى سيزيك ومعناها (سيد السبع صور) وما أن حصلوا على الانتصار حتى شيدوا معبداً أسموه Rhea (ريا) أى أم الالهة، ويقال أنهم كانوا قد ذهبوا إلى مقر المقدسين، ومقر الكهنة، واستجوبوا أحدهم قائلين: "عرفنا ايها النبى، وزير أبوللو، ماذا سيكون هذا البناء؟ ولمن يخصص له؟

وقدموا الإكرام والهدايا إلى الشخص الذى كان يكلمهم، وهذا قال لهم: " لا يوجد إلا إله واحد فى ثلاثة أقانيم، وإن هناك عذراء ستحفظ هذا العمل، الذى سيختص به هذا البناء، وأن اسمه سينتشر على الملايين".

وقد كتب الوثنيون هذه النبوة بحروف من البرنز، على حجر من البللور، ووضعوها على أحد معابدهم.

وقد تحول هذا المعبد فيما بعد "أيام الامبراطور زينون إلى كنيسة، خصصت باسم القديسة العذراء مريم "أم الله".

وامر الإمبراطور زينون بتجديد هذا البناء على نفقته. وهكذا تمت تلك النبوءة التى تنبأ بها هذا النبى الوثنى الخاصة بمجىء ربنا يسوع المسيح.

الفصل الواحد والأربعون

وعندما تـرك الأرجنوتـس Les Argonantes الهليسبونت L'Helloopont يتجهوا ناحية جزيرة (الأمير)، حيث إتجهوا منها إلى شليسدون Chalcedoine راغبين فى إجتياز بحر (بونت)، فهاجمهم سكانها حيث وضعوا فى مقدمتهم رجلاً، قوياً كان سبب إنتصارهم.

ثم لما خشوا قسوة هذا الرجل القوى، هربوا من أمامه حتى نهاية الشاطىء آسفين.

حينئذ نظروا رؤية فى السماء فوق الطبيعة، فيها رجل يرتفع فوق كتفيه جناحين مثل أجنحة النسر، وكان منظره عجيباً وخاطبم قائلاً: عندما تحاربون Amycus سوف تنتصرون عليه.

وبعدما سمعوا كلام الرؤيا تشجعوا، وهبوا بهجوم حتى هزموا أميكوس وقتلوه.

حينئذ عظموا المكان، الذى شاهدوا فيه هذا الوجه السماوى، فشيدوا فيه معبداً، ونحتوا فيه تمثالا، تذكاراً لهذه الرؤية. وأسموا المعبد Sostheniun لأنهم قالوا أنهم أنقذوا باجتماعهم فيه. وسمى هكذا إلى يومنا هذا.

وفى عهد قسطنطين الكبير أشهر الأباطرة المسيحيين "عبد يسوع المسيح" بعدما جعل مقر حكمه فى بيزنطة، فى الامبراطورية الرومانية، جاء إلى سوزينيوم وأغلق معبد الأوثان بها وألغاه. ولما شاهد التمثال المقام هناك، عرف فى الحال أنه تمثال أحد الملائكة، ولكنه إمتلأ بالوساوس، مما جعله يتجه بالصلاة إلى ربنا يسوع المسيح، الذى وضع فيه كل إيمانه، قائلاً "عرفنى يا رب لمن هذا التمثال"، وفى أثناء نومه كشف له هذا السر وهو أن هذا التمثال كان لرئيس الملائكة القديس ميخائيل.

ولما علم الإمبراطور أن هذا الملاك هو الذى دفع الناس لمقاتلة Amycus، أمر بتزيين هذا المعبد، وجعل اتجاهه نحو المشرق، ثم كرسوه كنيسة باسم رئيس الملائكة

ميخائيل. وقد حدثت فى هذه الكنيسة عدة معجزات شفاء للأمراض، ومن بعدها بدأ المسيحيون فى بناء كنائس أخرى مخصصة للملاك القديس ميخائيل رئيس الملائكة، يقدمون فيها الذبائح المقدسة لله.

الفصل الثانى والأربعون

يتحدثون عن المسامير المقدسة التى وجدت مع صليب ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، التى سمر بها جسده المقدس، ان القديس قسطنطين صديق الله، أخذ واحداً وربطه فى سرج حصانه، وآخر جعله شكيمة لحصانه، وألقى بالثالث فى مضيق خلقيودنية، الذى تعرضوا فيه لمخاطر كبيرة، وبفضل هذا المسمار هدأت أمواج البحر، وتوطدت الامبراطورية فى مدينة القسطنطينية. حيث كان فى عصر زينون، عرش الامبراطورية فى روما، ولكنه فى ذلك الوقت فقط قرر مجلس الشيوخ جمع الامبراطوريتين فى واحدة.

ونشأت إحدى هاتان الامبراطوريتان، بسبب ثورات البربر المستمرة، والأخرى بسلطان الرؤساء، حتى يكون هناك رئيساً فى آسيا.

الفصل الثالث والأربعون

حكم شمشون آخر القضاة فى بلد تسمى La Pathus (محرفة عن أوليطوس). وشمشون هذا كان له إبنان هما: لقونا Lacon، أخيا Achaeus فقسم إقليم مملكته إلى قسمين، واحتفظ بجزء لنفسه ووهب الآخر لإبنيه.

وبعد موته أسموا أحد الاقليمين باسم ابنه الأكبر أخيا والجزء الثانى باسم الأصغر لاقونا إلى اليوم.

الفصل الرابع والأربعون

في هذا الوقت حكم في هيلاد Hellade (أياباتس) ملكاً يدعى Pelops وأسس مدينة أسماها على اسمه Peleponnese ،واسم مملكته هو هيلاس Hellas حتى يومنا هذا .

الفصل الخامس والأربعون

هناك نص محذوف، وبعض أسماء أخرى محرفة مثل: فريجية Phyrgie، (اسبرطة)، إليون Illion، بريام priam...

الفصل السادس والأربعون

كان هناك رجلاً يدعى Palamedes بلاميدز مليء بالحكمة والعلم، وكان أول من تعلم وعلم فن الموسيقى، على الكمان، والجيتار والقانون، وكل أدوات الموسيقى الأخرى.

الفصل السابع والأربعون

في هذا الفصل تضارب في المعاني "جزء عن تاريخ حرب طروادة وفي الجملة الأولى كلمة h 74 A، والكلمات الأخيرة للجملة الأولى مأخوذة من النص اليوناني، والجملة الثانية هي جزء من تاريخ Palladium. والجملة الأخيرة وما قبلها مأخوذة من مغامرات Ulysse في صقلية.

الفصل الثامن والأربعون

شيد سليمان ابن داود ملك اسرائيل بناء كبير في ..... لتخليد ذكراه حتى لا ينسى اسمه ولا اسم والده.

وأعطاه لرجل يدعى Aywanf وهـذا معناه (النـور) فـي كنعـان. وأسمـى البنـاء بالميرا (Palmyre). وحقيقـة أن داود أبـوه، هـذا البطـل الشجـاع، كـان قـد هـزم جلياط الفلسطيني وانتصر عليه، وقتله في هذا المكـان، ولهـذا أعطـى للمدينـة اسـم Mezad مما جعل شعب Azmad الغرباء يستقروا فيهـا. وكـان يسـكن فيهـا عـدد كبير من العساكر اليهود. ثم استولى على هذه المدينة أخيراً، نبوخذ نصر بعد معارك ضارية وتعب كثير، ودمرها وأشعل فيهـا النيران، حتى إختفت ذكراهـا إلى يومنـا هذا.

الفصل التاسع والأربعون

أخذ نبوخذ نصر أيضاً مدينة ثيرا Tyr التي كـانت جزيـرة محاطـة بالمياه، بعدمـا بذل جهوداً جبارة للاستيلاء عليها. ثم أمر جنوده الفرسان والمشاة، بـإلقاء الرمـال في بوغاز البحر، الذي يحيط بالمدينة لردمه.

الفصل الخمسون

في هذا العصر الذي وقع فيه بني اسرائيل في السبي بواسطة نبوخذ نصر، الذي قام بهذا العمل بأمر من اللـه، ومعونة من ملائكته.

وقبلما يمضي ويحرق مذبح الرب، سبق أرميا الشهير بين الأنبياء، والمملـوء غيـرة على الخير، ودخل إلى القبـة الثانيـة، المسمـاة قـدس الأقـداس وأخـذ تـابوت الـرب المغشى بالذهب من الخارج والداخل، ضمـن مـا يحتويه مـن الأشياء المقدسـة، مثـل لوحي العهد، وقسط المن، وعصا هارون المزدهـرة والحاملـة لـوزاً. وقطعـة الصخـرة المأخوذة من الصخرة، التي أخرج منها موسى المـاء للشعب، عندمـا عطشـوا (هـذه الصخرة كان يحتفظ بها موسى عندما كان يسير أمام الشعب عبر الصحـراء، وكـان يضربها بعصاه، فيتدفق الماء منها ليشرب الشعب، والمواشي).

لكن عند مجيء ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الثانى، سيسبق ذلك ظهور إشارة الصليب، وسيظهر تابوت العهد محمولاً بملائكة، وهو الذى أمر الرب موسى بصنعه. وسيأتى أيضا أرميا الذى كان قد خبأه فى الصخر، وفى وقت قيامة الأموات ستظهر علامة الصليب، ويأتى بعدها ربنا يسوع المسيح المصلوب له المجد.

وهذا الكلام وجد فى تعاليم أبونا القديس المضىء ابيفانيوس مطران قبرص، الذى سجل لنا تاريخ الأنبياء فى كتابه "ما بعد دمار أورشليم ونهاية ملك اليهود".

الفصل الواحد والخمسون

بعدما هزم كورش الفارسى، استياج، أصبح ملكاً وهو ابن كمبيز.

لكن كريسوس (ملك ليديا) كان شديداً قاسياً ومتكبراً، وكان يستولى على جملة ولايات قريبة وبعيدة عنه. وكان الملوك الذين يقبلون سيطرته، يدفعون له جزية لكى يكونوا فى سلام. أما الذين يقاومونه، فكان يقودهم أسرى إلى بلاده، ويستولى على ثرواتهم وأراضيهم، لأنه كان قوياً ومرعباً جداً، وسيداً منتصراً آنذاك.

وكان كورش فى قلق عظيم من جهته، وكانت له زوجة تدعى ترتانا، وكانت زوجة داريوس خليفة بيلشاصر فقالت له "يوجد بيننا نبياً من العبرانيين كان من بين أسرى صبيان اسرائيل، يدعى دانيال، فيه حكمة الله. وداريوس لم يكن يعمل عملاً بدون مشورته، وكان كل ما يخبره به هذا النبى يحدث فعلاً.

ولما سمع كورش هذا الكلام أرسل فاستدعى دانيال النبى، وأحضروه بكرامة عظيمة، ثم سأله: هل سأنتصر على كريسوس أم لا؟ فسكت دانيال لمدة ساعة، ثم أجاب بتواضع: من يستطيع أن يعرف حكمة الله؟ ثم صلى طالباً الرب الهه أن يعلن له ما إذا كان كورش سيهزم كريسوس المتكبر الزاحف عليه بجيشه!

فاستجاب اللـه لصلاته وقـال لـه: أذ أعطى هـذا الملك حرية لبنى اسرائيل وأطلقهم من السبى، سيهزم كريسوس عدوه ويستولى على امبراطوريته. ولما أخبره دانيال بهذه الكلمات خر كورش على قدمى دانيال وحلـف لـه قائلاً: بحياة الـرب إلهك سأعيد بنى اسرائيل إلى القدس بلادهم حتى يعبدوا الرب الههم.

وإيفاء بالوعد نحو اللـه، فقد حفظ كورش المعروف لإسرائيل وسمح لهم بـالعودة، وبعد ذلك فإن كريسوس بدأ الحرب بجيش ضخم، ليستولى على ولايـات كـورش. لكنه بعدما عبر نهر الكبادوك لكى ينزل بكـورش الهزيمـة السـاحقة، إنهـزم هـو من كورش، ولم يقدر أن يهرب أو يختفى، لأنه كان محصـوراً بـالنهر الـذى أمامـه، لكـن عدداً كبيراً من جنوده غرقوا فى النهر، أما هو فلم يستطع الهرب، لأن اللـه شاء أن يوقعه فى يد كورش، حيث أدركه عسكر كورش، وأخذوه مكبلاً بالسلاسل، بعدما قتلوا أربعين ألفاً من رجال جيشه، وأمر كورش بإعدامه فى جـذع شـجرة، وقاسـى بقية جيشه الإذلال. أما اسرائيل وملكهم المأسور، فقد سمح لهم بـالعودة إلى بلادهـم كما كان قد وعد دانيال النبى.

وبعدما عاد كورش إلى فارس، وزع ممتلكاته، وملك إبنه قمبيز علـى امبراطوريـة فارس وبابل، ولكنه كان رجلاً شريراً لم يقتف حكمة أبيه ولا خدمة اللـه إلهه.

وكان فى ذلك الوقت يحكم مصر، الملك: إبريس (أبريز)، فى مدينـة طيبـة وفـى منف، وفى مدينتين أخريتين هما (سوفيرو، مؤهيب) Soufirou , Mouhib .

وكان قمبيز يعد الدسائس للشعوب المجاورة، فأرسل إلى القدس، وأمر بأن يمنعوا اليهود من إعادة بناء هيكل اللـه، وقاد حملة كبيرة من جيش كثير العدد، من فرسان ومشاه، من ميديا لكى يهاجم مصر، وسوريا، فلسطين لأنه كان فاتحاً للعالم كله وقـد حاول سكان سوريا وفلسطين، أن يتصدوا لهجومه لكن دون جدوى. فخرب عـدداً كبيراً من مدن اليهودية.

ولأنه كان متكبراً غير اسمه إلى نبوخذ نصر، وكان إستعداده استعداداً وحشياً وميوله شريرة، إذ كان كارهاً للناس مع أن أبوه كورش كان عظيماً، مكرماً أمام الله الحى، منذ أمر ببناء هيكل الله والقدس بغيرة وورع.

وأعاد الكاهن العظيم يهوشع بن صادوق، وزربابل الذى هو إدراس Edras وسمح لكل الأسرى اليهود أن يرجعوا إلى بلادهم فى فلسطين.

أما قمبيز الذى هو نبوخذ نصر الثانى، وبيلشاصر، فعلى العكس فإنهما أحرقا المدينة المقدسة والهيكل، ثم مضى قمبيز إلى غزة وجمع كل جيشه وألات الحرب، وقاده إلى مصر لكى يغزوها، فحصل على النصر وأستولى على المدن المصرية: الفرما، سنهور، وسان، وتل بسطة San et Bastah وأخذ أبريز، فرعون حيا إلى مدينة طيبة وقتله بيده هناك.

وكان هناك محارباً يسمى فوسيد (Phousied) وكان متمسكاً بالفضيلة وكارهاً للشر، وكان قد غزا سوريا أثناء الحرب بين الفرس والمصريين، وأسر أربعة أولاد لقمبيز مع زوجاته وعددهم أربعون، وحرق منازلهم، ونهب ثرواتهم، واقتادهم إلى مدينة منفيس حيث سجنهم فى قصر الملك.

وعندما قامت حرباً جديدة بين المصريين والسوريين، فإستعاد هؤلاء تفوقهم وإنتصروا على المصريين، وغزوا مملكة طيبة.

وبينما الجنود يمارسون علامة تعهدهم فى القتال، وكانوا يصوبون النشان، أصيب فواسيد بسهم فى الناحية اليمنى، فحمله الجنود المصريون قبلما يقضى نحبه، بعيداً عن هجمات السوريين، ولكنه لم يعش إلا ساعة واحدة، ومات تاركاً مذكراته الشهيرة (وصيته) لمن يخلفه.

ولما لم يبق للمصريين قائداً مثل فواسيد هذا، ارتخت عزيمتهم وانسحبوا إلى مدينة

لكن قمبيز هاجم هذه المدينة أيضا وأستولى عليها ثم دمرها.

وغزا أيضا كل مدن الوجه البحرى شمالاً حتى شاطىء البحر، وجرد السكان من كل ثرواتهم، ودمر مدنهم وقراهم، وأشعل النيران فى منازلهم، فجعل من مصر صحراء جرداء لا بشر فيها ولا مواشى ولا نباتات ولا أشجار.

ثم توجه نحو الريف، وهاجم مدينة منف، وهزم الملك الموجود بها، وسلب ودمر مدينة بوصير التى تقع جهة منف وسلب ثروتها وأشعل النار فيها، وهرب أبناء الملوك الذين تبقوا بعد القتال إلى مدينة أخرى قريبة، حيث اختفوا فى قلعة وأغلقوا أبوابها. ولكن السوريين حاصروا هذه القلعة، وهاجموها ليلاً وضربوا مدينة منف الكبرى.

وكان هناك أحد ملوك مصر ويدعى مودجاب Moudjob كان قد أخطر ابنه الكاد Elkad، سراً بأن يحصر له ثرواته وثروات ضباطه، وزوجات قمبيز (نبوخذ نصر) الأربعون، اللآتى كان القائد فواسيد قد أخذهن، ففتحوا أبواب القلعة ليلاً، وأخرجوا كل هؤلاء من طريق سرى لم يعرفه أحد إلى الصحراء. أما عن أولاد قمبيز الأربع، فاصطحبهم سكان مدينة منف وأصعدوهم على السور، وذبحوهم ثم قطعوهم إلى قطع، وألقوا بأطرافهم إلى أسفل حيث كان قمبيز.

وعندما رأى جيش قمبيز هذه الفعلة الشنيعة من سكان منف. هاجوا وماجوا، وهجموا على المدينة بدون رحمة، ونصبوا آلات الحرب وضربوا قصور الملوك، وقتلوا من فيها من أبناء الملكين، مدجاب، وسوفير، وكذا رؤساء الحرب الموجودين بالمدينة.

وعندما علم الكاد Elkade بموت أبيه هرب إلى بلاد النوبة، حيث قام قمبيز بهدم مدينة أمون (هليوبوليس)، ومصر العليا، حتى مدينة أشمون.

أما سكان مدينة أشمون، فلما أبلغوا بقدوم قمبيز، طرحوا عنهم الخوف، وتحصنوا فى مدينة الأشمونيين، ثم أرسلوا إلى الكاد ابن مودجاب فى النوبة، رسالة يدعونه للحضور إليهم، لأنهم يعترفون به ملكاً، بدل ابيه وكان قد حارب قديماً اقليم سوريا. فجمع الكاد جيشاً كبيراً من الأثيوبيين والنوبيين، وسار ضد جيش قمبيز، محارباً الضفة الشرقية لنهر جيحون، ولم يعبر الأثيوبيون من النهر مباشرة، ولكن السوريين عملوا خديعة إذ تحركوا كما لو كانوا يريدون الهروب، وابتعدوا عنهم. ولكن عند مجيء الليل عبروا النهر بحرص، حيث استولوا على مدينة الأشمونيين، وضربوها دون أن يلاحظ جيش الكاد ذلك.

وبعدما انتهوا من مدينة الأشمونيين تقدموا نحو مصر العليا حتى وصلوا مدينة أسوان حيث خربوها، وعبروا النهر فى مواجهة مدينة أحيف Ahif وحطموا (فيلة) مثل بقية المدن، واستداروا على بقية المدن والنجوع الباقية وسلبوها، فجردوا مصر لدرجة لم يعد يوجد بها كائن حى، أى أصبحت صحراء، لا إنسان فيها ولا عصفور تحت السماء.

مما جعل الكاد يغير طريقته هو ورجاله الباقين، حيث ذهبوا لمقابلة قمبيز حاملين الهدايا على أنغام الأبواق والطبول.

ووقفوا على بعد، حيث سجدوا أمامه طالبين العفو. فمنح قمبيز العفو لهؤلاء المصريين الأحياء الذين جاءوا يقدمون له الطاعة والخضوع، وعاملهم بلطف وأرسل بعضهم إلى ميديا والبعض إلى بابل، مولياً عليهم حاكماً من بينهم.

أما الكاد فلم يخلع عنه التاج الملوكى، بل على العكس، اجلسه على العرش، ولم يصحبه معهم.

وكان عدد المصريين الذين أخذهم قمبيز معه نحو خمسون ألفا، ما عدا النساء والأولاد. وظلوا هناك فى أسر فارس لمدة أربعين سنة، ظلت فيها أرض مصر صحراء.

حيث مات بعد ذلك فى مدينة دمشق، وحكم بعده الحكيم الكبير Artexerxes (ارتزركسيس) لمدة عشرون عاماً وكان مثالاً للفضيلة، لم يكف أبداً عن حب الله وحب الناس.

وكان قد أمر نحميا ضابط البلاط، ساقى الملك ببناء أسوار أورشليم، فعامل شعب اليهود بطيبة، لأن كلاً من داريوس، كورش كانا قد كرما إله السماء وخافاه، ولهذا كانا يشجعا كل مشروعات اليهود.

أما بالنسبة للمصريين فكان يعاملهم برفق أيضاً وكان يختار من بينهم عمالاً ضمن ضباطه. وأخيراً سمح لهم بالعودة فى سنة ٤١ من أسرهم.

وبعد عودتهم بدأوا فى بناء منازل لهم، فى مختلف مدنهم ولو أنها كانت صغيرة. كما زرعوا الأشجار والكروم. وأختاروا لأنفسهم ملكاً يدعى فافاتورس Phavatouros حسب أمر أرتزركسيس.

بعد ذلك كان هناك مصرياً أميناً ومريحاً، يدعى إسكينوفى Schenoufi. وهو رجل حكيم فاضل، ويعنى اسمه "الخبر السار"، هذا إهتم كثيراً فى بناء المدن والجوع ، وساعد فى إعادة زراعة الأرض، لدرجة أن أعيد كل بناء الكفور فى مصر، وفى وقت قليل. وأعيد تنظيم هذا البلد إلى ما كان عليه من قبل، وفى عصره انتعشت مصر برخاء عظيم، وزاد عدد السكان كثيراً. وتضاعفت عدد ماشيتهم أيضاً وحكم اسكينوفى لمدة ثمانية وأربعين سنة كانت كلها رخاء وسلام، وكان الجميع سعداء لعودة الأسرى المصريين، ومات مشوباً بالإحترام والوفاء.

وقبل موته كا قد أمر بـإحصاء المصريين، وكـان عددهـم يبلـغ خمسمائة ألـف نسمة. وبعد موتـه بقـى المصريون فـترة طويلـة بـلا ملـك، ولكنهـم كـانوا يدفعـون الضرائب للسوريين وللفرس معاً.

وعاشوا فى سلام حتى اختاروا لهم فرعونا آخر أقاموه كملك عليهم، ثـم كـانوا يدفعون له الضرائب.

ولكن الفرس لم يتركوهم يدفعوا الضرائب لملكهم، مع أن الفرس بقوا أيضا فترة من الزمن بلا ملك، بعد موت ارتزركسيس العظيم الذى أظهر للمصريين لطفاً.

ثم من حكم بعد أرتزكسيس، قام بحرب ضد اليهود وأخضعهم لـه، ثـم حـارب المصريين أيضا وهزمهم، وأستولى على ثرواتهـم خاصـة وأن مصـر بلـد خصبـة جداً والحمد لله.

وكان نكتانافو Nectanafo آخـر الفراعنـة، ولكنـه كـان سـاحراً وقـد سـأل الشياطين النجسين، لكـى يعلمـوه إن كـان سيحكم البـلاد أم لا؟ فعلـم مـن كبـار السحرة بتصريح إيجابى أنه لن يحكم المصريين.

فغضب وحلق رأسه، وتنكر وغـير وجـه خلقتـه، وهـرب إلى الفرمـا أولاً ثـم إلى مقدونيا حيث أقام هناك. فبقى المصريين تحت حكم جوليـانوس Joulianos حتـى جاء الاسكندر قاهر العالم، الذى قتل Hastates ملك الفرس.

وبعد وقت قصير، ملك على الفرس أوشيس Ochus، بعد مـوت أرتزكسيس بقليل، ولمدة إثنا عشرة سنة. ومـن بعـده ارتزكسيس لمـدة ٢٣ عامـاً، ثـم داريـوس المسمى اكريوز Akreyous لمدة ستة سنوات، وحينـئـذ هـاجم الاسكندر الأكبر هذا الأخير وقتله، واستولى على امبراطورية بابل. لأن الاسكندر بن فليب المكدونى كان قاهراً للعالم.

الفصل الثانى والخمسون

كان هناك رجل يدعى إيمى Emee، تزوج إبنة لاتينس Latinus وتسمى ليفينيا، فأسس مدينة كبيرة سماها بإسمها، ثم أقام نفسه حاكماً عليها.

الفصل الثالث والخمسون

وكان فى إيطاليا رجل يدعى بلاس، كان يحيا مع إبنه وكان قوياً وميالاً للحرب، لذلك استولى على عدد من البلاد، وأخضعها له بالقوة، واستولى على البلاد الخاضعة ل إيمى.

وعندما هاجمه إيمى، استولى على مدينه، وبنى بها منزلاً كبيراً جمله بالزخارف، لدرجة لم يكن مثله فى أى مدينة أخرى، وبنى أيضا قصراً سماه بإسمه (بلاس).

الفصل الرابع والخمسون

واعتلى العرش كروسيس، فأسس مدينة سماها إلبا، وعندما غادر ألبانيا وجاء إلى الوانيا التى هى نفسها إلبا والتى يعنى اسمها "ضياء".

الفصل الخامس والخمسون

كانت هناك امرأة كنعانية تدعى ديدون Didon، متزوجة من رجل اسمه سيكاوس، وكانت منتسبة لمدينة تسمى كارتيماس Chartimas، واقعة على شاطىء البحر، بين ثيرا وصور.

وكانت غنية جداً وكان لها أخ يدعى بيجماليون، يطمع فى الاستيلاء على أملاكها وثروتها، فقام على زوجها وقتله، ولكنها استطاعت أن تجمع كل أملاكها وثروتها، وأبحرت بسرعة من كنعان إلى ليبيا، وهى اقليم فى افريقيا، وأنشأت هناك

مدينة كبيرة أسمتها قرطاجنه، ومعناها بلغة البربرية (المدينة الجديدة) وصارت حاكمة عليها بكل حكمة حتى موتها.

الفصل السادس والخمسون

فى عصر اشعياء النبى، وآحاز ملك يهوذا، كان هناك أخوان أحدهما روميليس والآخر رومانيس، أسسا مدينة كبيرة بجانب المدينة الصغيرة فالنتيا، الواقعة فى ايطاليا بلد لاتينيس، الذى كان من قبل القصر الملكى المسمى بلّلانتيم، الذى جدداه، وشيدا معبداً لزيوس إلههم أسمياه بلغتهم (الكابيتول) أى رأس المدينة، واستخدموا اسم رومانى من اسميهما ودعوه على اسم مدينتهم (روما) وكذا شيدا قصراً عظيماً ملكياً بديعاً.

وحكم الأخوان معاً، وما لبثا أن نشأت العداوة بينهما، فقتل روميليس أخاه رومانيس، وإستأثر لنفسه بالسلطة.

فأصيبت المدينة بزلزال حتى فزع الشعب من الاضطرابات التى اصابتهم، وخاف روميليس أيضا وإضطرب يائساً من الحياة.

فذهب واستشار الأنبياء الكذبة والشياطين النجسة، فأجابوا بأن مُلْكه لن يكون له دوام ولا ثبات فى روما بدون اخيه رومانيس. حينئذ فكر فى وسيلة يقيم فيها أخاه من الموت ولكن دون جدوى.

وفى تلك الأثناء حدث اضطراب عنيف من جديد، وظهرت صورة مشابهه لأخيه تماماً من رأسه وحتى صدره.

فعمل تمثالاً من ذهب مطابقاً لصورة أخيه التى رآها، من رأسه حتى صدره، ووضعها بجانب كرسى العرش، وزينها بكل الزخارف.

وكان فى كل رسائله التى يكتبها يقول: "رسائل مرسله منى ومن أخى... نحن الاثنان نقول، ونأمر وننفذ ......".

وظلت هذه الطريقة كتقليد يعمل به الرومان حتى اليوم. وإحتفظ ملوكهم وقضاتهم بهذه الصيغة فى محاكمهم التى كانوا يسمونها مسكن الكاهن، أو قاعة المحكمة (العدالة). وكان روميليس أول من أدخل فى روما تقليد ركوب الخيل، وأنشأ السباق وكيف يهزم أحدهما الآخر. وإخترع هذه الممارسات الشيطانية أصل الخطايا والشرور، حتى أصبح الرومان أقوى فرسان العالم.

وأوجد روميليس معارك للنساء أيضا، وترجمتها باليونانية (المنطاطون) مما أوجد فرصة للجنود أن يمضوا ويقيموا معهن، وكانوا قد اغتصبوا كل النساء المتزوجات والعذراوات وحتى الأرامل.

وخشية الفوضى التى صارت من هذه الحوادث والمخاصمات، فإن روميليس رتب أن يكون للنساء سباق بمفردهن، بعيداً عن الرجال، وقسمهن إلى مجموعتين: مجموعة الفتيات والشابات، ومجموعة النساء المتزوجات وذلك من كل البلاد المجاورة البعيدة، مكوناًمجموعة كبيرة من الفارسات.

أما النساء الغرباء عن هذه المنطقة الذين كانوا يأتون للمشاركة، فكان الجنود يستولون عليهم لإشباع رغباتهم معهن.

ولكثرة الفساد فقد خصص مدينة مجاورة لروما، كانت مشهورة بالفتيات الجميلات، دعاها (مدينة السبأ) ثم منحهن لهؤلاء الجنود الذين لم يكن لهم زوجات، وسماهم (المحاربين) وسمح بأن كل واحد يحاول أن يسلب الواحدة من الآخر فيما بعد.

ونتيجة لهذا فكان الرومان يأخذون النساء تبعاً لاحتياجهم. ولكن ليس على سبيل الخطف.

وأنشأ طبقة كهنة الأصنام وأسماهم كهنة أبوللو. وبنى جدران حول مدينة روما.

وبنى معبداً فى مدينة إبريس فى شهر مارس وهو (الماجابيت) ومعناه أول الشهور، وكانوا يحتفلون فى بداية هذا الشهر بعيد البريمس Primus . وبعدها يأمر روميليس الجنود بأن يحاربوا.

وأسموا هذا الشهر مارس، وحسب تقليد الوثنيين الذين كانوا يمارسون الشعوذة، وسجلوا هذه الممارسات بجهل واحتفظ الرومان بها كتقليد.

ولذا فإن آبائنا القديسين والرهبان المصريين المفرزين، يقدمون فى بداية كل شهر ذبيحة غير دموية للثالوث الأقدس الواحد، ثم يتناولون من الأسرار المقدسة المحيية مرنمين بكلمات المزمور الثمانين " رنموا بالبوق فى أول الشهر (القمرى) فى اليوم الرسمى لعيدنا".

الفصل السابع والخمسون

خلف روميليس نوما Numa، وكان رجلاً حكيماً عاقلاً جداً، فأصدر قوانين سامية يحكم بها مدينة روما فى الطريق الصحيح، وكان هذا الرجل السامى أول من صك النقود النحاسية، لكى تستخدم فى التجارة، طريقة تبادل النقود. ولذلك تسمى النقود النحاسية حتى اليوم (فلوس). وأوجد مرتبتين: احداهما لعلية القوم أو (النبلاء) والأخرى للقضاة الذين يعطون الأوامر للضباط وكل الجيش.

الفصل الثامن والخمسون

فى عصر يهوذا الكاهن العظيم الذى كان فى أورشليم، حكم فيليب فى مقدونيا، وبعد جلوسه على العرش، حارب مقاطعة تسالى وأحرز النصر، وعندما أخضعها شيد فى مقدونيا مدينة أسماها تسالونيكى.

الفصل التاسع والخمسون

عندما اعتلى العرش الاسكندر بن فليب المقدونى، أنشأ مدينة الاسكندرية الكبرى فى مصر وسماها باسمه والتى كانت تسمى قبلاً راكوتى فى لغة المصريين.

ثم قام بمحاربة الفرس. ولما وصل إلى حدود أوما (لاروديسى أو أورديس) وشيد فيها مكانا اجتمع فيه كل جيشه، حيث وزع كمية كبية من الذهب على قواده وضباطه وكل جيشه الكبير، وأسمى ذلك المكان (كريزوبوليس)، وهكذا يسمون سكان بيزنطة.

وعندما أغار على الفرس قتل عدداً كبيراً من جنود داريوس، حتى أفنى كل جيشه، وأصبح الاسكندر سيداً لكل امبراطورية داريوس، فأخضعها لسلطانه، وأسر إبنة داريوس، وهى عذراء تدعى روكسان ولكنه لم يسىء اليها بل تزوجها.

وأما ملكة الحبشة كنداكة فأكرمها الاسكندر، وقدرها لحكمتها العالية، عملت هذه الملكة كما يريد الاسكندر لانها علمت أفكاره، وكان معتاداً كلما يهزم ملكا من ملوك العالم، يريد أن يكتشف آخر، ولكن الملكة كنداكة قامت بإيقافه وخاطبته قائلة: "إن كنت أنت الملك الاسكندر العظيم، وقد استوليت على العالم كله، ولكن إستحوذت عليك إمرأة ! فأجابها " إنه بفضل حكمتك وذكائك وعقلك الراجح، إستحوذت عليّ، وأنا من الآن فصاعداً أحميك ضد أى إساءة أنت وأولادك، وسائر زوجك".

ولدى سماعها لهذه الكلمات ألقت بنفسها عند قدميه، وإرتبطت معه بعد ذلك الوقت وتزوجها، فصار جيشها خاضعاً له. وقد قام الإسكندر بتقسيم إمبراطوريته، بين أربعة قواده الذين ساعدوه فى الحرب وهم: فليب أخوه الأكبر، الذى أخذ مقدونيا وحكمها. وأورما حكم أوربا وأعطى بطليموس لاجوس ملك مصر.

الفصل الستون

أصبحت مصر تحت حكم بطليموس فيلادلفوس، الذى معنى اسمه "المحبة الأخوية" والذى كان رجلاً موهوباً جداً وحكيماً (وسمى ابن لاجوس)، هذا الملك أمر بترجمة الكتب المقدسة من اللغة العبرية إلى اللغة اليونانية، بمساعدة الشيوخ اليهود فى مدة ٦٢ يوماً، لأنه كان له ٦٢ مترجماً. وقد مات قبلما يتموا الترجمة.

الفصل الواحد والستون

انتيوخس أبيفانيوس حكم فى آسيا وسيلسيا، وفى المنطقة التى تمر بها نهر يسمى دراجون Dragon الذى يجرى فى اقليم أورينتا Orente. وحكم فى سوريا وبابل وفلسطين رجل يدعى سلوكس نيكانور، وقد هاجم انتيوخس ملك آسيا وقتله، لأنه بنى بالقرب من نهر دراجون مدينة اسماها انتيجونيا، واستولى على أملاك منطقة جوبوليس وعلى قلعة تقع اسفل جبل سلبيون Silpion .

كانت تسمى هذه المدينة قبلاً بوتيا Bottia، وشيد فيها مدينة أنطاكية الكبرى التى أسماها باسم إبنه انتيوخس، ثم شيد مدينة لذكرى إبنته وأسماها لادوكية (لاذقية).

وكان اسم المدينة أولاً (مازودبان). ثم أسس أيضاً مدينة اسماها (أبامى Apemee) وكانت تسمى قبلاً فارناكى.

الفصل الثانى والستون

وسيليكوس الذى هو بوسانيوس كان أول من كتب التاريخ وسجل السجلات التى أسماها ...

الفصل الثالث والستون

وقد عذب انتيوخس أبيفانيوس المكابيون.

الفصل الرابع والستون

تاريخ قناصل قدماء الرومان، أولهم يوليوس قيصر الدكتاتور، والذى شغل السلطة العليا عند الرومان، قبل تجسد ربنا ومخلصنا يسوع المسيح. ولم يكن ميلاد يوليوس مثل سائر البشر الآخرين حيث يلدهم النساء بعد الشهر التاسع، لكن فى الواقع ماتت امه أثناء نمو الجنين، فتحرك الطفل فى أحشائها، ولما رأى الأطباء تحرك الطفل، فتحوا بطن الأم وأخرجوا الطفل، واعتنوا به، ولذلك سموه "قيصر" ويعنى مقطع أو مبتور ومنفصل (جاءت منها كلمة قيسارية) وعندما كبر كانوا يدعونه ترايامفير (Triumvir)، وحسب قرار مجلس الشيوخ فى روما تربى على السلطة فأصبح ملكاً، وعندما ثبت أقدامه واستقر سلطانه أصبح قوياً.

فصار الفرس والبربر فى فزع منه. وجعل هذا القيصر أول شهر إرتفع فيه إلى الملك أول شهور السنة.

وأصدر تعليماته وأوامره إلى الحكام ومديرى المديريات الذين كانوا يتولون السلطة فى اقليم إمبراطوريته بذلك.

وجاء إلى الشرق ثم إلى الاسكندرية المدينة العظمى فى مصر، حيث قابل إبنه بطليموس المسمى ديونيسيوس ملك مصر الملكة كليوباترا.

وكانت فتاة جميلة جداً فأحبها القيصر وتزوجها واعطاها مملكة مصر، ثم أنجب منها إبن أسماه (يوليوس قيصر) وكانوا يسمونه أيضا سيزاريون، وشيد قيصر قصراً عظيماً وجميلاً فى مبانيه فاخراً سماه بإسم إبنه سيزاريون، وعندما إعتلى قسطنطين الكبير إمبراطور المسيحين عرش روما، حول هذا المبنى إلى كنيسة بإسم القديس

ميخائيل، التى تسمى حتى اليوم كنيسة سيزاريون، لأنها شيدت بواسطة يوليوس قيصر الصغير، قيصر الكبير.

الفصل الخامس والستون

يحكى عن ارشيلاوس Archelaus حاكم كبادوكية، وعن هيرودس Herode الشرير قاتل أباه (وهو أول من أكل اللحوم نيئة ودامية، ولم يكن يؤمن بالدين). حكم هيرودس هذا فى اليهودية وكان خاضعاً لقيصر الأول، الذى اعترف به ملكاً طوال حياته مع ارشيلاوس، الذى شيد أيضا فى كبادوكية مدينة اسماها قيصرية الكبادوك، لكى يخلد اسم قيصر. وهذه المدينة كانت تسمى سابقاً (مازاكا Mazaca).

الفصل السادس والستون

وأنشأ هيرودس أيضا مدينة فى فلسطين، أسماها قيصرية، كرامة للإمبراطور، وهى مدينة جميلة جداً وكانت تسمى قبلاً بقلعة إستراتون Straton (اسطراطو نستوفوس).

وجعل الطريق الموصل إليها يصل إلى مدينة انطاكية، ورصفه بالحجارة البيضاء على نفقته الخاصة، مخصصاً هذا الطريق فى أول نشأته للملوك، ولا يستعمل إطلاقاً ثم أرسل جيشاً من اليهود إلى مصر، وأجبر مدنها على الخضوع للإمبراطور، وجعل سكان بنى الشرق يدفعون الجزية لقيصر.

الفصل السابع والستون

نزلت الملكة كليوباترا من فلسطين إلى مصر لكى تقيم بها، وعندما وصلت إلى الفرما، أثارت الحرب على المصريين وهزمتهم، ثم جاءت إلى الاسكندرية وحكمت

فيها، كانت هذه المرأة متميزة بصفات شخصية، وتصرفات تتصف بالقوة والشراسة، فلم يقم قبلها من الملوك السابقين بمثل ما قامت به.

وقد شيدت بالاسكندرية قصراً عظيماً رائعاً، كان موضع اعجاب كل من يراه، فلم يكن مثيله فى العالم كله آنذاك، حيث شيدته على جزيرة تقع شمال غرب مدينة الاسكندرية وخارجها، على بعد نحو أربعة أميال، وأقامت جسراً للعبور إليه بواسطة ردم الحجارة والرمال، فكونت أرضاً صلبة لصد ماء البحر يمشون عليها بأقدامهم، بعدما كانت تعبر به السفن من قبل.

وكان يساعدها فى هذه الأعمال الضخمة والمدهشة، رجل عالم وعبقرى يدعى ديكسيفانس Dexiphanes، وهو الذى قام بردم الماء، وشيد فى البحر طريقاً صلبة للمرور فوقها.

بعد ذلك حفرت كليوباترا قناة توصيل مياه جيحون حتى البحر، تمر فى المدينة، وكانت السفن تستطيع الوصول إلى قلب المدينة، فحدث رخاء عظيم، وقد كانت المدينة قبل ذلك لا يصلها الماء، فاحضرت لها كليوباترا المياه بوفرة.

وكانت تنفذ كل هذه المشروعات برخاء لخير البلاد، الى يوم وفاتها. فكانت تنشىء المؤسسات الهامة والأعمال الجليلة بعدد لا حصر له.

هذه المرأة كانت أكثر شهرة وصيتاً وحكمة بين النساء، وقد ماتت فى العام الرابع عشر من حكم أوغسطس قيصر.

بعد ذلك خضعت الاسكندرية، وكل بلاد مصر العليا للأباطرة الرومانيين، الذين حكموها بواسطة القضاة والقواد.

وقد حكم أوغسطس لمدة خمسون عاماً وستة أشهر، وفى السنة الثانية والأربعون من حكمه ولد ربنا يسوع المسيح الإله الحق بالجسد فى بيت لحم اليهودية.

وقد ولد ربنا أيضا فى العصر الذى صدر فيه المرسوم الذى يأمر كل الناس فى الإمبراطورية بأن يقيدوا أسماءهم، ويحصى كل شخص، لجمع الضرائب. وكان واضعوا هذا القانون هما إيمينس Eumeues، أتالى Attale ، اللذان كانا يشغلا مركزاً مرموقاً فى روما وقتئذ.

وكانت السنة الرومانية تبدأ بشهر مارس Primus، وكان فبراير يحتل المركز السادس فأمر أغسطس حينئذ أن يجعلوا شهر فبراير آخر شهر فى السنة.

وقد وبخ القيصر القنصل Manluis de Capadoce مانيليوس الكبادوكى، الذى كان وقتئذ يمارس سلطته، وكان قد قرر ترتيب الشهور الذى كان معتبراً من الرومان. فإستبدلوا شهر فبراير ووضعوه فى النهاية لأنه كان أقصر الشهور، وإستبدلوه بالشهر الكامل المسمى بإسمه اغسطس والذى أصبح ترتيبه السادس، وسمى الشهر الذى يسبقه أى الخامس على إسم عم الإمبراطور أغسطس وهو يوليوس. وقبل الرومان هذا التعديل وإحتفظوا به حتى اليوم. وهذان الشهران يسبقهما فى الترتيب شهر مارس.

الفصل الثامن والستون

ولا يقبل المسيحيون الأرثوذكس أى قاعدة فى نظام الشهور، إلا التى تلقوها، والتى ترجع إلى النبى أخنوخ Esdras الذى كان مشتعل بالذكاء. مثلاً: فى أى يوم يقع السادس من شهر طوبة أو Ter ثير والذى هو أول الشهور الفرنجية، وفى أى يوم من السبعة أيام فى الأسبوع هو الأحد أو الإثنين أو الثلاثاء... يكون هو بداية الشهر؟ ويستفيد الرومان من معرفة بداية الشهور لكى يتعرفوا ما إذا كانت أيام الأسبوع ستكون سعيدة أم غير ذلك؟!!

وقد أدخل سقراط الفيلسوف والعالم الفلكي، هذه الطريقة عند الرومان. وبهذا افسد سقراط بتشريعاته كتابات أخنوخ النبي والقديس عند الوثنين، فخدع بتأليفاته البعيضة من كانوا يقرأون كتابه.

الفصل التاسع والستون

بعد موت الامبراطور أوغسطس، إعتلى العرش إبنه طيباريوس Tebere، الذى اخضع كل اقليم الكبادوك إلى قوانين روما، بعد موت ارشيلاوس رئيس حكام كبادوكية. وأسس فى مقاطعة ثراث أو ثراك مدينة أسماها طيبارية. وفى أثناء حكم الامبراطور طيباريوس، صلب ربنا يسوع المسيح فى أورشليم.

الفصل السبعون

بعد موت كلوديوس حكم فى روما (نيرون) الشنيع والذى كان وثنيا، وكان يشبع سلسلة جرائمه بالرذيلة والشذوذ. وكان يقبل الزواج كإمرأة! وعندما علم الرومان بأفعاله الشنيعة لم يقدروا أن يحتملوا حكمه، خاصة كهنة الأوثان. فألقوا عليه اللعنات.

وقرر كبار الشعب وشيوخهم قتله. ولما علم بخطة المشايخ غادر هذا المجرم مقر إقامته وإختبأ. ولكنه لم يقدر على الهرب من يد الله القدير، وأصبح عقله وفكره فريسة للكآبة والحزن. وذلك لآنه بعدما إستسلم لهذا الفساد (على طريقة النساء) إنتفخ بطنه مثل إمرأة حامل، وحاولوا أن يجعلوه يلد، وفى أثناء مرضه، كان يتألم من الام مبرحة، حينئذ أرسل للأطباء ليزوروه فى مكانه وينقذوه من مرضه، فمضى إليه الأطباء إذ إعتقدوا أنه يحمل طفلاً فى بطنه. شجوا بطنه لإخراجه، فمات بهذه الطريقة المحزنة.

الفصل الواحد والسبعون

بعد موت طيطس، إعتلى العرش أخوه دومتيان، الذى كان فيلسوفاً عظيماً عند الوثنيين. لكنه أثار الإضطهاد على المسيحيين. وكبدهم عذابات كثيرة، فأمر بإحضار يوحنا الإنجيلى الرسول إلى روما، وكان ذلك بسماح من الله، وبإيحاء من حكامه. ووضعه فى منفى مع كل الذين كانوا يؤمنون بالله ايماناً حقيقياً، ولكنه تأثر بحكمته العظيمة فأعطاه حرية فى السر، بدون علم جيشه، وكهنة أصنامه، ثم أعاده إلى مقر إقامته.

ولكنه عاد فاطاع إيحاءات السحرة وتوابع الشياطين، فنفى يوحنا مرة أخرى إلى جزيرة تسمى (بطمس)، ثم اسس دوميتان مدينة أسماها باسمه دمثينوبوليس، فى اقليم أشورى Isaurie، ولما قربت نهاية جرائمه ونفيه للشهداء القديسين، مضى إلى معبد طيطس ليقدم ذبيحة للألهه. (لأنه كان يسمى مخلص)، حينئذ قرر جنوده أن يقتلوه، لأنه فى عناده وكبريائه الشديد كان يذلهم، مع أنهم كانوا حكماء، ولم يروا منه قط أية عدالة. لذلك ثاروا ضده وقتلوه سراُ، فلم يعرف الشعب بموته!!

وعملوا خدعة للشعب، إذ أخذوا ملابسه الحريرية، وعلقوها فى سلاسل لمبات المعبد، مدعين أن الامبراطور قد اختطف من الأرض ورفع فى الهواء بأيدى كهنة الآلهة.

وظلوا يضللون الشعب لوقت طويل، ثم أخيرا أعلنوا موت هذا البائس، فحدثت ثورة، خاصة لأنهم كانوا قد قتلوه فى المعبد، فنجسوه بهياجهم مدعين أنهم أبرياء، وأن معبدهم ظل طاهراً. وبعدما هدأت الثورة، توصلوا إلى أن يجلسوا (نرفا) على العرش، وكان رئيساً للجيش وشيخا ذا فضائل عالية، وحكيماً ومحباً للإنسانية. وقد طلب فى الحال أعاده القديس يوحنا الحبيب من مكان نفيه، وتوصيله إلى

افسس حيث تنيح بسلام. ولكن المكان الذى دفن فيه جسده لا يعرفه إلا ربنا يسوع المسيح له المجد.

وكان الامبراطور نيرفا ملكاً صالحاً، أنشأ أبنية ممتازة، إلغى عادة الصفع بالصفع (اى المعارك) التى كانت سائدة بين الشعب، وبعد إتمامه لهذه الاصلاحات. مات هذا الامبراطور، عن عمر يناهز الأربعة والثمانون، بعد حكم دام عاماً واحداً.

الفصل الثانى والسبعون

كان الامبراطور تراجان خليفة نرفا، الذى ارتبط بعبادة تكريم الأوثان، وكان هو ثالث إمبراطور يضطهد المسيحية، لدرجة أنه كان فى كل مكان شهداء كثيرون يتحملون العذابات الكثيرة .

وقد قبض على اينياس بطريرك أنطاكية خليفة بطرس وأمر بإصطحابه إلى روما مكبلاً بالسلاسل، وألقائه أمام الأسود، كما أمر بالقبض على خمسة نساء مسيحات من أنطاكية، وإستجوابهن هكذا: من تعبدون؟ وممن ترجون الرحمة حتى تندفعون هكذا إلى الموت ؟!

فأجبنه: "نحن نموت من أجل المسيح يسوع، الذى سيعطينا الحياة الأبدية بعدما نخرج من هذا الجسد الفانى".

حينئذ غضب الوالى الوثنى بشدة، لكونه وثنياً لا يريد أن يسمع عن عقيدة القيامة، وأمر بأن تلقى هؤلاء النسوة القديسات فى النيران، ثم أمر بجمع رماد اجسادهن، وإلقائه فى مرجل النحاس الذى فى الحمام العام، الذى كان قد شيده تخليداً لذكراه. وكان كل من يستحم فى هذا الحمام، يصاب نتيجة أبخرة تخرج منه، فيسقط على الأرض، فكانوا يحملونه بأقصى سرعة!! وكان كل من يرى ذلك يندهش. أما المسيحيون فكانوا يفتخرون بإسم ربنا يسوع المسيح ويمجدونه مع قديسيه، ويسخرون من الوثنين.

عندما علم تراجان بهذه الظاهرة، أمر بتغيير مرجل النحاس، وخلع مواسير النحاس التى اختلط فيها رماد النساء القديسات، ثم جمع هذا الرماد ووضعه فى خمسة تماثيل من النحاس، ووضعها فى هذا الحمام. ولم يزل يتحدث باحتقار عن الشهداء وكان يقول: "أنهن لم يمتن بسببى ولا لأجل إلههم، بل متن بلا سبب".

فى هذا الوقت إستشهدت إبنته أدروسيس، وكذا يونا إبنة الملك النبيل فيلاسانرون، مع كثير من العذارى الأخريات اللآئى استشهدن بالنار بأمر هذا الشرير.

وحدث أثناء إقامة ترجان فى أنطاكية، أن هذه المنطقة التى إضطهدت من قبل ثلاث مرات، وقاست من غضب الله، وتزعزعت بزلزال أثناء الليل ... وليس مدينة أنطاكية وحدها، بل أيضا جزيرة رودس التى حدث لها هزات ذات يوم بعد صياح الديك.

وحدث أن تجمع اليهود الذين يقيمون فى مدينة الاسكندرية، وكذا سكان إقليم قيروان Cyrene، وأقاموا لهم رئيساً يدعى لوكاس ليجعلوه ملكاً عليهم. وعندما علم تراجان أرسل ضابطاً يدعى ماركيوس تاربو، Marcius Turbo بجيش قوى يصحبه عدد كبير من الفرسان والمشاة، وكذا رافقه عدد كبير من الفرق عن طريق البحر فى السفن. وذهب هو بنفسه إلى مصر وأنشأ فيها حصناً به قلعة قوية لا يمكن الاستيلاء عليها. ومدها بالمياه الوافرة وسماها بابليون مصر.

ونعلم أن أساسات هذا الحصن، كانت من قبل قد شيدت بواسطة نبوخذ نصر ملك مادى، والفرس هم الذين أطلقوا إسم حصن بابليون عليه. وكان ذلك فى الوقت الذى إستولى فيه على مصر بإرادة الله بعد تحطيم أورشليم، ونفى اليهود الذين قاوموا نبى الله، فى مصر فإقترفوا ذنوباً فوق ذنوبهم.

فجاء نبوخذ نصر إلى مصر، بجيش كبير وإستولى عليها لأن اليهود الذين فيها كانوا قد ثاروا ضده، وكانوا قد اسموا الحصن بإسم بلده بابل.

أما تراجان فجاء وزاد في ارتفاع سور هذا الحصن، وزاد أبنية الحصن الأخرى، كما أمر بحفر قناة قصيرة العرض، لتوصيل مياه جيحون إلى مدينة Clnyrma كليزما وتصل إلى البحر الأحمر، وسمى هذه القناة قناة تراجان على إسمه، ثم أنشأ قلعة أخرى في منوف. وبعد كل هذه الأعمال مرض ومات في العام العشرون من ملكه.

الفصل الثالث والسبعون

وبعد موت تراجان حكم في روما إبن عم تراجان، وهو هدريان، وقد أسس هدريان في مصر العليا مدينة رائعة أسماها أنصنا Antinoe محرفة عن Ensina. وبعد ذلك رفعه الكفرة إلى مصاف الآلهة لأنه كان غنياً جداً، ومات ميتة عنيفة.

الفصل الرابع والسبعون

وخلف هدريان إليوس أنطونيوس بيوس، وكان إنساناً فاضلاً جيد الرعاية والاهتمام بشعبه، وكان الرومان يدعونه قيصر، خادم الله، ويبدو أثناء حكمه رجلاً خيراً.

ويجمع المؤرخون، أنه أول من ألغى العادات الباليه والظالمة التى كانت عند الرومان قبل حكمه، فكان يقرر كل ما هو عادل. وقد كان الرومان يقترفون المظالم، ويصادرون نصف ثروة الأغنياء بعد موتهم لصالح الدولة لذلك ما كانوا يستفيدون من الوصايا التى يضمن به الأباء معيشة أبنائهم.

ولم يستطع من سبقوه أن يبطلوا هذا التقليد، ولكنه وحده إستطاع تغييره، فقرر أن كل شخص له حرية التصرف فى ثروته، ويعطيها لمن يشاء. كما أنه وضع كثير من الإجراءات المنصفة والعادلة، ووضع وصادق على قوانين مطابقة للعدالة.

وجاء إلى مصر، ثم مضى إلى الاسكندرية حيث عاقب كل من أساء مخالفاً، وكافأ الذين تصرفوا حسناً، لأن التسامح والوفاء، وطول الأناة كانت متأصلة فيه.

وأقام فى الاسكندرية بوابتين فى شرق المدينة وغربها، كما شيد فى مدينة أنطاكية أيضاً مسرحاً أسماه... وذلك بأحجار بيضاء احضرها من مصر العليا، وشيد أيضاً حمامات، أكاديميات فى كل مدن امبراطوريته. ثم عاد بجيش ضخم إلى روما. وبعد أن بقى بها بعض الوقت، مات فى السنة الثالثة والعشرين لحكمه، عن عمر يبلغ السابع والسبعون، تاركاً ثروته لإبنه مارك، وهذا الأخير شابه والده فى فضائله وحسن استعداداته، فكان يعمل كل ما هو حق وعادل ومات على دين والده.

الفصل الخامس والسبعون

كان خليفته ديسيوس (داكيوس) Dece الشرير، عدو الله الذى نظم إضطهاداً عنيفاً ضد المسيحيين، وثبت الديانة الوثنية وقوانينها الدنسة، حتى يستأصلوا المسيحية من المملكة. ونتيجة ذلك سفك دم عدد كبير من القديسين، وكان يبحث عمن يعبدون الله الحق فى كل مكان. وهذا الرجل الشرير جلب من افريقيا كثيراً من الحيوانات المتوحشة ذكوراً وإناثاً من الصحارى، وكثيراً من الثعابين والزواحف السامة، ذكوراً وإناثاً وأرسلها إلى المشرق، وإلى الجزيرة العربية وفلسطين. حتى إلى حصن كيريزيوم لكى ينقض بهم على البربر الثائرين.

الفصل السادس والسبعون

خلف داكيوس رجل يدعى أورليان، وبعد جلوسه على العرش أعاد بناء سور روما، الذى كان متهدماً، فى مدة وجيزة. وشدد على سكان روما حتى ينهوا هذا العمل، مشرفاً بنفسه عليه بكل همه وبدون كبرياء. وسن قانوناً منظماً للعمال، حيث أمر أن يقيدوا أسمائهم، حتى يرفعهم إلى المرتبة الأولى ويكرمهم فى الامبراطورية ليخدموا الأباطرة.

وسبب هذا القانون، أنه قاسى كثيراً فى سبيل إنهيار سور المدينة. وأصبح تقليداً عند الرومان، ان كل الفلاحين والصناع والبحارة الذين يجوبون البحار، الكل يسجلون أنفسهم فى سجلات الدولة.

وسمى الامبراطور العمال على اسمه الخاص، (أورليانس)، وسجل اسماءهم فى سجل خاص، وهذه السجلات مازالت موجودة للأن.

الفصل السابع والسبعون

عند ترأس دقلديانوس لحكم مصر، اعترف به الجيش وهبوا لمساعدة ذلك المستبد الأثيم مضطهد المؤمنين، المرعب الذى لا مثيل له. ولكن مدينة الاسكندرية ومصر رفضتا الاعتراف به والخضوع لسلطانه.

فجهز دقلديانوس جيشاً عظيماً لغزوهم، بمساعدة معاونيه الثلاثة فى الامبراطورية، مكسيميان ذو الجنس الملعون، وكونستانس، وغاليريون.

بعدما جاء إلى مصر أخضعها، وخرب مدينة الاسكندرية، ولكنه لم يقدر أن يخضعها له تماما، إلا بعدما بنى قلعة شرق المدينة ظل فيها لمدة طويلة، وبجهد كبير وجيش ذو عدد وعدة، استطاع أخيراً أن يهزم مقاومة المدينة، بواسطة بعض من سكان المدينة الذين بينوا له مكاناً ليتوغل فيه.

وأشعل دقلديانوس النار فى الاسكندرية حتى إحترقت تماماً، وصيرها تحت سلطانه، وكان مؤمناً بالعقيدة الوثنية، يقدم القرابين للشياطين النجسة، ويضطهد المسيحيين، متشبهاً بالحيوانات المفترسة، كارهاً للفضيلة متحدياً لله، ومدعياً أنه إله الامبراطورية الرومانية. ولهذا فقد قتل كل الأساقفة، والكهنة، والرهبان، وقتل كثيرين رجالاً ونساءً وأطفالاً، مستخدما أعدائه أكلى اللحوم البشرية، الذين ملأ بهم كل موضع، فسكب دماء عدد لا يحصى من القديسين، وبدون رحمة، كما هدم الكنائس وأحرق الكتب الموحاة من الله، ومنذ الوقت الذى صار فيه دقلديانوس حاكماً لمصر. والذى استمر لمدة ١٩ عاماً، بدأ اضطهاداً عاماً للمسيحيين. فى ذلك الوقت أرسل إلى الاسكندرية أمراً، بقطع رأس الآب القديس البطريرك أنبا بطرس خاتم الشهداء. كما أمر بقتل كل أساقفة مصر، الذين وجدهم متمسكين بالعقيدة الأرثوذكسية، وكل من يعيشون حياة مقدسة.

وكان الناس يعتقدون أنه عدو ليسوع، جاء ليقضى على العالم أجمع. كأنه مأوى للشرور ومصب للجرائم، وكان مساعدوه يتصرفون بنفس الطريقة، أذ كان مكسيميان يقترف جرائم كثيرة، ومكسميان الثانى اللذان كانت حكومتهما فى الشرق كان هو الاخر، عدواً لله يقوم بممارسات بشعة، يشبه حيواناً مفترساً.

ولكن على العكس زميله كونستانس فى حكم آسيا، لم يقترف عملاً يلام عليه، بل كان يحب الناس ويعاملهم برفق. فقد أصدر مرسوماً رسمياً للمسيحيين فى كل مقاطعته، أن يتبعوا أوامر الله الواحد الحقيقى، ومنع إضطهادهم أو معاملتهم بأى نوع من العنف، أو مصادرة أملاكهم، أو مضايقتهم بأى وسيلة. أو أن يمنعهم أحد من إحتفالاتهم الدينية فى الكنائس، حتى يتيسر لهم أن يصلوا لأجله ولأجل حكومته.

ولم يمض ثلاث سنوات على إضطهاد دقلديانوس الجبار الذى شنه ضد المسيحيين حتى مرض مرضاً شديداً وفقد عقله.

فاتخذ مجلس الشيوخ الرومانى قراره، بخلعه من الحكم ونفوه فى جزيرة مغطاه بالغابات، تسمى جزيرة فاروص واقعة فى الغرب، وظل فى منفاه بهذه الجزيرة، حيث كان بعض المسيحيين الهاربين من الاضطهاد، يقومون بإطعامه بما يصلب به عوده، وعاش فى هذا المنفى إلى أن إستعاد عقله. وطمع فى السلطة، فطلب من مجلس الشيوخ أن يرجعوه إلى القصر، حيث كان يقيم أولاً وأن يحتفلوا به، ويعترفوا به امبراطوراً كما كان، لكن الضباط فى الجيش رفضوا طلبه، منضمين إلى المجلس وقالوا: "هذا الرجل الذى فقد عقله وأصابه الجنون ولذلك عزلناه، فلا نقبل أن نعيده ثانية".

فزاد إكتئابه نتيجة ذلك الحرمان، ولم يستطع أن يحقق رغباته، لانه عدو الله، وشهدائه القديسين! فبات يزرف سيولاً من الدموع، وكانت المصائب تحيط به من كل ناحية، وأظلم عقله أكثر فأكثر، حتى فقد بصره وفنيت حياته ومات.

وأما مكسيميان، فكان يمارس شروراً كثيرة أكثر من دقلديانوس، وكان منهمكاً فى أعمال بشعة، بإيحاء من الشياطين، إذ كان يشق بطون الحوامل، ويقدم قرابيناً من البشر، والحيوانات للشياطين النجسة.

وبعد سنتين من موت أبيه شنق نفسه ومات ميتة شنيعة، بيد نفسه هو وليس بيد آخر.

ومكسيميان الطاغية، وهو نفسه غاليريوس، ولو أنه لم يكن يسمح بنفس الجرائم التى إرتكبها دقلديانوس فى الشرق، وفى افريقيا وفى المدن الكبرى، وفى الاسكندرية ومصر وبنتا بوليس، إلا أنه كان يعامل الشهداء القديسون بلا رحمة، كان ينفى البعض، ويقدم الاخرين للحيوانات المفترسة، أو يقتلهم بالسيف أو يلقيهم فى النار، كما كان يهدم الكنائس، ويحرق الكتب المقدسة، ويبنى معابد الآلهة التى كانت خربة. فلم يرحم النساء الحوامل اللائى كان يشق بطونهم، ويخرج منها

الأطفال الذين، كان يقدمهم قرباناً للشياطين النجسين، وأخيراً كان يجبر كثيرا من الناس على عبادة الأوثان. ولكن لم ينجو من عقاب الله. فأصيب فى صدره بسعال مضنى جعله يتألم، وانتفخت أمعاؤه وظهر منها ديداناً خطرة، وأصبحت رائحة فمه كريهة لا تطاق، حتى لم يقدر أحد على الاقتراب منه.

ولما لم يجد وسيلة تخفف عنه الآلام، أصبح فى موقف خطر، فكان يائساً من الحياة. فتحقق أن مرضه الذى أصابه كان عقاباً له من المسيح الإله الحق، بسبب تعذيبه للمسيحيين، وبعد أن تيقن من ذلك، أمر أتباعه بأن يكفوا عن إضطهاد المسيحيين.

فتركه المرض الذى عاقبه به الله، وإسترجع صحته بسبب هذا العمل الإنسانى. لكنه بعد ما رجع إلى صحته، وبعد ستة أشهر من توبته، فكر من جديد فى شن إضطهاداً على المسيحيين وقتلهم، ونسى يسوع المسيح ربنا ومخلصنا، الذى كان قد شفاه من مرضه الخطير.

وأنشأ أوثانا جديدة فى مدينة أنطاكية، مجاهداً فى نشر أعمال الشياطين والسحر. ولكنه أصابه الإنتقام، إذ قامت ضده حرباً فى أرمينيا، وسادت المجاعات كل أنحاء الامبراطورية، فلم تعط الحقول ثمارها، وفرغت الصوامع، فإفتقر كثير من الأغنياء، ومات السكان من قلة الغذاء .. ومات الناس يتضورون من الجوع، والأنين والبكاء. ولكثرة الموتى لم يجدوا من يدفنهم. وحزن كل وثنيوا الغرب، وصاروا فى حداد آسفين على دقلديانوس وإبنه مكسيميانوس. حينئذ أرسل مكسيميانوس إبنه مكسينيتوس إليهم. وكان ابن الطاغية هذا مكاراً منافقاً منذ البداية، فأوجد لنفسه صيتاً حسناً وكان مجتهداً فى خداع الناس فى الوقت الذى كان يرضى فيه الرومان ويكرم ديانتهم، فأمر بأن يتوقف إضطهاد المسيحيين، مظهراً نفسه بأنه أحد خدام المسيح، متظاهراً بحب الناس جميعاً أكثر ممن سبقوه!

لكنه بعد فترة ليست كثيرة إنكشف خداعه، وتحول مثل سابقيه إلى ذئب فى عرينه، بل أنه فاق أسلافه خداعاً، ورذيلة، فأصبح متوحشاً لدرجة لم يكن يسمح بأى نوع من الشفقة والرحمة!

وأساء معاملة الناس، حتى إستنفذ كل أنواع الملذات، فكان يغتصب النساء المتزوجات شرعياً، وكان يتاجر بهن ليس سراً فقط ولكن فى العلانية. ثم يرجعهن بعد ذلك إلى أزواجهن.

وليس ذلك فقط بل أنه إتبع الظلم والإستبداد، الذى قاسى منه شعبه، إذ أصدر اوامره بالاستيلاء على ثروات الأغنياء، مبتدعاً أعذاراً كثيرة. وأما عن الذين لايملكون فائضاً يعطونه، فكان يأخذ كل ما يجده لديهم، وبهذا قتل آلافاً عديدة من الأشخاص، حتى يستولى على ثرواتهم.

ولم يزل يقترف هذا المستبد مثل هذه الأعمال، حتى تحول كل سكان روما إلى الفقر والعجز، معاملاً إياهم بغير طبيعة عادات هذا البلد. وعلى العكس من ذلك كان كونستانس خادماً لله ذو سمعة طيبة حكيماً فى كل تصرفاته وحذراً.

ولأنه كان فاضلاً ومحبوباً، فكان كل الشعب يصلون لأجله، ويقدمون له النذور، مكرماً من كل القضاة والجيش والشعب، وهو الذى أسس مدينة بيزنطة، وكان يسلك بأمانه الطريق المستقيم.

ثم مات ومضى إلى الله، تاركاً ابنه المشهور، أى قسطنطين المحبوب من الله، وكان مشبعاً بالفضيلة ومكرماً، لأنه كان ولى عهد، وخليفة ذلك المحسن العظيم، وخادماً للثالوث الأقدس، ولما أصبح امبراطوراً، كان يتمم إرادة الله فى كل وقت، وكان يحب كل مخدومى امبراطوريته، ويعاملهم برفق، وكان يسير طوال فترة حكمه بوقار وورع وتقوى فصار عظيماً أمام الله الأبدى.

وكان جميع الجيش والشعب، يكرمونه لأنه كان محبوباً من الله، ومملوءاً نشاطاً وحماساً، وفى عهده أخذت المسيحية مكانتها وقوتها، وظهر التسامح والإحسان، والنور والحكمة، فأزال كل معوق من الطريق، دون استخدام العنف، وقاد رعيته فى عبادة الله. ولم يتوقف قط، بأن يأمر بإعادة بناء الكنائس، التى قد تهدمت. ولم يسمح بأن توضع العقبات فى سبيل المسيحية، وعبادة الله المقدسة، التى تقدس بها ليكون ملكاً وقوراً فاضلاً.

وقد إتخذ له رفيقاً فى الحكم فى روما، وهو زوج أخته كونسنتيا ليسينوس، الذى لم ينتقص عن صفات قسطنطين الامبراطور الأمين صفة واحدة، لأنه قد أقسم بأن يصنع الخير، وألا يكون عدواً لربنا يسوع المسيح ولا لأتباعه.

حينئذ جاء من الشرق مكسيميان المستبد، والمتسلط عليه من إبليس، والذى كان قد إغتصب الحكم لنفسه، قبل قسطنطين الامبراطور الأمين. ثم رفض أن ينفذ المرسوم الصادر من قسطنطين، المختوم بخاتمه. بل أنه فى حقيقته كان يشن الحرب، على كل البلاد والأقاليم الواقعة فى حكم ليسينس، حتى مدينة القسطنطينية، دون أن ينجح فى أن يستولى عليها.

فإتفق قسطنطين التقى، مع زوج أخته ليسينس، وإستعدا لمحاربة هذا المستبد. وإتجه قسطنطين لمحاربة مكسينيس، الذى كان مركزه فى روما، وكذا ليسينس ضد مكسيميان المستبد فى الشرق.

عندما علم مكسيميان المستبد، بمسيرة قسطنطين خادم الله نحوه، أسرع لمحاربته مجتازاً بسفنه نهر ايطاليا. ثم أقام جسراً متيناً قرب مدينة روما، لمرور المحاربين المنضمين معه. وذلك بإيحاء من تنبؤات كاذبة أعلنها له وحى شيطانى، وذلك لأنه كان يجهل أن معونة السيد المسيح كانت تسند قسطنطين التقى!

فعبر مكسينيس المستبد وفرسانه ورجاله نهر ايطاليا، عن طريق الجسر، للإلتحام بقسطنطين الورع وجيشه، ولكن هذا الأخير توقف على مسافة قبل أن يبدأ المعركة، وإنتظر حتى يرى ظهور علامة على إنقاذ الله له.

بينما تباهى الأعداء بقوتهم. ونام قسطنطين ليلته ملىء بالقلق والحزن، غير أنه رأى فى حلم صورة الصليب المقدس فى السماء، وعليه هذه الكتابة "بهذه العلامة ستهزمه" فنهض فى الحال وبدأ المعركة وإنتصر على خصومه، حتى أهلكهم عن آخرهم.

وأراد مكسينيس قائد الجيش أن يهرب، مع جيشه إلى مدينة روما، لكن شاء الله، أن يسقط الجسر الذى عبروه فغرقوا جميعاً فى الهوة، وقد فرح شعب روما وإبتهجوا لهلاك المستبدين، وإرتدى مجلس شيوخ مكسينس وضباطه، وباقى جنوده، أبهى الثياب، وكل الشعب والفلاحين وأولادهم، حملوا الشموع المشتعلة وذهبوا بصحبة رجال الموسيقى، لمقابلة الامبراطور قسطنطين خادم الله، وليس شعب روما فقط بل كل المدن والأقاليم إبتهجت أيضا، وشعب مدينة القسطنطينية.

ولم يتكبر قسطنطين ولم يفتخر رغم إنتصاره، كما يفعل الملوك الاخرين، إنما على العكس أظهر كثيراً من التواضع والخضوع لله، شاكراً وممجداً لربنا يسوع المسيح، ملك الملوك ورب الأرباب.

ثم دخل روما دخول الظافر، فهلل له كل الشعب ومن كانوا هاربين من الموت أثناء المعركة جاءوا وخضعوا له. ومضى قسطنطين بعد ذلك إلى القصر حاملاً تاج النصر.

ثم أخبر الشعب بالمعجزة التى إختص بها، والنصر الذى حققه عن طريق العلامة التى رآها فى السماء، على شكل الصليب المقدس.

ولدى سماع الشعب لهذه القصة صاحوا قائلين: عظيم هو إلـه المسيحيين، الذى خلص مدينتنا وشعبنا من أيدى المستبدين.

وأمر الملك على الفور، بغلق البرابى الوثنيـة، وفتح أبواب الكنائس فى روما وكل المدن. وقام القديـس سيلفسـترس بطريـرك رومـا، بالتعـاليم الحكيمـة، وتلقين الإيمان الحق للملك وحاشيته.

مضى قسطنطين بعد ذلك لمحاربة الفرس، فإنتصر عليهم ومنحهم السلام، وعامل بلطف المسيحيين الموجودين، وغمرهم بالهدايا، التى من بينها بوق كان يستخدم فى التزمير أمام الملك. وإستبدل قضاة الأقاليم، وكل الوكلاء بموظفين مسيحيين، وشيد الكنائس الجميلة فى كل الأقاليم والقرى، ثـم بعـث أمه الامبراطورة هيلانـة المحبة للإله، إلى مدينة أورشليم المقدسة، لتبحث عن خشبة الصليب المجيد، الذى كان قـد علق عليه ربنا ومخلصنا يسوع المسيح له المجد. وكان ذلك فـى عهـد الأب القديس أنبا مقاريوس مطران اورشليم، ثم بنت هيلانة حينئذ كنيسة القيامـة المقدسـة رائعـة، وأعادت بناء مدينة أورشليم بأكثر بهاء مما كانت عليه قبلاً. وما زالت قائمـة هكـذا إلى يومنا هذا.

بعد ذلك بنى الامـبراطور قسـطنطين، كنيسـة رائعـة الجمـال ومدهشـة بمقاييس كبيرة فى مدينة بيزنطة، وبعد أن إنتهى من بناء المدينة سماها بإسمه أى القسطنطينية، بعدما كانت تسمى بيزنطة. وكان الملك يحب الإقامة بها، وجعلها مسكناً للمسـيح، وجمع أيضا الكتب المقدسة ووضعها فى الكنائس.

بعد ذلك جمع ثلاث مائـة وثمانيـه عشـر قديسـاً فـى مدينـة نيقيـه وثبـت الإيمان الأرثوذكسى، وبات مستحيلاً أن نعدد أعماله الجليلة والتى تمت فى عهده.

كان هناك رجلاً مسيحياً من مستخدمى الدولة، وكان أكثر حكمة وتمييزاً، هذا كان يسعى بإجتهاد، لكى يبين عظمة الصليب، الذى علق عليه ربنا ومخلصنا يسوع المسيح له المجد.

وقام الثلاث مئة والثمانية عشر أسقفاً، المجتمعين فى نقية بتكريم الامبراطور قسطنطين، خادم الله وامه التقية الامبراطورة هيلانة، وكرسوا لهما بناءً خاصاً يليق بكرامتهما، مسجلين فيه ما يدل على عظمتهما من البداية حتى النهاية.

ولما رأى مكسيمينوس المستبد، هذا الرجل الفاسد والطاغى أنه على وشك هجوم من ليستنيوس الذى كان يشارك الحكم فى الشرق، وكان قد قاد جيشه لمحاربة مكسيمينوس. وعلم النهاية الغير سعيدة لحرب مكسيمنياس ضد قسطنطين خادم الله، وكيف هزم وإنتهى، أرسل مكسيمينوس رسالة صلح يطلب فيها السلام من ليكسينوس.

فأرسل ليكسنيوس رسالة إلى قسطنطين يعرفه بأن مكسيمينوس يطلب السلام، وأنه يقبل الايمان المقدس بالمسيح، متخلياً عن أخطائه الشخصية، وبأنه عقد ميثاقاً معه! فرد قسطنطين عليه برسالة يوافق أن يقبل مقترحاته، وكان مكسيمينوس يضمر فساد ضميره وخداعه وغدره، ولكن أخفى كل ذلك ووجه خطاباً بمكر لكل الوكلاء الذين تحت سيطرته يمنعهم فيه من مضايقة المسيحيين، ولما تلقى أتباعه هذه الرسالة عرفوا كل شىء، وفهموا أنه لم يعمل هذا من تلقاء ذاته، ولكن خضوعاً لريائه المتسلط عليه. فلم يحترموه لأنهم علموا أنه كان قبلاً يسب القديسين.

وأما الامبراطور قسطنطين، فلم يكن يمانع المسيحيين المكرمين من عقد إجتماعاتهم، وبناء كنائسهم، لكنه أكثر من هذا كان يهتم بأمانه بالديانة المسيحية فناضل فى سبيلها، وكان يهرب من الوثنية، وكان يحرض جميع الرؤساء بأن يدعوا الكنيسة المسيحية فى سلام.

كان هناك رجل يدعى جيلاسينوس، من مدينة ماريمى (مارمنامى) الواقعة على بعد ميل من دمشق. كان يتوسط جمع من الوثنيين، من سكان هليوبوليس اللبنانية، وكانوا قد اجتمعوا فى المسرح، وأحضروا بعض الممثلين وأحضروا حوض كبير من النحاس، وسكبوا فيه مياه باردة، وبدأوا فى تقليد من يعمدون من المسيحيين. فجاء أحدهم وغطس فى الماء مثل المعمدين. وبعدما خرج ألبسوه رداءاً أبيضاً، ولكنه بعد ذلك رفض أن يقلد ويمثل هذا الدور من جديد، إذ أعلن أنه مسيحى وأنه يود أن يموت على إسم المسيح، لأنه عاين معجزة عظيمة فى الوقت الذى كانوا يسخرون فيه من المعمودية المقدسة هكذا. وتركهم ومضى، فإغتم كل الحاضرين وغضبوا، لأنهم كانوا وثنيين، ثم نزلوا من المسرح وأمسكوا هذا الرجل، ورجموه بالحجارة حتى مات، ونال إكليل الشهادة الغير الفاني، وحسب من جملة الشهداء القديسين، فحضر والديه مع عدد كبير من المسيحيين، وحملوا جسده ودفنوه بالمدينة، ثم بنوا كنيسة فى المكان الذى وضع فيه جسده هذا كان يدعى جيلاسينوس رحمنا الله بشفاعته.

أما مكسيميان الشرير فلم يتخل عن أخطائه الشنيعة، ولم يتأثر بروح التقوى التى إقتناها الأباطرة الأتقياء معاصروه، الذين عاشوا بتقوى مستتيرين بالحكمة والعلم. إذ كان هذا المستبد مملوكاً للشيطان وكان يضلله. ولما لم يكن يتمتع بسلطان بدون حدود فكان خاضعاً للأباطرة، ولم يكن حراً فى إختيار ما يناسبه بالصحبة لذلك كان يتطلع إلى محاربة الأباطرة أحباء المسيح. وبدأ فى كسر الإتفاق الذى كان قد عقده مع ليسيانس وحاول أن يعمل على تخويفه وإهلاكه، لأنه كان عنيداً ومتغطرساً فلم يعمل غير ما يقوده فكره الخاص، وحرض الشعب مثيراً لكل الأقاليم التابعة لمقاطعته.

وبإيعاذ من الشياطين الذين كانوا يسيرونه، جمع آلاف الرجال لكى يحارب ... عطلته قوة الله وشلت

تفكيره، فإستطاع ليسيانوس أن يهزمه، وقتل كل المحاربين الذين كان يعتمد عليهم. وشتت ضباطه حتى إستسلمت بقية الفرق الأخرى، وجاءوا إلى ليسيانوس خاضعين تحت قدميه.

عندما رأى مكسيميانوس ذلك فزع لأنه كان جباناً، وترك ساحة القتال خجلاً، وهرب راجعاً إلى مقاطعته. وصب جام غضبه على كهنة الأوثان وعلى مقدساتهم، وأمر بقتلهم مع السحرة الذين كانوا أقنعوه بالأنظمة الخلابة والمضللة، بعدما تيقن بوضوح كذبهم، فلم يقدروا أن يقوموا بمساعدته فى الحرب، ثم أمر بقتلهم أيضا خاصة أنهم كانوا يرتكبون أثاماً شنيعة، وأنكر قوة الشياطين التى كانت تسيره.

لكنه كان ضعيفاً وغير قادر أن يمجد إله المسيحيين، إذ كان يرفض الحكمة والبركة، فلم يسع لسلام قلبه.

ثم أصدر ليسيانس أمراً بمحاربة باقى الخصوم الذين كانوا ما يزالون. وهذا حدث فى السنة العاشرة لإضطهاد المسيحيين، الذى تزعمه والد مكسيميان، ودقلديانوس عدوا الله.

وفى هذا الوقت لم يبد مكسيميان ندماً صادقاً، ولا طلب أن ينال سلامة بعد هروبه من ساحة القتال، وأصبح فريسة لحزن عميق، وأصابه الله بمرض خطير، فأكلت نيران هذا المرض جسده، فإشتعلت فى بطنه، وتآكلت أطرافه وبرزت عظامه، وهلكت أمعاؤه وغير المرض منظره، وإنخلعت عينه من شدة الآلام وفارقت روحه جسده ...

وهكذا إختفى أعداء الله الثلاثة أى دقلديانوس وأولاده الاثنين. وقبلما يموت مكسيميان، فهم أن كل ما حدث له كانت نتيجة شروره التى مارسها ضد المسيحيين القديسين وثورته ضد المسيح.

واستولى ليسيانس على الشرق وأخضعه تحت سلطانه وكذا بقية الأقاليم المجاورة، فباتت الكنيسة فى هدوء وسلام، حيث أنشأ الأبنية الدينية وتلألأت الكنيسة بنور المسيح. ولم يستمر الوضع هكذا، لأن إبليس الشرير الذى يجول مثل أسد يريد أن يبتلع بمكر، ويبحث دائماً عن إغراء المؤمنين وضلالهم، قد أضل أيضا ليسيانس وجعله ينسى كل أعماله المجيدة السابقة، فإتجه لإرتكاب أعمال من عمت أبصارهم، مع أنه كان قبل ذلك غيوراً فى طاعة الله، ولم يتبع طريقهم الردىء ، ولم يكن معادياً للإمبراطور قسطنطين، ولكن بات قلبه غير راضياً عن الحق، كما كان ولكنه تناسى العهد والقسم الذى أقسمه، والإتفاق الذى إتفقاه معاً.

فأدرك الشر وبيت النية لقتل قسطنطين الامبراطور الفطين، لكن المسيح الإله الحق أفسد خطته، مع أنه كان فيما مضى قد مجد وعبد يسوع المسيح، فلما جحده أسلمه الرب يسوع المسيح إلى موت قاس بدون رأفة لأنه إرتكب حمقاً.

ظل ليسيانس فى إضطهاد المسيحية، يهاجم قسطنطين الورع، وبدأ أيضاً فى إغلاق الكنائس وهدمها. وقتل المؤمنين القديسين وعزل وتجريد المسيحيين المؤمنين الذين كانوا بين جنوده من وظائفهم، ومارس ضغوطاً على الأغنياء، وأقام وكلاء عنه فى كل المدن والقرى، ليمنعوا الشعب من ممارسة طقس الله المقدس الا وهو صلاة المسيحيين من أجل قسطنطين الامبراطور الأمين. فأجبرهم على ترك طقس الله وممارسة طقوس العبادات المزيفة، مسترسلاً فى إرتكاب العديد من الأعمال الإجرامية. ولم يكف قسطنطين الملك عن تمجيد الإله الحق وعبادته. فجمع جيشاً كبيراً تحت قيادة كريسبس(Crispe) قيصر الذى كان قد عينه، وكان شجاعاً، حسن الرعية نحو رجاله، وخادماً تقياً لله. فجمع جيشه وسار مقابل أعداء الله، يرشدهم ويقودهم ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، وقوته غير المتزعزعة.

وكان قسطنطين مستعداً أن يدافع عن الدين المقدس الذى جحده هذا المستبد ليسينوس، بالرغم من أنه كان زوج اخته، ليخدم المقدسات المزيفة. فهرع قسطنطين لكي يعاقبه، فطرحه على الأرض، وحطم كل جيشه فى مذبحة رهيبة.

وكل هذه المصائب أصابت ليسينوس، لأنه أنكر المسيح وكسر العهد الذى قطعه على نفسه، وخالف العهد الذى كان قد أبرمه مع قسطنطين، فاستولى قسطنطين على قسمه وضمه لامبراطوريته، فملك على الشرق والغرب شمالاً ويميناً. وعاش قسطنطين فى سلام مع كل العالم. وكان مباركاً من الكل، وكان يدافع عن حدود إمبراطوريته كما يحق، حتى أن جميع أعدائه خضعوا له وإعترفوا بقوة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح ابن الله الحقيقى، ثم رفع إبناه كونستان وكونستانس، الى مصاف الأباطرة وأعطاهما كرامة ومجداً. ثم مات دون إضطراب أو أسى، لأن ربنا يسوع المسيح الإله الحق، كان يحفظ إمبراطوريته حتى الجيل الثالث، وكان كونستان السعيد يشبه أباه، إذ كان يتبع الطريق الصحيح حتى نهاية حياته، فكان يمارس فروض الفضيلة. وبعد موته عرف سكان اليمن الله، وإستناروا بنور وبهاء ربنا يسوع المسيح له المجد.

وكان ذلك بتأثير حياة إمرأة تدعى ثاؤغنسطا كانت راهبة عذراء، وإختطفوها من ديرها الواقع فى أراضى الرومان، وأخذت أسيرة حيث قدمت لملك اليمن. وكانت هذه المسيحية موهوبة بدرجة عالية بفضل ربنا، وكانت كثير من حالات الشفاء تحدث على يديها، وقد هدت ملك الهند نفسه إلى الإيمان الصحيح. فأصبح مسيحياً بقدوتها، وكذا كل سكان الهند، ثم طلب ملك الهند من الامبراطور ألتقى ثوريوس أن يرسل لهم أسقفاً، لأنهم أخبروه باهتدائهم إلى الله، واعتناقهم الإيمان الحقيقى، فإمتلاء الامبراطور فرحاً عظيماً، وأرسل إليهم مطراناً قديساً يدعى ثيوفيلوس الذى شجعهم وقواهم وعلمهم الإيمان بالمسيح إلهنا، حتى أصبحوا مهيئين للمعمودية التى هى الميلاد الثانى.

كان هذا كله بفضل صلوات هذه العذراء القديسة ثاؤغنسطا، والمجد لربنا يسوع المسيح، الذى وحده يصنع المعجزات ويحفظ الأمانة للذين ينتظرونه. كل هذا حدث فى الهند.

وفى الواقع أن سكان هذه المناطق، قد إستقبلوا رجلاً نبيل المولد يدعى أفروديت، من الهند أصلاً، وكانوا قد رشحوه مطرانا، فعين ورسم من قبل أثناسيوس الرسولى بطريرك الاسكندرية، هذا جاء وقص على الأب البطريرك، أن هؤلاء الناس تقبلوا عطية الروح القدس وحصلوا على سلام تام لنفوسهم، بفضل المعمودية المقدسة وأصبحوا مستأهلين لهذا العمل.

أما عن الإمبراطور قسطنطين حبيب المسيح، فكان يرافقه ملاك منير من الرب، وكان يقوده ويعرفه إرادة الله، ولم يفارقه أبداً إلى يوم مماته، وكان يوقظه كل يوم ويقيمه للصلاة لله. ولم يحدث هذا لأى امبراطور آخر، ولا رؤية عجائب من السماء. فإن قسطنطين مات باراً شاكراً الرب ودخل الراحة، وله تذكار أبدى.

الفصل الثامن والسبعون

وبعد موت قسطنطين الكبير قسموا إمبراطوريته بين أبنائه الثلاثى كونستان، قسطنطين، كونستانس، وإقتسموها بالقرعة. فكان نصيب كونستانس آسيا وتسلم حكمها، وكان نصيب قسطنطين القسطنطينية. فأستقر فى مقر والده، أما كونستان فحكم روما عاصمة الامبراطورية الرومانية، ولكن نشأ العداء بين كونستان، وقسطنطين بسبب تقسيم الامبراطورية وتبعاتها، وكان كونستان هو الأصغر ووصل بهم العداء إلى استخدام الأسلحة فى الحرب، حتى مات قسطنطين فى المعركة. وأما كونستانس فحكم فى بيزنطة التى هى القسطنطينية، وخلال فترة حكمه ظهرت بدعة أريوس، فقبل بدعته وأصبح أريوسياً. وبعد إرتداده هذا، هاجم سابور [illegible] الامبراطورية الرومانية، واستمرت الحرب طويلاً بينهما،

وفى النهاية عقدوا صلحاً وأصبح هناك سلام وصداقة بين الامبراطورية الرومانية وفارس.

وبعد عودة كونستانس إلى بيزنطة، بنى جسراً على نهر بيرام فى سيسليا وهو بناء عجيب.

وحدث أيضا فى خلال حكمه أن المدينة الشهيرة نيقية التى إشتهرت بالثلثمائة والثمانية عشر أسقفاً، قاست من زلزال مخيف بسماح من الله، لكى لا يستطيع أن يجمع الأريوسين بها، ويفسدوا الايمان الأرثوذكسى المقدس، الذى وضع بواسطة آبائنا القديسين الثلثمائة والثمانية عشر أسقفاً الذين إجتمعوا بها سابقاً، فى عصر قسطنطين الكبير ذو الذكرى العطرة، إن غضب الله الآن هو الذى منع الآريوسيين من الاجتماع فيها.

ظهرت بعد ذلك إشارة الصليب المقدس فى السماء وفى وضوح النهار، فى أعلى المكان الذى صلب فيه ربنا ومخلصنا يسوع المسيح. وقبل وصول الانبا كيرلس مطران أورشليم، والمطارنة الذين كانوا يصحبونه. حينئذ كتب الأنبا كيرلس والمطارنة الذين معه، خطاباً إلى كونستانس بخصوص هذه الظاهرة العجيبة والمعجزة الكبرى التى حدثت.

وأما الامبراطور كونستان، فكان مليئاً بالغيرة بالنسبة لعقيدة والده، ومرتبطاً بأمانة بديانة الله، متشبهاً بإيمان أخيه، الذى مات فى الحرب، وكان يلوم أخوه الذى كان يحكم فى آسيا، لانه لم يحفظ الايمان الذى تسلمه من أبيه قسطنطين البار، وكان أخاه هذا قد أصدر عدة مراسيم ضد أثناسيوس الرسولى البطريرك الاسكندرى، وكأنه خلف والده على عرشه، لكى يرضى الهراطقة أى الأريوسيين، فكانت الكراهية والعداء، تفرق بين الاخوين الأباطرة كونستانس، وكونستان. ولم يكن سببهما موت أخيهما فقط، بل لأن كونستانس لم يتبع طريق أباه فى الفضيلة

والإيمان، فى الوقت الذى كان القديس أثناسيوس بطريرك الاسكندرية قديساً يسلك فى الحق، الذى يكرهه كونستانس الذى كان يغضب ربنا يسوع، وهذا جعل كونستان يزيد كراهية لأخيه.

بسبب هذا مات كونستان الذى عاش بحسب قلب الله، وهو ساخط على أخيه كونستانس، بسبب أفعاله المشينة. وبعد موته أرسل الامبراطور كونستانس، ضابطاً ومعه أمراً بقتل القديس أثناسيوس أمير الكنيسة الشهير، الذى كان حتى ذلك الوقت محمياً من كونستان ضد مكايد أخيه الردئية، ولخوفه من أخيه كان يخفى أفكاره الاجرامية. فبعد موت كونستان كشف عن أفكاره الدفينة، وأراد قتل البطريرك. ولكن يمين الرب العالية، حمت القديس أثناسيوس الذى هرب مختفياً.

وأما الضابط المرسل مع قواده ليقبض على أثناسيوس الرسولى، فكان من أتباع مانى، فقام ضد المسيحيين يسبهم، حيث لم يكن الأريوسيين فقط هم الذين يقلقون الكنيسة، بل كان هناك المانيين، الذين أخذوا يضطهدون المسيحيين أيضاً، وكانوا يقومون بالثورات والمذابح ضدهم.

وبعد ذلك قام قائد رومانى قوى، بثورة ضد مدينة روما يدعى ماجنينس فإستولى على الحكم. "فى وقت غروب الشمس" (صحتها إستولى على امبراطورية الغرب كما يذكر سقراط). وبدون إذن من كونستانس مضى إلى أوربا، وقام بحرب ضد كونستانس وكان نتيجتها سقوط عدد كبير من الضحايا من الطرفين. ووقع ماجنيس المغتصب أخيراً ومات، وإنتصر كونستانس وإستولى على كل أملاكه.

لكنه بعدما إنتصر لم يعط الشكر لله، مثل ما كان يفعله الأباطرة المسيحيين الذين سبقوه، فكان مرتبطاً بعقيدة الأريوسيين.

وجمع كونستان مجمعاً من الأساقفة المنشقين فى ميلانو أى فى ايطاليا، وهؤلاء المنشقين الذين رفضوا الايمان المستقيم وأنكروا ديانة الثالوث الأقدس. وأجبرهم

على كتابة حروم على أثناسيوس الرسولى بطريرك الاسكندرية من الأسرار المقدسة وكذا على بقية الأساقفة التابعين له. وها هى أسماء الذين نفاهم مع أثناسيوس الرسولى:

- ليبير بطريرك روما خليفة يوليوس
- بولان قائد الجول Gaules
- دنيس قائد إيطاليا
- لوسيفير قائد جزيرة سردينيا.

وعين أوجزنتيوس الأريوسى أسقفاً لاقليم ايطاليا. ونفى كونستانس أيضا الشيخ الجليل وأب الاعتراف أوسيوس Osius مطران الغرب، وطرد أيضا ونفى الآباء القديسين الذين حضروا مجمع نقيه عن كراسيهم. ولما جاء الامبراطور كونستانس إلى روما، جاءت النساء ترجوه بإعادة البطريرك ليبير من المنفى، فاعاده إلى روما. ولكن بعد عودة البطريرك ليبير، فإن فليكس التابع له كان قد إتصل بالأريوسين، ونودى به بطريركاً بعد طرد سيده، لذلك لم يكن راضياً بإعادته، وعامله بجفاء وكبرياء وكعدو له. فطردوه من روما ونفوه أيضاً فى الغرب.

وأرسل كونستانس غلليوس Gallus إبن أخيه من الشرق أثناء الليل. وكان غالليوس مسيحياً حقيقياً إذ كان قد حارب ماجينيس وقتله. ثم عاد بعد ذلك إلى القسطنطينية، وعينه كونستانس إمبراطوراً لروما وأرسله ليقيم فيها.

وبعد وصوله غادر جوليان أخوه ذو السمعة السيئة إقليم بيثينيا، وذهب إلى القسطنطينية وظل إلى جوار الامبراطور كونستانس، لكن كونستانس كان قد أمر بقتل العديد من أهله. مما جعل جوليان يخشى أن يفترى عليه أيضا وهو بجوار الامبراطور.

ولو أن جوليان من قبل قد أقام فى كنيسة نيقوميديا بصفة قارىء وفى الوقت نفسه كان محارباً شجاعاً إلا أنه كان مضطرباً بسبب ما حدث من الوساوس من جهة العقيدة المسيحية.

وكان جالوس يحكم فى روما بإرادة الإمبراطور كونستانس، الذى كان هو زوج أخته، وكان يحبه، لكن لم يعش إلا فترة وجيزة ومات.

ولكننا نرى أن جوليان بعد ذلك إنضم لجيوش الرومان، وكف عن قراءة الكتب المقدسة، وترك شعر رأسه يكبر، واصبح قائداً كبيراً، ثم عين امبراطوراً فى أوربا، طبقاً للتقاليد المسيحية. بأمر الامبراطور كونستانس، لكنه لم ينتظر حتى يوضع التاج الامبراطورى على رأسه طبقاً للتقاليد.

ثم ضل جوليان بسبب الايحاءات والسحرة، وأصبح خادماً للمقدسات الخاطئة، متطلعاً للمراتب العالمية، وأوجد عداوة بينه وبين الامبراطور كونستانس.

وبدأ يحول المؤسسات المقدسة إلى مساكن للشياطين ومعابد للأوثان. وكان الوثنيون يضطهدون المسيحيين المساكين، وكانوا يذلونهم بالسخرية والاستهزاء، ويجردونهم من أملاكهم ويقتلونهم، ويسومونهم بكل أنواع العذاب، والاساءة ليس لمدة قصيرة بل لزمن طويل، كانوا يزأرون عليهم كالحيوانات المتوحشة، وحدث فى ذلك الوقت أن أحضر عابدوا الأوثان حطباً لكى يحرقوا جسد القديس يوحنا المعمدان، لكن تدخل ربنا يسوع المسيح أفسد خطتهم، فهرب هؤلاء الناس الأشرار منزعجين من رؤيا مخيفة.

وكان حاضراً فى هذا المشهد بعض من شعب الاسكندرية فحملوه وسلموه سراً الى القديس اثناسيوس البطريرك. وقبل هرب القديس أثناسيوس سلمه إلى قاضياً من كبار سكان المدينة وإئتمنه عليه، وهذا وضعه فى منزله.

وقد عرف هذا السر بعض الكهنة، والقديس البطريرك ثاؤفيلس الثالث بعد أثناسيوس، والذى كان موجوداً آنذاك عند نقل جسد القديس يوحنا إلى الاسكندرية، وكان قارئاً وابصاليتيا، وخلف القديس أثناسيوس البطريرك الأنبا بطرس، الذى خلفه أيضا أخوه تيموثاوس الأكتمونى أى المسكين، وخلف هذا الأخير البطريرك ثاؤليلس الذى هدم المعبد المسمى (....) وحوله إلى كنيسة. وهى المبنى الكبير والفخيم ذو الأبهة. وقد كرسها البطريرك ثيؤفيلس بإحتفال عظيم، لتكون موضعاً لجسد القديس يوحنا المعمدان.

وأمر البطريرك بوضع جسد القديس يوحنا فى قبر شيد خصيصاً وسط الكنيسة ورتب إحتفالاً كبيراً بهذه المناسبة، وصار شعب المدينة فخورين ببطريركهم وغمروه بالمديح والثناء.

الفصل التاسع والسبعون

يحكى عن القديس ثاؤفيلس بطريرك الاسكندرية، أنه ولد من أبوين مسيحيين فى مدينة الفرعون منفيس. وكانت تسمى أركاديا فيما مضى.

وتيتم منذ طفولته الناعمة مع اخته الصغيرة، وكانت له عبدة أثيوبية كانت ملكاً لوالديه. وذات يوم عند بزوغ الفجر، أخذت هذه العبدة الطفلين من يدهما، وقادتهما إلى معبد المقدسات النجسة، وهو معبد أرطاميس وأبللو، لكى تجعلهما يتعبدان بطقوس الوثنيين الخاطئة.

وحدث عندما دخلا هذان الطفلان إلى المعبد، أن الأوثان وقعت على الأرض وتهشمت. عندئذ خشيت العبدة من إنتقام كهنة الأوثان المرعبة، فهربت بالطفلين ومضت بهما إلى (نقيوس).

وهناك فى نقيوس خشيت أن ينكشف أمرهم، فيسلمونهم إلى كهنة الأوثان، فهربت بالطفلين إلى مدينة الاسكندرية، منقادة بذلك بإلهام إلهى مقدس.

حيث أنها نالت عفواً من الله، وندمت وأخذت الطفلين وأدخلتهما إلى الكنيسة ليتعلما العبادات المقدسة التى للمسيحيين، وكشف الله فى الحال للأب القديس أثناسيوس بطريرك الاسكندرية حال دخولهم الكنيسة، حيث وقفوا فى المكان الذى بالقرب من المنبر، فأمر القديس اثناسيوس بالتحفظ على هؤلاء الثلاثة، الذين حضروا حتى نهاية القداس. وبعدها إقتادوهم إليه، فإستجوب العبدة بهذه الكلمات: لماذا تصرفت هكذا؟ لماذا لم تساعدك آلهتك الخالية من العقل؟ بل بالحرى على العكس عندما رأت أولاد الكنيسة، وقعت على الأرض وتكسرت؟! لذلك فمنذ الآن هذان الابنان ملكى.

فأندهشت العبدة من كلام القديس! سيما لما رأت أنه عرف سر ما حدث فى المعبد، فتحرجت ورأت أنها لم تقدر أن تخفى ما فعلته، فقامت وخرت عند قدميه، وطلبت منه الصفح، ثم طلبت أن يعمدها. فعمدها القديس فإستنارت بالنعمة وأصبحت شخصاً جديداً.

ثم أرسل الأب البطريرك البنت الصغيرة إلى دير العذارى لتحفظ فيه إلى حين زواجها، وبعدها تزوجت رجلاً من المحلة (وهى مدينة شمال مصر كانت تسمى قديما "ديدوسيا") وانجبت القديس (كيرلس) الكوكب العالى الذى أضاء فى كل مكان بتعاليمه، وهو اللابس الروح القدس وأصبح بعد القديس ثاؤفيلس خاله بطريركاً.

أما القديس ثاؤفيلس، فحلقوا رأسه وجعلوه مع الأغنسطسين، وتربى بعناية كما يتربى القديسين، حتى كبر وأصبح شاباً حسب قلب الله، وتعلم كل كتب الكنيسة الموحاة من الله، وكان متقنا كل نواهيها.

وبعد ما نال رتبة الشماسية، إمتلأ غيرة لديانة ربنا يسوع المسيح وسلك بقداسة وبر، تمنطق بالكرامة، وإرتدى الوقار الذى للرتبة الكهنوتية العظمى، فجلس على عرش مار مرقس الإنجيلى فى مدينة الاسكندرية عندما سيم بطريركاً. فأنار كل

المدينة بشعلة إيمانه المقدس، وإستطاع أن يجنب كل بلاد مصر من عقيدة الأوثان المرذولة. فلم يسمح بأى عابد للتماثيل أن يكون له إقامة، وهكذا كان قد تنبأ عنه القديس أثناسيوس الرسولى.

الفصل الثمانون

بدأ يوليوس البائس فى تشييد معبداً لليهود فى أورشليم، والذى كان قد هدمه الرومان، وقدم فيه القرابين، لأنه كان محباً لسفك الدماء، لكن ربنا يسوع المسيح له المجد، أبطل كل مساعيه ففشل كل ما كان يشرع فيه وما كان يأمر به.

وأن سابور ملك الفرس، الذى كان مسالماً، لذلك كان يدفع الجزية للامبراطور قسطنطين محب الله. لكنه قام بحملة لمحاربة الرومان. فى هذا العصر الذى ختم فيه القديس الشهيد حياته المقدسة.

فحدث أن الامبراطور جوليان عدو الله، مصطحباً أتباعه من السحرة والمخادعين، بعدما قدموا الذبائح للآلهة فى مدينة تدعى كاسباس، الواقعة على أرض انطاكية على بعد ستة أميال منها، والتى كان بها تمثال أبوللو، تقدم بالمسير بجيشه الرومانى لمهاجمة الفرس، فمر بالقرب من مكان منعزل، لكنه وجد فيه كثير من الناس مجتمعين: رجالاً، ونساء، وأطفال. إذ كان كثير من المرضى ينالون شفاءهم بصلاة القديس دوميس خادم الله.

فسأل الامبراطور: لما كل هذا الجمع؟ فأجابوه: هنا راهب يعمل المعجزات ويشفى المرضى. لذلك جاء كل هؤلاء لينالوا البركة والشفاء على يديه وهم مسيحيون.

حينئذ استشاط جوليان غضباً، لكنه أرسل جندياً إلى القديس دوميس يقول له: لقد أقمت فى هذا الكهف لترضى ربك، فلماذا إذن تحاول إرضاء الناس الآن، ثم قال له بلهجة التهديد: لماذا لا تختفى؟ فأجاب القديس: لقد سلمت روحى وجسدى

بين يدى إله السماء الاله الحقيقى يسوع المسيح. وأنا لى سنين عديدة أقيم فى هذا الكهف. أما هذا الجمع الكثير، فقد أتى بإيمان إلى هذا المكان، وأنا لايمكننى أن أطرد أحداً.

فلدى سماع الامبراطور لهذه الكلمات، حتى أمر بغيظ أن يسدوا باب المغارة على القديس، وظل مغلقاً حتى تنيح القديس الشيخ فيها! هكذا انتهت حياته المقدسة فى الثالث والعشرين من شهر Hamle فنال الإكليل الغير المضمحل فى ٢٣ مارس، وسجلت حياته ورسمت أيقونه مباركة له.

ولم يمض وقتا طويلاً حتى أصيب هذا الامبراطور المستبد جوليان بعقاب من الله. فحين مضى لمحاربة الفرس عابدى الاوثان مثله، مضى إلى هناك دون عوده، فلم يبصر الامبراطورية الرومانية ثانية، هذا بعكس ما أعلن له المشعوذين بقولهم: "اجتمعنا نحن الآلهة، وقت دخولك النهر لمساعدتك".

فخدع هذا البائس بكلامهم، ولم يستطع أن يقول شىء أمام كلامهم اللين المخادع.

وكانوا يسمون ذلك النهر "نهر النار" بسبب وجود الحيوانات المقدسة فيه، وظل هذا الاسم حتى الآن.

وكان جوليان ملتصقا بالشر، لدرجة دعى نفسه بالمقاوم لكلمة الله فاصبح عدواً لله الخالق له المجد، فوضع رجاؤه فى العبادات الخاطئة، وكان يستشير الجن والشياطين، وكانوا هم بدورهم يضللوه بمشوراتهم الباطلة، مع انهم كانوا عاجزين عن إنقاذه، بل كانوا يربكون عقله بأفكار مشوشة.

فصار عدواً لربنا ومخلصنا يسوع المسيح، الذى بذل دمه لأجل جميع الناس، وهو الذى ثأر لخدامه المسيحيين من أيدى أعدائهم.

لقد سفك جوليان دم عدد كبير من المسيحيين خلال حكمه، ونظم إضطهاداً عنيفاً ضد كل الذين يذكرون اسم يسوع.

وبينما كان هذا المخادع يستعد لمحاربة الفرس، جاءه الانتقام الإلهى من ربنا يسوع المسيح، إذ قُتل بيد خادمه ماركوريوس الشهيد.

وقد رأى باسيليوس اللاهوتى أسقف سيزاريه الكبادوكى حلماً، فى الليلة التى فيها قتل هذا المستبد، فرأى السموات مفتوحة وربنا يسوع المسيح جالساً على عرش مجده، ثم نادى بصوت عظيم "ياماركوريوس سوف تقتل جوليان عدو المؤمنين" وكان ماركوريوس واقفاً يرتدى درعاً لامعاً، ومزيناً بالورود، ولدى سماعه أمر ربنا يسوع، إختفى لحظة، ثم ظهر برهة، واختفى للمرة الثانية.

ولما ظهر للمرة الثالثة قال: لقد قتلت الامبراطور جوليان كما أمرت يا سيدى، ومات!! .

فاستيقظ الأب الأسقف مرعوباً، خاصة أن جوليان كان يكرم القديس باسيليوس لأنهما كانا صديقين حميمين منذ طفولتيهما، وتعلما معاً، وكان باسيليوس لايكف عن إرسال الخطابات لصديقه، ليحثه على ترك الخطية، ولكن جوليان لم يسمع، ولم يقبل نصائحه.

ثم دعى الأنبا باسيليوس كهنته، وبعض المؤمنين المتدينين لصلاة نصف الليل، بعد انتهاء الخدمة فى الكنيسة، وبعدها قص عليهم الحلم الذى رآه، ثم ختم قوله بهذه العبارة "هل حقا يكون جوليان قد مات؟!! فإضطرب الاكليروس والشعب من هذا النبأ، وطلبوا من الأب الأسقف إن يكتم الأمر حتى يصبح الخبر أكيداً.

لكن رجل الله لم يصمت، بل على العكس أشاع الخبر، ولم يخف شيئاً، لأنه وثق فيما أعلنه له ربنا يسوع المسيح.

ولم يمض الوقت الطويل حتى أذيع فى كل الأقاليم نبأ موت جوليان الجبار، الذى انهى الله حياته على يد القديس الشهيد ماركوريوس، فأصبحت رؤيا القديس باسيليوس حقيقة!

مات أذاً هذا الجبار الذى كان يقود جيشه الى الدمار، ويعرضه لكل انواع الآلام.

حدث مرة أنه أمر بقطع أنوف اثنين من الفرس اللذان كانا يقومان بمقام المرشدين للجيش، لكنهما بمكر قاداه فى الصحراء والجبال حتى تاه فى أماكن خالية من الماء، قاصداً ملاقاة الفرس، فهلك الجنود الرومان فى تلك البقاع من الجوع والعطش والتعب. وهكذا استخدم الفرس المكر والخديعة حتى قادوا جيش الرومان إلى الدمار.

ولم يفهم جوليان مما حدث أنه عقاب ظاهر من الله، بل قضى كل حياته البالغة نحو أربعة وثمانون سنة كلها فى الأعمال الاجرامية.

بعد موت جوليان إجتمعت كل الفرق الرومانية، لتعلن عن اختيار امبراطوراً جديداً. وقد وفقهم الله بمعونته على اختيار (جوفيان) الذى كان مسيحياً أرثوذكسياً، وخادماً تقياً غيوراً فيماالله. ولم يقبل فى بادىء أمره أن يكون امبراطوراً، غير انه اختير رغماً عن إرادته، إذ كان برتبة جنرال، وكان كبير القواد.

وقد نودى به امبراطوراً، وحصل على تاج الامبراطورية. وقبلما يمارس جوفيان عمله، صعد على مكان مرتفع، ووجه خطابه الى الشعب، والجيش بصوت عال قائلا: "إن كنتم تريدوننى امبراطوراً عليكم، يجب عليكم أن تكونوا مسيحيين مثلى، أى آمنوا بيسوع المسيح، واتركوا عنكم الآلهة المزيفة، وصيروا اعداء لها.

عندئذ صاح الشعب والجيش معاً. نحن مسيحيون. ومن الآن فصاعداً نحن عبيد يسوع المسيح ملكنا، ونكرم صليبه المجيد. ورفعوا هتافاتهم أمام الامبراطور، حيث غمروه بالمدائح.

وعندما علم الفرس بموت جوليان، وتعيين جوفيان التقى خلفاً له، أرسلوا له سفارة لكي يتعاهدوا معه على إيقاف الخصومة والحرب، طالبين السلام.

فاستقبلهم الامبراطور جوفيان بسرور، وصارت هناك صداقة بين الرومان والفرس، وإستتب السلام.

وبعد ذلك وافق الفرس على أن يدفعوا جزية لجوفيان. وهو بدوره منحهم تخفيضاً للجزية لمدة سنة.

ولما كان جوليان سابقه الذى مات، قد هدم، وخرب عاصمتهم تماماً، أمر جوفيان ببناء مدينة أخرى لهم، خارج حدود امبراطوريتهم، ودعا هذه المدينة (امهد). وأحاط المدينة بأسوار متينة، وجعل لها حصون، وأسكنها شعباً كثير العدد، فأصبحت تضارع المدينة القديمة، التى كان جوليان الجبار قد خربها.

وقد طلب حاكم هذه المدينة بإلحاح من الامبراطور جوفيان ان يسمى هذه المدينة باسم روما، لكن جوفيان رفض، بسبب السلام والصداقة التى صارت قائمة بين الرومان والفرس فى ذلك الوقت.

الفصل الواحد والثمانون

غادر الامبراطور المسيحى جوفيان بلاد فارس، بعدما انتهت الحرب، وأرجع الجنود الذين هربوا من الموت سالمين معافين. أما الذين وجدهم يتبعون جوليان الجبار بقلوبهم ونياتهم السيئة، أمر بإبادتهم فوراً.

ثم أمر بفتح كنائس القسطنطينية، وغلق معابد الأوثان وأرجع للمسيحيين البلاد التى كان قد اغتصبها جوليان منهم، كما عين فى كل أقاليمه حكاماً مسيحيين.

وبعدما هدم معابد الأوثان، انتقص عدد الوثنيين. وحرم أيضا مذهب الآريوسيين، الذين كانوا أعداء للمسيح، لأن الامبراطور كان أرثوذكسياً بالحق، وكان يعبد الثالوث الأقدس الواحد، واهب الكل حياة.

كانت مآثر أفعاله الحسنة، وإيمانه الأرذوكسى الراسخ، يسطع مثل ضوء الشمس، وكان مملوءاً بالفضائل، مسرفاً بكرم فى عطاياه لكل أحد فى عصره.

وقد كتب جوفيان رسالة إلى كل أقاليم الامبراطورية الرومانية جاء فيها:" من جوفيان الخائف الله، الامبراطور العظيم سيد الأرض، إلى كل مسيحى امبراطوريتى. أوصيكم بالله، أفرح معكم بخصوص الكنيسة المقدسة، التى أصبحت وسط البلاد مثل السرة وسط البطن لقد انتصرت الكنيسة على كل الذين قاوموها انتصاراً مبهراً.

بعد ما نالت من التعذيب والايلام على يد الامبراطور السابق جوليان، والذى أمر بغلق الكنائس.

إنى أمر بإعادة فتحها، وأن يعاد لها سلامها، حتى يستطيع رجال الكهنوت المقدس أن يجتمعوا ويتباحثوا فيها، ويرفعوا صلواتهم إلى السماء، فيتقبلها الله بنعمتة.

فبادروا إذن بفتحها ليتيسر أن تؤدى خدماتها، ولتكرم أساقفتها، وليقبل الى الكنائس كل جيش وشعب روما، لأنها وهبت هم من قبل ربنا الطويل الأناة والكثير الرأفة والتحنن، لكى يمارسوا الصلاة والتضرع بحرارة قوية" .

ووجه جوفيان أيضا رسالة أخرى إلى القديس أثناسيوس الرسولى، بطريرك الاسكندرية لكى يعود إلى مدينته بكرامة عظيمة، وتضمنت الرسالة هذه الكلمات:

"من جوفيان الامبراطور الى القديس أثناسيوس حبيب اللـه. نحن نقدر شخصك، وسلوكك الحكيم، وعلاقاتك القوية مع الأباطرة، وفضائلك المسيحية، ومجهوداتك النبيلة لقضية إيمان ربنا يسوع المسيح له المجد. ونحن نطلب منك يا معلمنا المبجل والذى تحمل الآلام الكثيرة، ولم تخضع لحظة لأولئك الذين إضطهدوك، ولم تتقهقر أمام المخاطر التى انصبت عليك، بل انتصرت على الكراهية والغضب، ولم تتزعزع قيد أنملة، فى إتباعك خطوات الايمان الارثوذكسى الصحيح حتى النهاية، تاركاً مثال حياتك البطولية لخلفائك الذين قلدتهم إيمانك القوى وفضيلتك.

نحن نطلب منك إذن العوده إلى ولايتنا لتستأنف تعاليمك النافعة، وترعى كنيسة اللـه، وتحكم وتسوس شعب المسيح.

وأرجوا أن ترفع صلواتك المقبولة أمام المسيح لأجلنا، ولأجل امبراطوريتنا، حتى نحصل على السلام بفضل صلواتك. واننا نؤمن ونثق أن نحصل على معونة من اللـه العلى، عندما تطلب ذلك من فمك النقى المقدس، ولأن كلماتك موحاه من الروح القدس ونحن نبعث إليك بهذه الرسالة نحثك على إنارة الشعب بنور المسيح. كما وأن تزيل عبادة الأوثان التى يمقتها اللـه، كما وان تبيد هرطقة الأريوسيين الذين طردناهم، فنحصل على سلام الكنيسة بصلواتكم" .

وبعدما قرأ القديس أثناسيوس الرسولى الشعلة المضيئة للمسكونة، هذه الرسالة، استدعى الاساقفة القديسين وعلماء البيعة وعقد مجمعاً.

ثم كتب رسالتين مجمعيتين إحداهما عن اللـه الكلمة أحد أقانيم الثالوث الاقدس، والآخرى عن أحكام يسوع المسيح.

ثم وجه رسالة إلى القديس باسيليوس، الذى كان مهتماً بالبحث فى أحكام اللـه كان هذا مضمونها.

"لقد إنضم تماماً الامبراطور جوفيان البار الى العقيدة الارثوذكسية بأكثر همة، هذه العقيدة التى أقرها مجمع نيقية، فلتفرح أنت معنا إذن، لأن لنا امبراطوراً أرثوذكسياً ثبت العقيدة الحقة للثالوث الأقدس".

وقد ختم الامبراطور، جوفيان حياته بتقوى وسلام، صانعاً ما يرضى الله، وحينما كان متجها الى بيزنطة، أصيب بمرض، وبعدما عبر كيليكيا وغلاطية، جاء الى مدينة تدعى (ديدستانا) حيث مات هناك. ولم يكن العالم مستحقاً أن يملك امبراطوراً نظيره، إذ كان طيباً تقياً، نقى القلب، رحوماً، متواضعاً ومسيحياً أرثوذكسياً.

الفصل الثانى والثمانون

بعد موت جوفيان، صار هناك حزن شديد بين الضباط بسبب موته، وكان حاضراً معهم فالانتينيان ينتحب معهم، وبينما هم منشغلون باختيار امبراطوراً آخراً، تقدم (سالوست) القائد العظيم، الذى كان يتمتع بسلطة كبيرة بين الضباط، وكان يرأس الجيش، وأبدى رأيه قائلاً: "فالانتينيان هو الأفضل فهو أصلح امبراطور يناسبنا، وكان فيما مضى جنرالاً فى الجيش ولكن جوليان قد نفاه بسبب إيمانه الأرثوذكسى الصحيح".

فوافق ضباط الجيش على رأى سالوست، ونودى بفالانتينيان امبراطوراً، وأعلن ذلك فى كل الأقاليم بصوت المنادى العام.

قائلاً: "فالانتينيان الرجل العادل المسيحى، والأمين فى قوله، والمخلص قد إعتلى العرش"

وبعدما ملك فالانتينيان، قام بتعيين سالوست رئيساً للوزراء وقائداً للجيش، وكان سالوست يطبق العدالة خلال ممارسته لوظيفته، وينشر الحق فى كل الأقاليم، وكان فاخر ... يرفض أن يقبل الهدايا أو الرشوة

وفرح به الامبراطور، لأنه رأى سيادة العدل فى مملكته. ثم عين فالانتينيان (فالنس) أخاه امبراطوراً، وأرسله الى القسطنطينية، بينما هو أخذ حكم الغرب واستقر فى روما.

وكان كثيرين من قضاة الغرب يستغلون سلطتهم، ويقترفون أعمالاً لاتليق، مقبلين الرشوة.

حدث أن إقترف روادان، وهو ضابط فى البلاط عملية نصب تجاه أرملة، إذا استولى على أموالها. فذهبت هذه الأرملة وشكت أمرها للامبراطور، الذى أمر روادان بشدة، إرجاع كل ممتلكاتها إليها.

ومنذ ذلك الوقت وكان الامبراطور يزداد إعتباراً وإحتراماً من كل ضباطه وجيشه وكل شعبه، لأنه كان يكره أعمال الخداع، وكان يحكم طبقاً للعدالة والقانون. ولم يكن يستثن أحداً قط حتى لو كانت زوجته (مارينا)، التى كانت قد اشترت حديقة من إمرأة بستانية، فقد راعى الوسطاء مراعاة خاصة فى ثمنها بالنسبة للامبراطورة على حساب صاحبتها. فلم تدفع الامبراطورة لها القيمة الحقيقة ولما سمع الامبراطور لم يعفها من ذلك، فأرسل رجالاً خائفين الله لكى يثمنوا هذه الحديقة بدقة، مستحلفاً إياهم رسمياً وقدموا له تقريراً غاية فى الدقة، حيث وجدوا أن الامبراطورة قد حملت صاحبتها خسارة مهولة، فلم تدفع الا جزءاً ضئيلاً من ثمنها. فغضب الامبراطور جداً من الامبراطورة لدرجة أن طردها من القصر، وهجرها، متخذاً له زوجة أخرى غيرها، تدعى جوستين، حيث قضى معها بقية حياته. أما الزوجة الأولى فنفاها عن المدينة، وأرجع الحديقة الى صاحبتها.

أما إبنه الذى أنجبه من الزوجة القديمة، والذى أسماه جراسيان فرفعه الى درجة امبراطور، لأنه وجد منه أعمالاً تستحق الثناء.

ثم مرض فالانتينيان ومات فى قصر يدعى "وطن" ثابتاً على إيمانه وعقيدة الثالوث الأقدس.

كان خليفته هو أخوه فالنس الذى كان قبلاً مسيحيا مستقيماً، لكنه ما لبث أن إتبع عقيدة الآريوسيين المرذولة، فأصبح يضطهد الأرثوذكسيين، ووهب كنائسهم للهراطقة الأشرار، وكان يصادر أملاك سكان بيزنطة والمدن الأخرى ظلماً.

وحدث فى مدينة نيقية، التى اجتمع فيها المجمع المقدس، أن ارتفع ماء البحر حتى غطى المدينة بكل مساكنها وذلك فى أيام حكم هذا الامبراطور وكان يحكم مدينة الاسكندرية عاصمة مصر فى ذلك الحين، رجل يدعى (تاثيان) وهو الذى شيد بوابتين عظيمتين من الحجارة، فى مكان يسمى بروشيوم Bruchium. حيث يمر من خلالها النهر الكبير. كما زود مصر بكثير من الاستحكامات.

فى ذلك الوقت أيضاً حدثت معجزة بواسطة القديس أثناسيوس الرسولى حامى الايمان، وبطريرك الاسكندرية.

قد طغت أمواج البحر على المدينة، وتوغلت فيها مهددة بغرقها، حتى الى المكان المسمى هيباستاديون Heptastadion! فصحب القديس كهنته ومضى الى شاطىء البحر، ممسكاً بالكتاب المقدس بيده، ثم رفع يديه الى السماء وصلى "قائلاً" يا سيدى الاله الذى لاتخلف وعودك أبداً، أنت الذى وعدت نوحاً بعد الطوفان، الا تجلب طوفاناً على الأرض مرة أخرى ..." .

وبعدما انتهى القديس من صلاته، انحسرت مياه البحر، رجع الى حدوده، وسكن غضب الله، وهكذا انقذت المدينة، بفضل صلاة القديس أثناسيوس الرسولى، والنجم المضىء .

الفصل الثالث والثمانون

هناك أباطرة عظام مشهورين أمثال، جراسيان، وثيؤدسيوس كانوا مملوئين غيرة للخير، وخدام لله.

وقد خلص أحدهما المؤمنين القديسين من القيود التى كبلهم بها الامبراطور فالنس، وأبطل اضطهاد المسيحيين.

وأما الاخر فكان يحب الله من كل القلب بحرارة، وقد رد للمؤمنين كنائسهم. وهدم عبادة الاوثان، وحرم مذهب الاريوسيين الأشرار، وأقر وثبت الايمان الأرثوذكسى الحق خالياً من الانحرافات . وفى ذلك الحين جاء القديس اغريغوريوس الناطق بالالهيات الى القسطنطينية وجاء بكل حرية ليثبت الكنائس، بعدما كان مجبراً على الهرب والاختباء من مكان لآخر ومن مدينة لأخرى.

وقد شيد ثيؤدسيوس كنيسة مقدسة عبارة عن بناء رائع بمدينة القسطنطينية، بعدما طرد منها أودوكسيوس (مقدونيوس) عدو الروح القدس. ثم أرسل رسالة الى باسيليوس أسقف سيزاريه الكبادوكى، وإلى اغريغوريوس أسقف نيصص وإلى امفيلوشيوس أسقف ايقونية ، والفيلسوف اللاهوتى، وأوصاهم أن يثبتوا الكنيسة على الايمان الحق ويظهروا ما عظمة الروح القدس وحقيقته.

ونرجع إلى قصر الامبراطور ثيؤدسيوس صديق الله. حدث بينما كان ذاهباً إلى بيزنطة بصحبة جراسيان الامبراطور الورع أن رأى حلماً، وكان ميليس بطريرك انطاكية (ملاتيوس) يضع على رأسه تاجاً امبراطورياً، بارادة الأمراء، وكان هناك رجلاً أريوسيا يقيم خارج المدينة، وعندما وصل إمفيلوشيوس إلى البلاط الامبراطورى، وجد ثيؤدسيوس وولديه أركاديوس وأنوريوس جلوساً على عرش الامبراطورية، لأن ثيؤدسيوس جعل والديه أباطرة فى حياته.

ولما تقدم الاسقف نحوهم قدم التحية لثيؤدسيوس، ولكنه لم يحى أبناءه! حينئذ جرح ثيؤدسيوس فى كرامته، لأن الأسقف لم يحى أبناءه. وعندما لاحظ الأسقف أن الامبراطور لم يسر به، قال له : إعلم أيها الامبراطور، أنه هكذا يتصرف الهراطقة الكفار، الذين لايحبون الإبن، والروح القدس الثالوث الواحد مع الآب فى الجوهر، وأنت لم تطردهم من ولايتك!.

وعندما سمع الامبراطور هذا الكلام إمتنع، وأقر بأن هذا الأسقف على حق، وأنه من أفضل القديسين المؤمنين، والتزم بالصمت. ثم أعلن حماسه لقضية الأرثوذكسية، بأن أصدر قانونا فى الحال يمنع بقاء أى هرطوقى على أرض الامبراطورية الرومانية، ولا فى النجوع أو القرى أو الحقول.

وأثناء إقامة الامبراطور ثيؤدسيوس فى آسيا، ظهر مغتصب يدعى مكسيم، وكان مواطنا من إقليم بريطانيا.

هذا قام على جراسيان الامبراطور الورع وقتله، بعدما نصب له فخاً، ثم إستولى على ولايته بالقوة. وجعل إقامته فى روما.

أما فالنتينيان أخو جراسيان فلجأ إلى تسالونيكى مغتاظاً وكان مكسيم جباراً ولا يهتم فيمالله، بل كان أريوسياً. ثم ظهر شخص آخر يدعى أوجين، وكان يعمل طبيبا وثنياً.

وكان يضطهد خدام المسيح، ويمارس أمور السحر والشعوذة كأنها شىء عادى.

قام هذا الرجل بمساندة الجيش، فإستولى على ولايات فالنتينيان وأمر بقتله بتهمة الخيانة.

ولما علم ثيؤدسيوس بهذه الأحداث، جمع جيشاً عظيماً لمقاتله هذين المغتصبين (مكسيم، وأوجاديوس) وقتلهما بمعونة وارشاد ربنا يسوع المسيح الذى كا يخدمه.

هكذا أخذ ثيؤدسيوس بثأر الامبراطورين جراسيان، وفالينتنيان، وإستولى على الامبراطورية الرومانية بأكملها، وأخضعها تحت سلطانه. ثم وهب الحرية للمؤمنين الأرثوذكس في سائر امبراطوريته، وطرد الأريوسيين الكفار.

وجمع مجمعاً بالقسطنطينية نحو مائة وخمسون أسقفاً قديساً، ليحارب البدع والهرطقات في كل إقليم الامبراطورية، وأبرز عقيده الله الواحد المثلث الأقانيم، وثبت الايمان الارثوذكسي.

وحيث أن الآباء الأساقفة اجتمعوا برأى واحد، وكانوا ممتلئين من الروح القدس، كاملين في أفكارهم وكلماتهم وأعمالهم، لذلك ساد السلام كل ربوع الكنيسة، فاغتاظ الشيطان عندما رأى ذلك، واجتهد في تمزيق وتشتيت أعضاء الجسد الواحد أى الكنيسة المقدسة.

عندما ذهب إغريغوريوس اللاهوتى لحضور المجمع المسكونى، وكان قائما بمدينة القسطنطينية ينيرها بتعاليمه، لكن البابا ثيموثاوس بطريرك الاسكندرية، حثه بأسلوب هادىء ملائكى أن يترك مدينة الامبراطورية (القسطنطينية)، ويرجع إلى مقر كرسيه، وإيبارشيته القديمة في نيزيانزة، لكى يرعاها ويسوسها، لأن القانون الكنسى لايسمح للإسقف أن يترك كنيسته لو كانت فقيرة لكى يشغل كنيسة أخرى كبيرة وغنية!

وأوضح الأب البطريرك أن هذا العمل منافيا لقانون الآباء. لكن الآباء أساقفة الشرق الحاضرون معهم والذين سمعوا ما جرى من حديث، لم يتفقوا مع بطريرك الاسكندرية، هذا بجانب أنهم اختلفوا أيضا في موضوع آخر، وذلك لأنهم اعتبروا ان البابا تيموثاوس البطريرك إدعى لنفسه حق تعين بطريرك القسطنطينية (مكسيم) الذى كان رجلاً فاضلاً مكرماً، قاسى كثير من الشدائد والاضطهادات من الأريوسيين. وكان هناك خلاف بين الأساقفة الشرقين والمصريين.

وقد تدخل اغريغوريوس، وكان وسيطاً فأوجد الاتحاد بينهم. أما مكسيم الذى رسم فى القسطنطينية بدون رأى الأساقفة فإستقر بالمدينة، مما جعل إغريغوريوس يترك مدينة الامبراطورية حسب رأى كل الأساقفة، ويرجع الى ايبارشيته القديمة.

ولم يكن اغريغوريوس يهتم بأمور العالم، إذ كان قلبه راسخاً كالصخرة فلم يتأثر لما حدث. ولكن حزن عليه كل شعب القسطنطينية لأنه كان قد أنقذ المدينة من السقوط فى عقيدة الأريوسيين.

ثم قاموا على مكسيم وأخرجوه من المدينة، وكل الأساقفة الذين كانوا تحت رئاسته. وأعادوه الى الدير الذى كان يرأسه من قبل.

وبعد ذلك اختاروا رجلاً حكيماً وورعاً يدعى نكتاريوس، من عائلة كبيرة من مدينة القسطنطينية، ورشحوه للبطريركية بحسب رأى المائة والخمسون أسقفا الذين كانوا مجتمعين بالمدينة وأقاموه رغماً عنه بطريركاً على المدينة، وكان كل الشعب معجبين به. وبعد رسامته، اجتهد فى محاربة الأريوسيين، مدافعاً بغيره قوية عن الايمان الأرثوذكسى.

وسرعان ما أستتب الأمر، وعادت الوحدة الى صفوف كل المجمع، فعاد الآباء الأساقفة الى أقاليمهم وهم سعداء.

أما ابليس عدو جنسنا، فلم يكف عن إثارة الفتن والاضطرابات ضد البطريرك نكتاريوس.

وحدث أن قام الامبراطور ثيؤدوسيوس، صديق الله، على رأس جيش كثير العدد، ليحارب المغتصب مكسيم الأريوسى، الذى كان يقيم عند ميلان، وقبلما يشتبك الجيشان معاً أو حتى يلتقيا وجها لوجه، قام الأريوسيين بنشر أخبار كاذبة فى مدينة بيزنطة، وهى أن الامبراطور ثيؤدسيوس، قد هزم فى المعركة، وأن كل جيشه أبيد، فأصبح المسيحيون الأرثوذكس فى خوف ورعب.

وبعض الأرثوذكس لخوفهم استسلموا للأريوسيين، الذين فى شرهم وثورتهم اشعلوا النيران فى مقر البطريرك نكتوريوس. ولما علم الامبراطور ثيؤدسيوس، صديق الله بإساءاتهم، هاجم مكسيم المغتصب بجيش كبير، وقتله.

فى ذلك الحين شيد البطريرك القديس ثاؤفيلس فى الاسكندرية، كنيسة رائعة، وأسماها باسم الامبراطور ثيؤدسيوس، وكنيسة أخرى اسماها على اسم ابنه أركاديوس.

وهناك معبد بمدينة سيرابيس، كان البابا ثاؤفيلس قد حوله إلى كنيسة، فكرسها بإسم أنوريوس ابن ثيؤدسيوس الثانى وهذه الكنيسة الأخيرة، كانت تقع فى مواجهة كنيسة القديس بطرس خاتم الشهداء، وكانت تسمى أيضا كنيسة الشهداء القديسين قزمان ودميان واخوتهم.

عاش المسيحيون إذن تحت حكم الامبراطور ثيؤدسيوس فى سلام وقام هذا الامبراطور بتنفيذ عدداً من المنشآت العظيمة فى كل نجوع مدينة أنطاكية.

وأنشأ سوراً جديداً يربط الجبل بقلعة الامبراطور يبير الأول، كما أمر بإقامة أسواراً حول الحقول والحدائق التى كانت بلا سور.

حدث بعد ذلك حوادث عصيان، وتمرد وفوضى فى مدينة تسالونيكى، سببها وجود الأريوسيين. وقامت معارك بين الشعب والضباط، وأخذ الأريوسيين فى رجم الضباط بالحجارة، وتوجيه الإهانات للامبراطور. ولما علم الامبراطور بهذه الجرائم، تظاهر أولاً بأنه ماضى إلى روما، ثم جاء بمكر إلى تسالونيكى برفقة كل جيشه، ودفع جنوده وسط الشعب حتى قضوا على الآريوسيين، وبلغ عدد القتلى نحو خمسة عشرة الفاً.

وقام البطريرك ميلاتيوس يؤنب الامبراطور على هذه المذبحة الكبرى لأنه كان متأثراً جداً بما حدث. فأبدى الامبراطور غضباً شديداً تجاه البطريرك! ولكنه ما لبث

أن ندم، لدرجة أنه عاقب نفسه بالصوم، وتوزيع الصدقات، وبالصلاة والتذلل، وسكب الدموع الغزيرة، لعله يحصل على المغفرة، وتمحى خطيته.

ثم ما لبث أن حدثت ثورات وقلاقل في مدينة انطاكية، لأن الامبراطور أمر بجمع ضرائب غير عادية في كل اقاليم مملكته، اذ كان متعجلاً في خوض حروب في تلك الأقاليم، فكانوا يقبضون على الشعب ويعذبونهم ....

فلما رأت جموع الشعب في أنطاكية أنهم يشنقون إخوتهم بلا رحمة، اشتعلت نار الغضب فيهم، وقاموا بثورة حيث طرحوا من أعلى السور التابوت البرنزي، الذي كان يحتوي على جسد البارة فلاسيل Flacile (وهو تمثال لزوجة الامبراطور ثيودوسيوس مصنوع من البرنز)، ثم سحلوه في الطريق.

وعندما علم الامبراطور بهذه الأحداث، غضب بشدة، وإستدعى قضاة المدينة وأمر بنفيهم إلى لادوكية.

أما عن ضباط أنطاكية الذين أساءوا إلى الامبراطور، هذه الاساءة الشنعاء فعاقبهم بأن أمر بإشعال النار في المدينة وكل من كان بها.

وكلف سيزار رئيس المدينة، وهلليبيك القائد، بهذا العمل. حينئذ تصدى لهم راهباً قديساً كان آتياً من الصحراء، وقال للضباط المكلفين بحرق المدينة: "إكتبوا إلى الامبراطور ثيؤدسيوس، وقولوا له على لساني، لاتنس أنك بشر مثلنا، ولو أنك امبراطوراً! ولو كنت رئيساً عظيماً، الا أنك تحت هذه الآلام عينها، فأنت خاضع لنفس الشقاء كأي مخلوق على صورة الله. وحينما تدين صورة الله هذه فأنت تخطيء إلى الله، الذي خلق الإنسان على صورته إعطاه نفساً عاقلة، فإن كنت قد غضبت من أجل تمثال من البرنز أخرس قد تحطم، فكم بالحري سيغضب الله عليك وعلى حكمك، لأنك لاتستطيع أن تخلق شعرة واحدة من رأس واحد من هؤلاء

الأشخاص الذين تريد إهلاكهم، فهو وحده ملك العالم، وهو الذى أعطاك هذا السلطان".

وكان فى ذلك الوقت كاهنا يدعى يوحنا، وكان يعلم ويعظ فى تلك المنطقة، قبلما ينتخب بطريركاً ويسمى "كريزوستوم" قام فى ذلك الوقت وهرب من المدينة لأنه خشى أن يقتل بواسطة الأريوسيين، ممتنعاً عن القاء تعاليمه النافعة.

ولما علم الامبراطور بكل ما حدث، ندم ورجع عن حمو غضبه، وأعاد قضاة المدينة الذين كان قد نفاهم من أنطاكية. كما أطلق الذين فى السجون، ووجه رسالة إلى شعبه قال فيها "حقاً لقد حزنت بسبب موت زوجتى "فلاسيل" التى كانت تحب الله، والتى أهلكوها وأهانونها، ولم تكن تستحق ذلك منهم، ولهذا فإنى أردت أن أعاقبهم!

لكنى الآن أريد أن أرضى الله محب البشر، لعله يرضى عنى، ويهبنى معونة من لدنه، وينصرنى على الكفار، والبربر، وكل أعدائى.

لذلك فإنى أسامحهم، ولتنجو مدينة أنطاكية من الحريق، وليعش شعبى فى سلام وبلا اضطراب".

وعاش الامبراطور ثيودوسيوس بعد ذلك فى روما، بعدما أباد كل المغتصبين، وقتل كثيراً من الهراطقة.

وما لبث أن أقام الخبازون الأبيار فى ذلك الوقت وعملوا الانفاق، وشيدوا الأبنية التى يعدون فيها العجين، لكنهم إقترفوا فيها الأعمال المشينة ضد البشر، خاصة الغرباء منهم، والعملاء، وكثيرين ممن يحضرون للأكل والشرب، أو لممارسة الأعمال المشينة والمخلة بالآداب.

وكان بائعى الخمور هم الذين يعرضون كل هؤلاء خفية على الخبازين، وهؤلاء الأخيرين يمسكونهم ويحتجزونهم بالقوة مثل أسرى لايستطيعون الهرب، واذا

استنجدوا وصرخوا، فلا أحد يسمعهم، لأنهم كانوا يأسرونهم فيستخدمون بعضهم فى ادارة الطواحين، والآخرون يتركونهم فى أماكن الدعارة، حتى شيخوختهم فلا يطلقونهم أبداً.

غير أن الله كشف أمرهم، لأنهم امسكوا أحد جنود الامبراطور، وأدخلوه بحيلة إلى هذا المكان الذى يوجد فيه الطواحين، فظل يعمل حتى تعب وتعذب لمدة طويلة بما فوق قدرته، لكنه جاهد ليهرب أخيراً، وأخرج سيفه، وقتل كثيرين ممن كانوا يحاولون إبقائه بالقوة، فخاف الباقون وتركوه يهرب. فمضى وأخبر الامبراطور بما كان.

فأمر الامبراطور بإحضار الخبازين ومعاقبتهم بقسوة، وأمر بهدم مخابئهم أما النساء العاهرات، فأمر بأن يمرروا بفضيحة فى كل روما، بصحبة أصوات الأجراس، حتى يعرف الجميع مقدار جرمهم.

ومرر أيضا بصحبتهم الخبازين الأشرار. وبهذا استطاع الامبراطور أن يمحوا هذه الجرائم تماماً.

وقد ختم ثيؤدسيوس حياته الفاضلة بسلام، تاركاً تذكاراً فاضلاً لخلفائه، هى سيرته المقدسة بلا شر منتقلاً بوقار من هذا العالم الزائل، إلى العالم الأبدى.

الفصل الرابع والثمانون

بعد موت الامبراطور ثيؤدسيوس، صديق الله، إنتقلت امبراطوريته إلى ابنيه: أركاديوس، وأنوريوس .. وكان قد أنجبهم من زوجته البارة (فلاستيل). وعينهم أباطرة فى حياته، فأعطى أركاديوس (القسطنطينية)، وأنوريوس حكم فى روما.

وقد وضع جسد الامبراطور ثيؤدوسيوس فى كنيسة الرسل القديسين بالقسطنطينية.

وكان أركاديوس، وأنوريوس ثابتين فى الإيمان المسيحى وكاملين. ومرض أنوريوس الصغير، ولما علم أخوه أركاديوس، سافر إلى روما ليزوره، وكان أنوريوس بتولاً، يمارس فى قصره الامبراطورى حياة الرهبنة والوحدة، ويحيا بطهارة وعفاف، وكان يجاهد ليقتنى الفضائل، فيذل نفسه بالاماتات والحياة النسكية الصارمة، إذ كان يلبس منطقة من جلد على حقويه تحت ردائه الحريرى الامبراطورى، وكان يصوم معظم أيامه، وينام على الأرض، ويواظب على الصلاة وترتيل المزامير، فكان يكره الملك الأرضى ويتوق إلى المملكة السمائية. فصار مثلاً يرضى الله إذ كان يمارس أنواع الفضائل الروحية، التى لم يكن والده نفسه قد مارسها، حافظاً نفسه من اى شيء يهين اسم الله.

كانت عند معاصريه عادة شريرة، وهى أن يقف رجلان فى الحلبة ينازلان بعضهما بعضاً، ومن كان يهزم الآخر، كان يقتله، دون أن يكون فى عرفهم مذنباً فى شيء.

وحدث أن راهباً جاء من الشرق إلى روما يدعى تيليماك، وهو قديس يشبه الملائكة فى حياته. هذا لما رأى مثل هذه المشاهد الدامية الوحشية، وجه نداءه إلى المتحاربين، وأمرهم باسم يسوع المسيح، أن يكفوا عن المعارك برفضهم هذا العمل الشيطانى، وهو قتل الإخوة. فما كان من المتحاربين أن وضعوا أسلحتهم جانبا، ثم انهالوا بالحجارة على القديس المتوحد رجل الله وسفكوا دمه وقتلوه.

وما أن علم الامبراطور القديس بهذه الحادثة، حتى أمر بإبطال هذه العادة تماماً من مدينة روما، ثم الغاها من سائر بلاد مملكته، فساد بعد ذلك سلام الله المملوء هدءاً.

هذا الامبراطور حطم ايضا معابد الأوثان الشريرة، وحولها إلى مبان مقدسة، خاصة بالشهداء والقديسين.

حدث أثناء إقامة الامبراطور أركاديوس فى روما، أن قام ضابط من الجيش يدعى "جانياس" من اصل بربرى، وثار ضد الامبراطور، ومعه عدد كبير من الجند، ورفعوا الأسلحة فى وجه الامبراطور، فأحدث شغب كثير، جعلت الإمبراطور أركاديوس يضطر إلى مغادرة روما فى الحال عائداً إلى بيزنطة.

لكنه إزداد غيرة لمذهب أبوه الأرثوذكسى، بعدما قتل جانياس الكافر المغتصب، الذى كان يتبع مذهب الأريوسيين البؤساء فحدث سلام بعد ذلك. ثم مرض الامبراطور أركاديوس صديق الله، فى زمن البابا يوحنا فم الذهب، فعين إبنه ثيؤدسيوس الصغير إمبراطوراً فى حياته.

بعدما إرتقى ثيؤدسيوس الصغير العرش، حدثت ثورة كبيرة فى روما، كان سببها أن كثير من شيوخ المجلس، كانوا يكرهون هذا الإمبراطور القديس، لأن حياته كانت فاضلة، وكان خائف الله ينفذ كل وصاياه.

فترك الإمبراطور ولايته، وذهب خلسة إلى مدينة راوادى أو (راوان). وأثناء ذلك رحل أحد قواد اقليم غاللما ويدعى (أتالاريك) على رأس فرقة كبيرة العدد راغباً أن يستولى على روما. وعندما صار فى مواجهة المدينة، قام بالتحالف مع أعداء الامبراطور، الذين قدموا له جزية المدينة، لكنه رفض أخذها.

ثم إقتحم القصر الإمبراطورى، وحمل كل الكنوز التى فيه، واختطف أيضا (بلاسيدى) أو (بلاديا) أخت الإمبراطور أونوريوس التى كانت عذراء، ثم عاد هذا الغازى إلى (غاللما). وكان هناك ضابط يدعى كونستانس (قسطنطيوس) الذى أعاد الفتاة المخطوفة إلى اخيها الامبراطور أنوريوس، وذلك دون علم ذلك الغازى. فسر به الامبراطور وكرمه، ثم عينه وزيره الأول، وبعد ذلك رفعه إلى مركز الامبراطور، حيث زوجه اخته العذراء.

بعد ذلك سافر الاثنان، أى الامبراطور اونوريوس، وقسطنطيوس من رافنا، واستوليا على مدينة روما. وأمر بقتل هؤلاء الأشخاص الأربعة المغتصبين وهم: قسطنطان، جوليان، ودوفان، ومكسيم. الذين تزعموا الثورة ضد ملكهم الامبراطور أونوريوس. ثم صادر ممتلكاتهم وكسر شوكتهم.

ثم سلم الامبراطور أونوريوس صديق الله أمور الامبراطورية إلى كونستانس زوج اخته، ومضى هو إلى القسطنطينية حيث شارك ابن اخيه ثيودسيوس الحكم. لكنه ما لبث أن عاد إلى روما بعد فترة وجيزة لأنه مرض مرضاً خطيراً، حيث تقلصت أطرافه، ومات تاركاً هذا العالم الفانى بتولاً، ومعدم الأبناء.

وأنجب كونستانس امبراطور روما إبنا، من أخت الامبراطور أونوريوس (بلاسيدى) وأعطاه اسم "فالانتينيان" وفى هذه الأثناء ظهر مغتصب آخر إسمه يوحنا، قام وإستولى على الولايات التابعة لهم بالقوة.

أما ثيؤدسيوس الصغير، فحكم فى القسطنطينية وحده، بعد موت عمه أونوريوس. وعندما عبر سن الطيش، إذ كان غير متزوج، عرض نفسه للأزمات بسبب إرتباطه لاخواته "أركاديا، مارينا، بلخاريا" اللآئى كن يحثنه بالضغط على أن يتزوج، وينجب أطفالاً!.

وكان يجيبهن بأنه يريد أن يتخذ زوجة، فتاة متميزة، وجميلة، ومحبة لله، وعاقلة، ومتعلمة.

ولما بحثن له فى كل الأنحاء عن هذه الصفات، لم يجدن. لا من بنات الدم الملكى، ولا من العائلات الشهيرة.

وأخيراً قابلن فتاة كانت قد حضرت إلى القسطنطينية، وكانت تفوق بجمالها كل نساء عصرها.

هذه الفتاة تدعى اثنائيس، وكانت قد أتت لترفع شكواها إلى الامبراطور بسبب الظلم الذى لحقها – إذ كان والدها المدعو هيراقليط له إبنان، الأول يدعى فاليريان (أو لانديانوس) والثانى يدعى دينسيوس، وإبنة هى التى ذكرناها.

وكان الأب قد أوصى عند موته أن يسلم الابنان أختهما هذه، مائة مثقال، كجزء من الميراث.

ولكن الإبنان إعتبرا أن هذا هو كل ميراثها، فغضبت الابنة ورفضت أن تقبل هذه النقود قائلة "الا استحق أن أتساوى بإخوتى فى الميراث؟

ولكن الأخوان رفضا أن يحققا لها مطلبها، وطرداها من منزل أبيها. حينئذ أخذتها خالتها وقادتها من إقليم هللاد إلى مدينة ... عند أحد أعمامها.

هناك التقت بأخت أحد الفلاسفة ... هذه المرأة كان موطنها بيزنطة، وكانت لها مكانتها العالية، فجعلت هذه الفتاة فى مواجهة أخوات الامبراطور!!

ولما سألن عنها، علمن أنها فتاة عذراء، فقربوها منهن فى القصر وحدثوا الامبراطور عنها.

وأن الامبراطور ثيودسيوس إقترب منها وشاهدها على علم منها فأعجب بها. ولما علم أنها وثنية من قبيلة الفلاسفة، أدخلها إلى الإيمان المسيحى فتعمدت، وسميت باسم أفذوكسية، ثم تزوجها بحسب الشريعة المسيحية.

وأقام الإمبراطور إحتفالات الزواج تكريماً لها، ونودى بها إمبراطورة.

وعندما علم أخوتها أنها اصبحت زوجة للإمبراطور ثيؤدوسيوس، وأنه نودى بها إمبراطورة، خافا وهربا مختبئين داخل البلاد. ووجهت لهما أختهما نداءاً تطلب منهما أن يحضرا إلى القسطنطينية، ولما حضرا أعطتهما مركزاً عالياً بالقرب من الإمبراطور. فعينت جينسيوس عمدة على الليريكون وفاليريان قائداً للجيش. لأنها

قالت لهما: لو لم تكونا قد تصرفتما بحماقة تجاهى، ما كنت جئت إلى العاصمة، وما كنت أصبحت إمبراطورة!.

فإني جئت بإرادة الله إلى ههنا، ولذلك إنى لن أفعل معكما بحسبما فعلتما بى!.

حينئذ خجلا منها وانحنيا تحت قدماها إلى الأرض وعظماها.

وأنجبت الإمبراطورة أفدوكسية بنتاً واسمتها أودوكسيس على اسم أم الإمبراطور ثيؤدوسيوس.

وفى أثناء حكم هذا الإمبراطور حصلت منازعات وانقسامات فى كنيسة القسطنطينية بسبب نفى البطريرك القديس يوحنا فم الذهب، الذى كان قد عزل فى عصر أركاديوس والد ثيؤدوسيوس. لأن الإمبراطورة أودوكسيس كانت قد غضبت عليه بخصوص حديقة الكروم التى كانت تملكها إحدى الأرامل.

وعلى أثر ذلك حدث زلزال شديد فى العاصمة، وأبدى الإمبراطور حزنه الشديد، وكذلك كل أعضاء مجلس الشيوخ، ورجال الكهنوت والشعب على نفى هذا البطريرك لدرجة أنهم كانوا يمشون حفاة الأقدام عدة أيام.

كما أن الأشوريون إستولوا فجأة وبدون توقع، على مدينة سلوكى فى سوريا، ومدينة طبرية.

وبعدما سلبوا كل المنطقة تماماً، رجعوا ثانية إلى أشور، بلدهم مارين بالجبل المسمى أمانص Amanus فكل سكان القسطنطينية إلى وقت كبير لايعلمون لأى شىء نفى القديس يوحنا فم الذهب، إلى وفاة أودوكسيس زوجة الإمبراطور.

وقد عاصر أتيكوس بطريرك القسطنطينية مثل هذه الحوادث. وبسبب حكمته وتصرفه الدقيق، نجح فى إقناع الإمبراطور ثيؤدوسيوس أن يكتب للقديس كيرلس بطريرك الاسكندرية وخليفة البطريرك ثاؤفيلس، حتى يوافق على أن يدرج اسم

يوحنا فم الذهب ضمن أسماء مجمع بطاركة القداس، الذين تنيحوا من قبل. فقبل البابا كيرلس هذا الاقتراح بفرح وسعة صدر، لأنه كان يحب يوحنا الذهبى الفم الأرثوذكسى المعتقد والتعليم حبيب المسيح.

وفضلاً عن ذلك، كان يبجله كعالم كبير، وصار لهذه المناسبة فرح كبير فى الكنيسة. وعلى أثرها وهب الإمبراطور ثيؤدوسيوس هبات وعطايا كثيرة للكنائس، كما أمر ببناء ما تهدم منها.

فقام شعب الاسكندرية بغيرة مقدسة وجمعوا كمية كبيرة من الأخشاب، وأحرقوا مقر الفلاسفة الوثنيين.

وكل هذه الحوادث لم تنس الامبراطور ما حدث فى روما، بل أرسل إليها ضابطاً يدعى (أسبار) على رأس جيش عظيم حتى يحارب المغتصب يوحنا السابق ذكره، فأنتصر على هذا الكافر، وخلص فالنتنيان ابن خالته.

(وهو نفسه ابن كونستانس وبلاسيدى)

وقربه إليه، وزوجه ابنته التى إنجبتها له الامبراطورة أفدوكسية، ثم أنجب منها فالنتينيان بنتين: أسمى واحدة أودوسيس والثانية بلاسيدى.

وإختار ثيؤدوسيوس رجلاً من الفلاسفة يدعى (سيروس) وعينه حاكماً للإقليم، وكان رجلاً عاقلاً وشهماً نزيهاً ومتمسكاً بالعدالة، جريئاً فى الحق، وكان يحب التعمير.

ولما كانت أسوار القسطنطينية متهدمة منذ أمد بعيد، رممها وأكملها فى وقت قصير، وكان محبوباً جداً من شعب القسطنطينية لآجل وداعته وعدم تكبره.

وكان الإمبراطور ثيؤدوسيوس يلاحظ مدى تكريم الشعب لسيروس الحاكم عندما كان يقدم له الشعب التحيات خلال إحدى المجاعات.

فلم يفتر بعض الحقودين عليه، أن يتهموه عند الامبراطور ثيؤدوسيوس بأنه ينوى أن يتزعم ثورة ضد الإمبراطور ليغتصب الملك منه.

فلقى هذا الإفتراء قبولاً لدى الامبراطور، ثم أمر بالقبض على هذا الرجل، ومصادرة أملاكه، ثم عذبه بمعاملات قاسية.

ولم تكن تلك الإتهامات السابقة هى السبب الوحيد الذى جعل الإمبراطور يغضب عليه وكان يريد قتله، بل لأنه سمعهم يصيحون قائلين: "إنه مثل الامبراطور القديم قسطنطين!!"

وما أن علم سيروس بما حدث، حتى فر هارباً واختبأ فى كنيسة .. فى إقليم آسيا، وهناك أقاموه رئيساً لمدينة أزمير التى كان سكانها قد قتلوا أسقفها. وبعدما إرتقى كرسى مطرانية أزمير رفع صلاة حارة طويلة إلى السماء، شاكراً له، أنه انقذه من موت كان لا يستحقه.

ولما كان مصاحباً لهذه الأحداث عيد ميلاد ربنا يسوع المسيح الذى كان قد حل، دعاه الكهنة إلى إرتقاء المنبر حسب تقاليد الأساقفة، حتى يكلمهم عن مجد وعظمة ملك العالم وعن ميلاده المجيد. لكن سيروس كلمهم أولاً عن خطورة الموت الذى نجى منه واسترسل فى خطابه طويلاً وأخيراً قال: "إعلموا أيها الإخوة أن اليوم هو تذكار ميلاد ربنا ومخلصنا يسوع المسيح وتجسده، ليتنا نعطه المجد اللآئق به، لأنه بإرادته وحده تجسد فى أحشاء القديسة العذراء مريم، وهو الكلمة الأزلى الخالق، له المجد مع الآب المساوى له، مع الروح القدس واهب الحياة، الثالوث الأقدس الأبدى".

وكان كل شعب المدينة يحبون سيروس ويكرمونه، لأنه كان بطل همام يقوم بكل وظائفه المقدسة، وأعماله الرعوية، وبكل غيره يقوم بوظيفته الكهنوتية حتى يوم مماته، محاطاً بالوقار والاحترام.

حدث بعد ذلك مع الأسف، أثناء حكم الامبراطور ثيؤدوسيوس، أنه بعد موت أساقفة القسطنطينية وهما أتيكوس، وسوسينيوس. أنهم إستدعوا نسطوريوس من أنطاكية إلى القسطنطينية لكي يعلم فيها. وكان يعمل كراهب وطبيب، وكان متعمقاً فى الكتب المقدسة، فأقاموه بطريركاً. لكنه أصبح فيما بعد داهية بالنسبة للإيمان المسيحى فى كل البلاد، وتحول يعلم تعاليم خاطئة كلها تجاديف عن الله، ورفض الاعتقاد بأن السيدة العذراء والدة الاله، فكان يسميها "أم المسيح" مدعياً أن المسيح ذو طبيعتان.

ونتج عن هذه البدعة إنقسامات خطيرة وقلاقل فى القسطنطينية، فطلبوا من الإمبراطور ثيؤدوسيوس أن يدعوا إلى إجتماع مجمع من أساقفة العالم.

وإجتمع مائتان من الأساقفة بأفسس، وحرموا نسطوريوس من السرائر المقدسة، ونفوه هو وأتباعه.

وكان يوحنا بطريرك أنطاكية متفقا معهم أولاً، ولكنه رجع مع كثيرين بعد ذلك إلى عقيدتنا المقدسة، وتناولوا الأسرار مع المائتين من الأساقفة، ومع أبينا القديس كيرلس بطريرك الاسكندرية وايدوا الإيمان المستقيم، ورفضوا نسطور لأنه كان يعلم تعاليم أبوليناريوس الخاطئة. ولم يتبق ممن يتبعون نسطور إلا عدد ضئيل، بينما أنتصر الإيمان الأرثوذكسى واصبح المؤمنون أكثر عدداً.

وفى ذلك الأثناء إنضم إليهم-فى النهاية أرخيلاوس كونت الشرق، واصبح واحداً من أتباعنا فى العقيدة الأرثوذكسية.

فلم يبق إلا عدد قليل بقوا على خطأ نسطوريوس. وبقيت الكنيسة فى سلام فى حكم ثيؤدوسيوس الامبراطور صديق الله.

شغل كرسى القسطنطينية بعد ذلك، فى عصر ثيؤدوسيوس البطاركة الحكماء: مكسيميانوس، وبروكلوس.

أما بروكلوس الحكيم، فكان فى طفولته قد درس بإجتهاد عظيم، وعندما أصبح يافعاً، حصل على امتياز البقاء فى مدينة الامبراطورية وذلك نادراً حدوثه، لخدام الله. وكان يلازم البطريرك أتيكوس، مواظباً على تعاليم الله وتدوينها. ثم عين دياكوناً، ولما وصل إلى السن المناسب رسموه قسيساً، وعينه البطريرك سوسينيوس خليفة لأتيكوس أى بطريركاً على كرسى سيزيك.

ولكن سكان هذه المدينة رفضوا هذه الهبة الغالية، الذى قدم لمعونتهم إذ كانوا غير مستحقين أن ينالوا هبات الله المختارة على يديه.

فبقى بروكلس فى وحدته وخلوته فى بيزنطة، فى الوقت الذى كان فيه نسطور البطريرك يكدر صفو الكنيسة، بإظهار كراهيته لسيدتنا القديسة مريم والدة الاله.

حينئذ وجه بروكلس خطاباً عن سيدتنا مريم العذراء والدة الإله، وألقاه فى كنيسة القسطنطينية أمام الشعب مجتمعين. وهاجم فيه بشدة نسطور، الذى كان تفكيره يقوده إلى الضياع.

بدأ بروكلس خطابه بقوله: "نحن نحتفل اليوم بعيد السيدة العذراء، ونعلن بلساننا هذه الكلمات... لنمجد مريم أم الله..." فلما سمع الشعب هذه الكلمات فاضوا بالمديح، مطوبين سيدتنا ومقدمين الثناء لها بغيرة عظيمة.

وكان لخطابه أيضاً تأثير كبير فى قلب الأمبراطور ثيؤدسيوس، وكل الشعب، فأرادوا أن يرفعوه إلى كرسى القسطنطينية البطريركى خاصة بعد ما نفى نسطوريوس.

أما باقى عظماء المدينة، فأعترضوا على ذلك بحماس، مدعين بأن هذا الرجل كان اسقفاً على مدينة صغيرة، فكيف يمكن أن يجعلوه راعياً لهذه المدينة العظيمة؟! .

فعينوا مكسيميان بطريركاً على القسطنطينية. وكان هذا كاهناً يخاف الله، لكنه كان يشابه بروكلس فى الحكمة والعلم. وقد شغل الكرسى البطريركى لمدة عامين وستة أشهر. ثم تنيح بسلام بعد حياة حافلة بالتقوى والعبادة.

وقبلما ينتهوا من مراسيم دفن مكسيميان، أمر الإمبراطور ثيؤدسيوس بتعيين بروكلس على كرسى القسطنطينية.

وقد حرر كلسوس بطريرك روما رسالة إلى بطريرك الاسكندرية والى اساقفة آخرين، بخصوص هذا الموضوع.

ورد عليه هؤلاء بهذه الكلمات: "إن قانون الكنيسة لايعترض على ذلك... أى أن يشغل بروكلس الكرسى البطريركى فى بيزنطة لأن هذه هى إرادة الله!!.

وبناء على ذلك، شغل بروكلس الكرسى البطريركى بأمانه ووقار، راعياً بحكمة مصلحة شعبه فى عاصمة الإمبراطورية.

وقام يحارب أنصار نسطور الهراطقة. ثم وجه رسالة إلى أرمانيوس الشهير يرفض فيها ثيودور الموبسيتى، ونسطور الهرطوقى، وحرمهم من الشركة المقدسة وأمر بأستبعادهم.

وهكذا نجا الشرق من هرطقة نسطور فى عصر مكسيمان الوقور، وعاشت الكنيسة أيضا فى سلام.

وأعاد البطريرك بروكلس، جسد القديس يوحنا فم الذهب إلى القسطنطينية، بعد ما مضى عليه نحو خمسة وأربعون سنة، منذ أن نفى هذا البطريرك إلى جزيرة تراس، ايام حكم ثيؤدوسيوس الإمبراطور السابق، صديق المسيح.

وأمر بروكلس بوضعه فى كنيسة الرسل القديسين، حيث يرقد أجساد باقى آبائنا البطاركة القديسين الذين كملوا مشوار حياتهم فى التقوى والإيمان الأرثوذكسى بمدينة القسطنطينية وأمر بضم أجساد الأساقفة الآخرين، الذين كانوا

قد نفوا دون وجه حق، ولم يمكنهم أن يحضروهم فى عصر اتيكوس الورع، وحدث أنه بعدما تم نقل هذه الأجساد إلى هناك، أن انصار القديس يوحنا فم الذهب، الذين كانوا قد إنشقوا عن الكنيسة، عادوا ثانية إلى حضنها. فإنتفى الانقسام عن الكنيسة والأفراد المنشقين، انضموا إليها ثانية، فجمعهم بروكلس حوله، وفى تلك الأثناء قال موعظة جديرة فيها كرم القديس يوحنا فم الذهب، وطلب من الله أن يغفر لأقرباء الامبراطور ثيؤدوسيوس الصغير خطيتهم التى إقترفوها تجاه هذا القديس.

حدث أيضا أثناء حكم هذا الامبراطور، أن البربر الذين هربوا بعد فشل يوحنا المغتصب، تجمعوا ثانية وأغاروا على أراضى روما.

ولما أحيط الإمبراطور، صديق الله علماً، رفع قلبه وفكره نحو ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح له المجد، بالصوم والصلاة ثم بالرحمة والإحسان إلى الفقراء بكرم وسخاء، وظل يؤدى أعمالاً مجيدة لله ببر، ممارساً كثير من الخدمات الأخرى، ثم أخبر بروكلس بذلك...

وأمر بروكلس الكهنة والرهبان، أن يصلوا إلى الله من أجل الإمبراطور، حتى يحقق له النصر على إعدائه، وحتى يكلل جهوده بالنصر فلا تضيع باطلاً، فإستجاب الله لتوسلاتهم ومات القائد البربرى المدعو روميلوس.

والذى حدث حقيقة هو أن الله ضربه بصاعقة، إذ سقطت نار من السماء، أهلكت عدد كبير من البربر مع قائدهم ومات كثيرون بهذه الميتة الشنيعة، وعلم كل شعب الأرض بهذا الحادث، وتيقنوا من قدره اله المسيحيين، وتقوى وإيمان ثيؤدسيوس الامبراطور .

ظهرت فى تلك الآونة إمرأة وثنية وفيلسوفة بالاسكندرية، تدعى هيباسى، وكان كل عملها الأنشغال بالموسيقى، وأعمال السحر والتنجيم. وكانت تغرى كثيرين بحيل إبليس، لدرجة أن مدير هذا الإقليم كان يجلها، وقد إستمالته هى بفنها

السحرى، فجعلته يكف عن الذهاب إلى الكنيسة التى كان معتاداً الذهاب إليها، ربما كان يمضى اليها بالكاد أو عن طريق الصدفة.

وليس تصرفه هكذا لأجل نفسه فقط، بل كان يدفع الكثيرين فى هذا التيار، ويستقبل المنجذبين بلطافة.

ويوماً كان حاكم الإقليم (أورست)، حسب تقاليد اليهود المقيمين فى الاسكندرية، كان حاضراً وكان كل سكان المدينة مجتمعون فى المسرح، وأراد البابا كيرلس وهو خليفة البابا ثاؤفيلس، أن يعلم لماذا إجتمعوا وعلى أى شىء؟! فأرسل أحد المسيحيين المدعو هيراكس، وهو رجل كفء، ومثقف، وكان مخلصاً للبطريرك الجليل، ويحترم تعليمه وكلامه، وكان أيضا متعمقاً فى الديانة المسيحية ساخراً من الوثنيين.

هذا لما رآه اليهود فى المسرح صاحوا قائلين: لم يحضر هذا الرجل إلى هنا بنية خالصة، بل ليثير الاضطرابات!

مما جعل أورست حاكم الإقليم، وكان يكره أبناء الكنيسة المقدسة، يأمر بالقبض على هيراكس، ثم أمر بضربه أمام جمهور المسرح، على الرغم أنه لم يقترف ذنباً!

ولما علم البابا كيرلس بذلك، غضب جداً على هذا الحاكم، وليس فقط بسبب هذا الحادث وحده، بل لأنه كان قد قتل راهباً جليلاً من دير بيرنودى يدعى أمونيوس، مع رهبان آخرين. وعندما أحيط الحاكم العسكرى بهذا الحادث، أمر اليهود قائلا: "كفوا عن خصومتكم ضد الكنيسة".

لكن اليهود لم يعيروا هذا الأمر التفاتاً، إذ كانوا متكلين على مساندة حاكم الإقليم الآخر. لهذا حدثت جرائم كثيرة، وأثار هؤلاء مذبحة بأن نصبوا فخاً، لأنهم أخذوا رجالاً كثيرين منهم، وضعوهم فى شوارع المدينة أثناء الليل، وجعلوا البعض منهم يصيحون: كنيسة القديس أثناسيوس الرسولى تحترق! النجدة أيها المسيحيون!

ولم ينتبه المسيحون لهذه الخدعة، وخرجوا مسرعين على أصوات الصيحات، ففى الحال إنقض عليهم اليهود وقتلوهم، وكثر عدد الضحايا.

ولما علم المسيحيون الباقون بهذه الجريمة الشنعاء، التى ارتكبها اليهود ذهبوا وأخبروا الأب البطريرك، ثم اندفع كل المؤمنون متوجهين بعنف وهم غاضبون، إلى معابد اليهود، واستولوا عليها، وحولوها إلى كنائس. ووضعوا فى إحداها رفات القديس جاورجيوس.

وأما اليهود القتلة، فطردوهم من المدينة، وسلبوا ممتلكاتهم وأرغموا الباقين على الرحيل بلا شيء على الإطلاق، ولم يستطع الحاكم أورست أن يحميهم.

ولما هدأت الثورة بدأ جموع المؤمنين تحت قيادة الحاكم بولس الذى كان خادماً لربنا يسوع المسيح، فى البحث عن تلك الإمرأة الوثنية، التى أغرت سكان المدينة، وحاكمها بخداعاتها السحرية، فاكتشفوا الموضع الذى كانت تقيم فيه.

حيث وجدوها جالسة على عرش عملته لنفسها، فأنزلوها من فوقه، وجروها نحو الكنيسة الكبرى المسماه، سيزاريون، وكان ذلك أثناء فترة الصوم المقدس. فخلعوا عنها ملابس العظمة، وجروها فى شوارع المدينة ليراها كل أحد، حتى ماتت ثم مضوا بها إلى مكان يسمى سينارون حيث أحرقوا جسدها.

وإلتف كل جمهور الشعب ثانية حول الأب البطريرك كيرلس، حيث أسموه ثيؤفيلس الجديد، لأنه أنقذ المدينة من البقية الأخيرة من الوثنيين.

الفصل الخامس والثمانون

حدثت حادثة بعد ذلك بقليل، ذلك أن اليهود فى سوريا، فى مكان يدعى سيمتريا، واقعة بين كلسدون وأنطاكية، كانوا منشغلين حسب عادتهم باللهو والسكر والعربدة، وكانوا يقيمون المسرحيات، فأخذوا شخصاً من بينهم واسموه

(المسيح)، وقدموا له العبادة، كنوع من السخرية، ثم أهانوا الصليب ومن يؤمنون بالمصلوب.

وبعد ما أقترفوا بجراءة مثل هذه الشرور، أخذوا طفلاً، وقيدوه على صليب، وبدأو يلهون به، ثم أظهروا قوتهم عليه، لأنهم جبناء، حيث قتلوا الطفل، الذى مات ببسالة.

عندما علم المسيحيون بتلك الجرائم التى اقترفها اليهود، إندفعوا فى ثورة غضب، ونتج عن ذلك سقوط كثيرين موتى من الجانبين. ولما وصل تقرير عن هذه الحوادث للأمبراطور ثيؤدسيوس، حتى أمر قضاة المدينة بمعاقبة المذنبين، ونتيجة لذلك أتخذت أجراءات مشددة ضد اليهود، الذين كانوا يقيمون فى الشرق. فعوقب كل الذين أهانوا المسيح، والمسيحيين بأشد العقوبات.

ونجد فى ذلك الوقت أن كثير من يهودى كريت دخلوا الإيمان وصاروا مسيحين على أثر كارثة كبيرة كانت قد أصابتهم.

الفصل السادس والثمانون

إدعى أحد اليهود وإسمه فيسكيس أنه موسى رئيس الأنبياء، وان الله أرسله من السماء، فجاء ليقود اليهود الساكنين فى تلك المدينة ويعبر بهم وسط البحار ليأتى ويسكنهم أرض الموعد. وكان يغرى اليهود هكذا قائلاً: "أنا هو الذى خلص آبائكم من يد فرعون، عندما كانوا عبيداً للمصريين".

وقضى نحو سنة كاملة يطوف فى كريت، فى كل المدن والقرى، يخبرهم بهذا الحدث، ويغريهم بترك صناعاتهم، واحتقار ممتلكاتهم، وكانت النتيجة أن بددوا ثرواتهم.

وعندما وافى اليوم الذى حدده لهم ليصحبهم، أمرهم أن يتبعوه مع زوجاتهم وأولادهم إلى شاطىء البحر، ثم أمرهم بأن يلقوا أنفسهم فى البحر مدعياً عبوره!

فكثيرون غرقوا، وآخرون إبتلعتهم الأمواج إلى أعماق البحر.

ولكن الله محب البشر، لم يسمح بأن يهلك جميعهم بهذه الطريقة المريعة والمضللة. فحرك كثير من المسيحيين كانوا موجودين فى ذلك الوقت ينظرونهم، فأسرعوا لينقذوا عدداً كبيراً من أمواج البحر. ومنعوا الذين لم يلقوا بأنفسهم بعد فى البحر.

ولما رأى اليهود الباقون أن نبيهم المضل قد غرق فى البحر، فهموا أنه كان أفاقاً، فتخلوا لوقتهم عن عقيدته الخاطئة، وإنضم كثير منهم إلى الإيمان بربنا يسوع المسيح، ونالوا صبغة المعمودية المقدسة، وحصلوا على السلام. وتم هذا الحدث فى حكم الامبراطور ثيؤدسيوس الصغير صديق الله. وفى رعاية البابا البطريرك أتيكوس بطريرك المدينة العظمى القسطنطينية.

الفصل السابع والثمانون

عندما كان الامبراطور ثيؤدسيوس يتعلم الكتب المقدسة الموحاه من الله، فى طفولته. كان له صديق فى دراسته يدعى بولان، وهو ابن وزير، وكبر الطفلان معاً. وكان الإمبراطور يحب بولان وقد قلده المكانة الثالثة بعد الإمبراطور، وهى رتبة المراسم. فكان يشارك الإمبراطور والإمبراطورة على المائدة مرات كثيرة، لأن المودة كانت عظيمة بينهم.

وحدث أن مرض بولان، فأخبروا الإمبراطور بمرضه، وكان يرغب أن يأكل تفاحاً، ولم يكن موسم هذه الفاكهة، والتى كانت تسر الإمبراطور أيضا وضباطه.

ونرى الإمبراطور وهب مائة قطعة ذهبية لأى شخص يحضرها، ثم ارسلها إلى زوجته، ولما كانت هى تحمل مودة كبيرة لبولان، فأرسلت التفاحة إليه، خاصة وأنه كان متألماً جداً.

وكان بولان يجهل أن هذه الثمرة كانت قد قدمت للإمبراطورة عن طريق الإمبراطور، فلما حضر الإمبراطور ليزوره، وجد عنده التفاحة! فلما عاد إلى القصر طلب مقابلة الإمبراطورة وسألها: أين التفاحة التى أرسلتها إليك؟

فلم تشأ الامبراطورة أن تصرح له بأنها أرسلتها إلى صديقها خشية غضب الإمبراطور، فأخبرته بأنها قد أكلتها! لأنها لم تعتقد إنه سيطلب عنها تقريراً. فسألها الإمبراطور أيضا ألم ترسليها لشخص ما؟ فأنكرت ثانية. حينئذ أمر الإمبراطور بإحضار التفاحة من عند بولان، ولما رأتها الإمبراطورة أودوسيس شعرت بارتباك وخجل.

وبعدها عاش الزوجان مدة طويلة فى شقاق وأحزان، وأخيراً عرضت الإمبراطورة على زوجها صدق ما حدث مؤيدة كلامها بقسم عظيم. واستطاعت أن تقنعه بأنها لم تخبره بالحقيقة أولاً لأنها خشيت غضبه. وكان بولان نفسه قلقاً جداً من جهة ما حدث، وقال فى نفسه: من الأفضل للمريض أن يظل فى مرضه. ولكنه بعدما شفى فكر فى تدابير سيئة.

وبعد وقت قليل علم الإمبراطور، أن بولان كان يدبر مشاريع إجرامية، لأنه كان يتطلع إلى العرش، فكان يعد انقلاباً. فأمر بقطع رأسه، وهكذا ناله ما كان يريد أن يعمله مع الأمبراطور، صديق الله.

حدث أن أساء أحد المتوحدين فى الصحراء، إلى القديس باسيليوس، لأن الهراطقة كانوا يقومون ضده. وقيل أن بولان قتل بسبب الإمبراطورة أودوسيس، ولكن ربما لأن المؤرخون إستقوا الأحداث عن الهراطقة، الذين لايتوخون الحقيقة،

لذلك حدث لبث، ولكن الإمبراطورة كانت إمرأة عاقلة ونقية السيرة، ولا تشوبها شائبة فى تصرفاتها.

حدث أن ارسل الامبراطور ثيؤدسيوس خطاباً إلى صحراء سيتى فى مصر، لكى يستشير الآباء القديسون، لأنه لم يكن له أبناء ذكور، يخلفونه على العرش. فأجابوه: عندما تترك هذا العالم، فإن عقيدة آباؤك ستتغير، ولأن الله يحبك فلم يرزقك أولاداً ذكور، حتى لايشتركوا فى الشرور.

فلما سمع الإمبراطور وزوجته هذا الكلام، أصيبا بحزن شديد، وكفوا عن كل علاقة زوجية، فعاشا بعد ذلك فى عفة ووفاق تام.

وبعدما زوجا إبنتهما الكبرى (أودوكسيس)، إلى فالانتينيان إمبراطور الغرب، وكانوا قد انتهوا من احتفالات الزواج، بالقسطنطينية سافرا الزوجان إلى روما.

طلبت الإمبراطورة أودوسيس من الإمبراطور ثيؤدوسيوس السماح لها بزيارة الأماكن المقدسة، فى أورشليم لتوفى نذورها هناك. لأنها كانت قد نذرت قائلة: "عندما أنتهى من زواج ابنتى، سأزور الأماكن المقدسة وأتمم نذرى نحو الله، فى فناء بيت الله، وفى وسط كل شعبه فى أورشليم، وسأتضرع إلى الله أن يحفظ حكومتك لفترة طويلة فى سلام".

فوافق الإمبراطور على طلبها، وكتب إلى حكام الأقاليم آمراً إياهم أن يستقبلوا الإمبراطورة بطريقة تليق بها. ثم كلف البابا كيرلس بطريرك الأسكندرية، أن يرافقها إلى أورشليم، لتنال بركته، ولكى يرشدها إلى كيفية تتميم أعمالها الحسنة.

وقد تحقق لها كل ما طلبته من الله، وبعدما وصلت إلى أورشليم قامت بتجديد الكنائس، والأبنية، وأمرت ببناء دير على اسم العذراء، ومأوى لزوار الأماكن المقدسة، وخصصت لهم أموالاً كثيرة وأمرت بإقامة أسوار أورشليم التى كانت قد

تهدمت منذ زمن بعيد، وكانت كل ما تشرع فيه تنفذه بحماس وبعد ذلك اعتزلت العالم، وعاشت في وحدة.

وأما الإمبراطور فكان منشغلاً بالصوم والصلاة، مرتلاً بالمزامير والترانيم الروحية، فعاش حياة تقية.

أما أخواته اللائى لم يتزوجن، وكن يكبرنه سناً، وهما أركاديا التقيه، ومارينا، فكانتا قد ماتتا وذهبتا إلى الرب يسوع المسيح، اللائى أحببناه، قبلما تغادر الإمبراطورة القصر.

وأثناء إقامة الأمبراطورة فى أورشليم، تنيح الآب القديس كيرلس بطريرك الأسكندرية، وكذلك تنيح يوحنا بطريرك أنطاكية. حينئذ بدأ الهراطقة النسطوريين، وهم الأساقفة الاثنى عشر، فى الظهور، بعدما اختفوا زماناً أمام البطريرك، القديس كيرلس. وهؤلاء أنكروا الثالوث الأقدس، وقسموا المسيح إلى طبيعيتين. فى تلك الأثناء عقد أساقفة القسطنطينية، الهراطقة جلسة سرية مع الأقاليم الأخرى، وأشاعوا أن انفصال الأمبراطور عن الأمبراطورة، لم يكن بسبب الهى مقدس لكنهما افترقا بعداوة بسبب بولان.

لهذا غضب الإمبراطور جداً من البطريرك، فلافيانوس وأنصاره وقال لهم: "النار التى كانت قد أشتعلت بواسطة النسطوريين، ثم إنطفأت أنتم اعدتم اشتعالها".

وبالفعل حدثت اضطرابات كثيرة داخل الكنيسة، وفى الواقع كانت يوليخاريا أخت الأمبراطور، ثيؤدوسيوس تحمى البطريرك فلافيان سراً، ولو أنها لم تستطع حمايته علانية، إذ كانت تخشى بطش الإمبراطور ثيؤدوسيوس، الذى كان يكره الذين يزعمون أن المسيح ذو طبيعتين، ويقبل الإيمان أن المسيح ذو طبيعة واحدة من طبيعتين. لكن هؤلاء الذين نشروا الهرطقات كانوا يعملون عبثاً.

ومرة طلبت بوليخاريا، أخت الأمبراطور بحرارة، أن يمنحها حديقة كبيرة، فأجاب الأمبراطور رغبتها. ولكنها لفقت عقداً مزوراً كتبت فيه (أن الأمبراطور وهب لها قصراً وحقولاً وحدائق) وقدمت هذه الوثيقة للأمبراطور ليوقع عليها. فأمر الأمبراطور ببساطة قلب، أن تقرأ الوثيقة أمام مجلس الشيوخ المجتمعين، وحينئذ نهضت بوليخاريا فى الوسط بلا حياء ولامت الأمبراطور، الذى ينفذ وثائق حكومته، هكذا بلا تدقيق، عندئذ تناول الأمبراطور الوثيقة ليقرأها قبلما يوقع عليها فوجد مكتوب فيها هذه الكلمات (ما يختص بالأمبراطورة أودوسيس أنها أصبحت عبدة لى) فإغتاظ الإمبراطور جداً لأن بوليخاريا أظهرت وقاحة وقلة حياء وأمر بنقلها فى مبنى بعيد، وترك حرية للآب البطريرك أن يفرض عليها قانوناً، وبعد ذلك يكرسها شماسة، بعد هذا الحدث مباشرة نشأت عداوة كبيرة بينها وبين الأمبراطورة أودوسيس وانفصل الأمبراطور، عن أخته بوليخاريا.

وبعد فترة من الزمن، أمر الأمبراطور باستدعاء مجمعاً آخر فى مدينة أفسس، وطلب حضور الآب ديسقورس، الذى عين بطريركاً للأسكندرية، بعد كيرلس، وكذلك فلافيان بطريرك القسطنطينية، ويوساب أسقف ديورلى، ودمونيس بطريرك أنطاكية، وإيباس، ويوحنا، وثيودوريت... مطارنة المشرق...

بعد ذلك مرض الإمبراطور المبارك ثيؤدوسيوس، وتنيح تاركاً هذا العالم، ليذهب إلى جوار ربه، بينما كانت الأمبراطورة أودوسيس، تعيش فى خلوتها فى الأماكن المقدسة فى أورشليم. أما بوليخارية فتقدمت بجراءة، ودون أن تأخذ رأى الأمبراطور فالنتينيان، أمبراطور روما، ولا أخذت برأى القضاة، أو مجلس الشيوخ. فأصدرت مرسوماً أمبراطورياً. وتزوجت مارسيان قائد الجيش، فوضعت على رأسه التاج الأمبراطورى وجعلته إمبراطوراً، وضحت بعذراويتها، وأصبحت زوجة له، ثم وضعت التاج على رأسها، وكان الأمبراطور الجديد، يحصن حولها ليمنع أى شخص من أن يتفاوض معها، أو يسلبها تاجها.

وحدث يوم إرتقاء مارسيان العرش، أن أظلمت الأرض كلها، منذ الساعة الأولى من النهار، واستمرت حتى المساء. كمثل الظلمة التى سقطت على أرض مصر، فى عهد موسى رئيس الأنبياء، وأصاب سكان القسطنطينية فزع عظيم، وكانوا مذهولين يبكون ويولولون، بصراخ وأنين غير مألوف، فكان يبدو لهم أن نهاية العالم قد قربت، وكان كل الشعب من كبيرهم إلى صغيرهم، وكل القضاة، ومجلس الشيوخ والجيش، فى حالة هياج فى المدينة، وكانوا يصيحون قائلين. لم نرى مثل هذا الحدث، منذ قبل، ولا سمعنا عنه أبداً، منذ العصور السابقة فى الأمبراطورية الرومانية. وفى اليوم التالى أشفق الله عليهم لمحبته للبشر، فأشرقت الشمس مرة أخرى، وظهر نور النهار.

واستدعى الأمبراطور ماركيان فى مدينة خلقدونية مجمعاً، مكوناً من ستمائة وستة وثلاثون أسقفاً، وهؤلاء عزلوا ديسقوروس بطريرك الاسكندرية، وقرروا أن فلافيان الذى نفى قديماً ومات فى منفاه، فى عهد ثيؤدوسيوس الأمبراطور، ينبغى أن يذكر فى سجلات الكنيسة كأمبراطور أرثوذوكسى.

وهبت اضطرابات عنيفة فى القسطنطينية، وباقى البلاد، كما مرض مركيان مرضاً خطيراً، وظل فى مرضه مدة خمسة أشهر، ثم تقلصت قدماه ومات. وكانت مدة حكمه ست سنوات، وكانت بوليخاريا قد ماتت قبله. وأخيراً رقدت الأمبراطورة أودوسيس فى مدينة أورشليم، المقدسة محاطة بالتقدير، والأعمال الطيبة والسيرة العطرة. بعدما رفضت أن يكون لها أية علاقة بيوجاليوس أسقف أورشليم، وبرجاله الذين اجتمعوا فى خلقيدونية، لأنها علمت أنهم أفسدوا الإيمان الحق، الذى لآبائنا القديسين، والأباطرة الأرثوذوكسين.

ولكنها كانت تطلب بركة الكهنة والرهبان الذين كانوا على صلة بثيؤدوسيوس، بطريرك الاسكندرية.

وبعدما تممت كل هذه الأمور تنيحت، فوضعوا جسدها بكرامة عظيمة، وبأطياب، فى المقبرة التى كانت قد أعدتها أثناء حياتها، وهكذا إنتقلت إلى الله العظيم الممجد.

الفصل الثامن والثمانون

بعد موت ماركيان إعتلى العرش الإمبراطور لاون (التراكى)، وابان حكمه تنجست مدينة أنطاكية، وتغطت بالخراب على أثر زلزال، وسقطت عليها من السماء أمطار من البرق بدل المياه. وإرتفع اللهب فوق الأسطح، والسكان من كثرة الانذهال، صرخوا إلى الله بالصلوات والتوسلات، لأن هذا البرق كان كنار متوهجة، لكن الله المحب للبشر أطفأها وحولها بروق أمطار.

وحدث هذا مرة أخرى بمدينة القسطنطينية، حيث سقطت نار من السماء بطريقة لم تحدث من قبل. وكانت ممتدة من ناحية البحر إلى الأخرى فخشى الإمبراطور أن يصاب، فترك القصر وأقام بكنيسة على اسم القديس مامى Mammes لمدة ستة أشهر، مكرساً كل وقته للصلوات والتضرعات، ومنع الإمبراطور لاون كما حدث فى عهد ماركيان، كل المسرحيات والموسيقى فى يوم الأحد لتقديسه، كما طرد الأريوسيين من كل أقاليم إمبراطوريته، ومنع كل أتباعهم من أن يدخلوا الكنائس.

أثناء حكم هذا الإمبراطور، اتهموا أحد الفلاسفة، ويدعى إيزوكاس وكان رجلاً حكيماً جداً، وقاضياً أميناً. ولأنه كان وثنياً، فكان يتحيز لسكان سيسيليا، فى حين أنه كان يعمل بوظيفة مترجم فى أنطاكية، وسلمه الإمبراطور ليدى يوسيوس الحاكم ليطرده، ولكنهم انتزعوه من بين أيدى الحاكم، واقتادوه عارياً موثوق اليدين خلف ظهره، إلى خارج باب يدعى زوركسيب حيث كانت الجموع مجتمعة.

ولما إعتلى الحاكم المنصة، ووجه له هذا الكلام: هل ترى هـذا الجمع، والمشهد المحزن الذى تقدمك؟ فأجابه: نعم إنى أراه، ولا يدهشنى هذا، لأنى إنسان، وقد وقعت تحت تعذيب الجسد، كما كنت أنا أحكم على الآخرين، فإنى الآن أحاكم شخصياً!!.

ولدى سماع إجابته المملوءة إعتزازاً، فإن الناس أيضا المشاهدين لهذه المحاكمة، قاموا وأنتزعوه من يدى الحاكم واصطحبوه إلى إحدى الكنائس، وبدون استخدام أى عنف آمن بيسوع المسيح قائلاً: آبائى كانوا وثنيين، وها أنا أصبح مسيحياً! فعلموه الديانة المسيحية وعمدوه فأصبح مسيحياً.

ثم وهبوه الحرية، فاستعاد وظائفه، وعاد إلى بلده مغموراً بمحبة الإمبراطور، ولما علم الإمبراطور لاون بالاضطرابات التى حدثت بالاسكندرية فى عهد ماركيان، وما حدث من قتل، بسبب مجمع خلقدونية، وعلم بأن الشعب أقروا العقيدة الحقة فى الطبيعة الواحدة ليسوع المسيح، وأنهم قتلوا بروتوريوس أسقف الخلقيدونيين، الذى كان قد وقف ضده. (هذا الأسقف كان أولاً ارشيذياكون ثم بعدما وقع على الوثيقة الامبراطورية عينه الخلقيدونيين بطريركاً، ولكن الشعب الأرثوذكسى ثاروا ضده وقتلوه، ثم أحرقوا جثته).

وعندما علم الإمبراطور لاون بكل ما حدث عين تيموثاوس، تلميذ البطريرك ديسقورس بطريركاً على الاسكندرية.

وعاش تيموثاوس قبلاً بتقوى كراهب فى دير القلمون، وسيم قسيساً، ثم رسم بطريركاً بعد موت ديوسقورس، الذى كان قد عزل بطريقة غير شرعية من الإمبراطور ماركيان ومجمعه.

ورفض تيموثاوس أن ينضم إلى مجمع خلقيدونية، الذى كان يثير العالم أجمع.

وجه الإمبراطور لاوون بعد ذلك خطاباً إلى كل الأساقفة، يستحلفهم فيه بأن يعرفوه بالضبط عن رأيهم بخصوص ما حدث بمجمع خلقيدونيه. لكن الآباء الأساقفة كانوا يخشون الإمبراطور، فاختفوا من أمامه ولم ينطقوا بشيء بخصوص المجمع.

أثنان فقط من الأساقفة قالوا رأيهم: أحدهما يدعى (أوسطانى، وأرمطس) وهو رجل مملوء بالمعرفة ومحنك ومتعمق فى الكتب المقدسة، هذا أعلن للإمبراطور أنه بسبب الخوف من ماركيان، فإن أساقفة خلقيدونية كانوا متعطشين للعقيدة، لدرجة أن العالم كله كان مضطرباً، وكذا الكنيسة كلها.

والثانى: هو أسقف أنفيلوك (يبدو أنه انفيلوك مطران سادوم)، أجاب بنفس هذه الطريقة.

أما الأساقفة الآخرون اتباعه، فإنهم امتنعوا عن الكلام بصراحة إلى الإمبراطور، متحدثين عن طغيان الإمبراطور ماركيان، فصرحوا إن ما فعلوه فى خلقيدونية كان بسبب خوفهم من سلطة الإمبراطور.

وقد ظهر فى ذلك الوقت أوتيكوس النسطورى، الذى كان يبحث عن الهلاك، وكان رجلاً يجهل الكتب المقدسة ولم يجتهد فى تعلمها.

وعند وصول البطريرك تيموثاوس إلى الاسكندرية اختطف وأقتيد إلى مكان يسمى شيزونابر حيث اسكنوه هناك. وحدث اضطراب وسخط بالاسكندرية، لأن حاكم المدينة، الذى كان قد استخدم العنف تجاه الآب البطريرك تيموثاوس، دود ومات وصار مصابه واضحاً، حتى أن كل الشعب قالوا فيما بينهم: أن هذا الذى أصابه كان عقاباً من الله القدير الممجد، بسبب هذه المعاملة الرديئة التى أوقعها على خادم الله البطريرك ولكى يعلم العالم كله، أن الله يسهر على مختاريه، وأنه ينصف المضطهدين.

حكم باسيليسكوس (بازيليك)

حكم بعد الإمبراطور لاوون وخلفاؤه الأباطرة باسيليسكوس، ونادى بإبنه "مارك" أغسطساً وإتخذه زميلاً مدة ما.

وطلبت منه أخته فيرينا، أن يعين رئيس القضاة أغسطساً، ورئيساً لأعمال الإمبراطور، فحصلت على مكانة لباتريس.

(جاء عن تاريخ كانديدس Candidus المحفوظ بمكتبة فوتيوس أن فيرينيا تآمرت ضد حكومة زينون وأرادت أن تضع عشيقها باتريس على العرش. ويبدو حسب هذا النص أنها طلبت من بازيليك، لقب أغسطس لباتريس، ولكن المترجم ربما فهم لقب أغسطس على أنه اسم علم، ثم خلط بين اسم باتريس، وعظمة ماباتريس أى المواطنين الرومانيين المنتسبين للطبقة العاليا).

وأرسل الإمبراطور فى إرجاع البطريرك تيموثاوس القديس من المنفى، الذى نفاه إليه لاوون الأول، ثم قربه من شخصه، وعندما وصل البابا إلى القسطنطينية قابله بالتكريم، وحسن المعاملة اللآئقة، لوقاره الكهنوتى، واستقبله مجلس الشيوخ، وكل الشعب استقبالاً كبيراً، وارسل خطاباً إلى كل الأقاليم، وكل الأساقفة يأمرهم بطرد كل من يقول بعقيدة الخلقيدونيين، وأن يحرموهم من الشركة المقدسة.

وقدم القديس البطريرك تيموثاوس مع رفاقه الورعين للإمبراطور بازليك هذه النبوة: "فى اليوم الذى تنكر فيه ممارسة العقيدة الموجودة فى هذا المكتوب، لن تدوم حكومتك بل ستنتهى حكومتك بسرعة".

فأجابهم: لن أنكر أبداً الأخذ بهذه العقيدة، بل على العكس، سأجمع مجمعاً بأورشليم، لكى أثبت هذه العقيدة الأرثوذكسية تماماً.

عندما سمع البطريرك القديس تيموثاوس هذه الكلمات، توجه لوقته إلى للإسكندرية حاملاً معه وثيقة العقيدة الأرثوذكسية المختومة باسم الإمبراطور.

ولكن الإمبراطور باسيليسكوس، ما لبث أن أغرته الهدايا، فنقض كلامه، والقى ما كان قد أقره سابقاً، ولم يستدع كما قال مجمعاً فى أورشليم، كما وعد البطريرك تيموثاوس. ولكننا رأيناه على العكس كتب وثيق أخرى، فيها أمر بأن يتركوا عقيدة الخلقيدونيين كما هى.

مما جعل نبوءة الآب القديس تيموثاوس والرهبان رفاقه تتم فعلاً. حيث حدث بالقسطنطينية وباء مميت، لدرجة أن قل عدد الناس القادرين على دفن الجثث التى كانت تنتن!.

ثم تحطمت مدينة جابالا بسوريا بزلزال.

قام زينون أخيراً بحرب، واثار إقليم سوريا وجمع جيشاً عظيماً وتوجه إلى القسطنطينية، وعندما وصل إلى مدينة أنطاكية، قبض على البطريرك بطرس، الذى طلب منه أن يعرفه بخطط الإمبراطور باسيليسكوس تجاهه.

ولما علم الإمبراطور باسيليسكوس، بهجوم زينون أرسل القائدين، أرماتيوس، وسيرباتوس لمحاربته، مع عدد كبير من الجنود الذين كانوا فى قصره فى بيزنطة. وقبلما يمضى هؤلاء الضباط استحلفهم بالمعمودية المقدسة، ألا يخونوه والا يتصرفوا رديئاً من نحوه.

لكنهم ما لبثوا أن إمتنعوا عن محاربة الامبراطور زينون قائلين فى سرية. "نحن سننسحب إلى مكان ما، وأما أنت فلتسد بنفسك تماماً على مدينتك" وأكثر من هذا، أنهم وجهوا لباسيليسكوس نصيحة خادعة بقولهم. أتخذ طريقاً مختلفاً، وحارب زينون عند باب القسطنطينية.

وفى لحظة إقتراب زينون من الأسوار، تقدم إليه كل الشيوخ، وكان مسروراً جداً لإستقبالهم له هكذا.

وطلبت حماة زينون، المدعوة فيرينيا، القاء أخيها باسيليسكوس فى صهريج، لينجو مما أحاطه من خطر. وكذا زوجته رينونير وأولادها لجأوا إلى جرن المعمودية فى إحدى الكنائس.

فجاء كل الشيوخ، وقدموا الاحترام والتكريم للإمبراطور زينون ونادوا به إمبراطوراً عليهم.

وهو بدوره أرسل إلى الكنيسة، التى احتمى فيها باسيليسكوس، وجرده من كل علامات الإمبراطورية التى كان يحملها. ثم أغراه بوعد مضلل هو وأولاده، ثم طرد هؤلاء البؤساء من القصر، وأمر بنقلهم إلى إقليم كبادوكيا، فى قصر هناك يسمى لمنيس، وعندما أحضروهم أمام حاكم الأقليم، حبسهم فى قلعة تبعاً لأوامر الإمبراطور، وتركهم فيها بدون طعام وشراب يموتون بلا رحمة، حيث دفنوهم فيما بعد فى نفس المكان.

أما البطريرك بطرس، فنقلوه مكبلاً بالسلاسل إلى مدينة Euchates du pont لأنه ساند الإمبراطور باسيليسكوس، وكان له دلالاً عليه وهو الذى توجه. ولذلك فإن باسيليسكوس أيضاً هو الذى عينه بطريركاً.

وأقاموا بعد ذلك بطريركاً لأنطاكية هو (آتيين) الذى كان يقاوم العقيدة النسطورية، ولذلك كان كل سكان المدينة يكرهونه، وقتل بواسطة الشعب والاكليروس فى مكان يسمى ... (كنيسة القديس برلام) فى يوم تذكار الأربعون شهيداً، وبعدما قتلوه ألقوا بجثته فى نهر Orante أورينتو.

وعين الإمبراطور زينون مكانه بطريركاً آخر يدعى كالنديون. (كالانديون) وكان يميزه بطريقه خاصة.

وعندما عاد الإمبراطور إلى مدينته وزع صدقات كثيرة للفقراء.

وعين أرماس، فى هذا المكان لمساعدته، وكذا أقام ابنه قيصر، لأنه كان قد وعدهم بذلك.

واصبح أرماس هذا رئيساً للحكومة، وقد إتخذ طرقاً إستبدادية، وصار قوياً جداً، بحيث لا يجروء أحد أن يعارضه، وخطط أساليباً إجرامية.

ولما علم الإمبراطور بهذه الأعمال الإجرامية، أمر بقتله فى دهليز القصر. ولما عزم أن يحارب الفرس خاف من بازيليك القيصر ابن أرماس (الذى كان لايزال شاباً) فقام بخلع تاج السلطة عنه، ووزع أملاكه للشعب وأمر بحراسته فى سيزيك، ولما رأى ثيودوريك أحد حراس الامبراطور هذه التصرفات الصعبة، خشى أن يلحقه هو أيضا على يد الإمبراطور زينون نفس مصير أرماس. فرأس جيش الغوط الذين من إقليم ميسيا. وكان (دودوريكوس) قد تربى فى العاصمة، وعلى دراية بالعلوم المخالفة للدين.

فتقدم إلى مدينة سيلمبرى وأخضع كل الشعب له، ثم إستولى أيضا على إقليم تراك، وذهب بعد ذلك من مدينة سيكين على رأس قوة عظيمة، ولكنه ظل مدة طويلة، دون أن يتمكن من مقاومة مدينة بيزنطة، أو يواجه ا الإمبراطور زينون، ثم هاجم مدينة روما وطلب أن يحضروا له رئيس البربر، الذى كان يحمل لقب "ريكس"، والذى كان يسمى (أودواكر)، ثم استولى على مدينة روما بالقوة، وقتل كل البربر، وأقام بها نحو سبعة وأربعون سنة يلقب بالملك، ولم يشرك أى ملك آخر معه، كما لم يتخذ أى إجراء، بدون رأى الإمبراطور زينون، فجعل الشعب يحترمون سيادة الإمبراطور، وكان مكرماً من المجلس وكل القضاة.

كانت هناك سيدة من النبلاء تدعى جوفيناليا، هذه جاءت لمقابلة دودريكوس الملك، وقالت له أن لها نحو ثلاث سنوات تعانى من الظلم، لأن لها قضية مع النبيل فيرماس ولم ينصفها أحد. فاستدعى دودريكوس القضاة، وقال لهم: ها أنا أحذركم

إذا لم تنتهوا من قضية هذه المرأة مع خصومها، وتقيموا العدل والانصاف بين الطرفين، بحسب القانون، وإلا سآمر بقطع رؤوسكم.

وبعدما انصرف القضاة، مكثوا نحو يومين يحاولون إنهاء قضية هذه المرأة بحسب العدالة، وبعدها اشعلت المرأة شمعة وجاءت لمقابلة الملك، لتقدم له الشكر. وقالت له: إن قضيتى التى ظلت معلقة طويلاً، قد انتهت بفضل أوامر جلالتكم.

وإستدعى الملك القضاة وقال لهم: أيها الرجال الفاسدون، كيف إنتهيتم الآن من هذه القضية خلال يومين، فى حين لم تتمكنوا من إنهائها منذ ثلاث سنوات؟ ثم أمر بقطع رؤوسهم فانتشر الفزع فى كل المدينة، وهكذا استطاع دودريكوس بهذه الطريقة، أن يخلص مواطنى روما من المظالم.

بعد موت دودريكوس، تسلم الحكم أتلاريك، وكان من أتباع الأريوسيين. لذلك أرسل الإمبراطور زينون ضابطاً يدعى كريستور إلى الأسكندرية، حتى يحضر له البطريرك تيموثاوس رجل الله، وعندما وصل أمام البطريرك، وقال له: إن الإمبراطور يطلبك بالقرب منه. أجاب الآب البطريرك بقوله: "إن الإمبراطور لن يرانى" وما لبث بعد ذلك أن مرض البطريرك وتنيح كما قال.

حينئذ قام الشعب الأرثوذوكسى بإنتخاب البطريرك الجديد فإنتخبوا الأرشيدياكون بطرس، الذى سمى منقوس ولكن قضاة المدينة أرادوا أن يقبضوا عليه، فهرب من أيدى الجنود، وأختبأ فى منزل أحد المؤمنين، فحدث بسببه إضطراب فى المدينة.

وإنتخبوا أنصار بروتوريوس الخلقيدونى، من جهتهم بطريركاً، يدعى Ayes غايس، الذى مات بعد فترة قصيرة.

ثم اختار الخلقيدونيين أيضاً بطريركاً أسمه (يوحنا) وهو أحد رهبان دير تابنسينة بالاسكندرية وقد استولى على كرسى غايس بخديعة الحكام عن طريق الهدايا

والهبات، وأعلن كذباً أنه حصل على تعهد رسمى، بأنه ليس من المهم أخذ موافقة الإمبراطور زينون لتعيينه، من رؤساء الكنيسة.

ولما علم زينون بهذا غضب جداً، وأمر بنفيه، وعندما علم يوحنا بأن الإمبراطور أمر بطرده، هرب ومضى إلى روما - فى ذلك الوقت كان أكاكيوس بطريرك القسطنطينية مكرماً عند زينون، فأقنع الإمبراطور بإصدار أمراً، بكتابة الإينوتيكون، أى قانون الإيمان الخاص بالثلاثة مجامع (نيقية، والقسطنطينية، وأفسس) وأن يلغى المجامع الأخرى. لذلك فإنه أمر بعودة البطريرك بطرس، الذى هرب سابقاً لأنطاكية.

ونجد بعد ذلك أن كالنديون بطريرك أنطاكية، هرب أيضاً خوفاً من أن يقتل، لأنه كان خلقيدونياً، ولأن الشعب هناك كانوا قد قاموا على البطريرك آتيين سالفه وقتلوه.

وكان الكهنة والشعب يصلون، من أجل الإمبراطور زينون. وقد قبل البطريرك بطرس قانون الإيمان، الذى أمر بكتابته الامبراطور. لكن حدثت قلاقل واضطرابات فى المدينة بسبب قانون الإيمان هذا، لأن كثيرين كانوا يكرهون مجمع خلقيدونية، وما أصدره من قوانين، والذى يعلن أن المسيح له طبيعتان، وهذا ما يقره اساقفته، بينما كتاب زينون أعلن أن المسيح كلمة الله، وقد صار جسداً، وهو طبيعة واحدة من طبيعتين ووجب ذكر ذلك فى دفتكيو الأساقفة الذين أبعدوا.

ثم قام الإمبراطور زينون، بتكريم أرماس والد قيصر، وكان قد قطع عهداً مع أيولس مع أن أيولس كان قد حارب الإمبراطور زينون. وعندما رأى أيولس أن أرماس الذى كان يحب الإمبراطور زينون قتل، خشى أن يلحقه نفس المصير، فأختفى فى سورية، وكان قد طلب من الإمبراطورة فيرينيا، حماة زينون، أن تميل عقل الإمبراطور من جهة أرماس، ولكنها فشلت فى ذلك. وقد أخفى الإمبراطور زينون على أخيه لونجان الخطط السيئة التى إتخذها ضد هذه المرأة، حتى لا تحدث

مغاضبة بينهما، أو تحصل إضطرابات فى بيزنطة، لحظة تنفذها. إذ كانت هـذه المرأة إمبراطورة. وإتفق الإمبراطور مع أيولس، أنـه سيبعدها، حيث يرسلها إلى سوريا، وهناك يقتلونها. وعندما مضت فيرينيا إلى هناك، جاء أيولـس وإعتصـم فى القصر، وجعل عدداً كبيراً من الجنود لحراسته، ثم اصطحب معـه لونجان أخو الامبراطور. وعندما علمت فيرينيا بهذه الملابسات أرسلت خطابـاً إلى ابنتها زوجة الإمبراطور، فطلبت إبنتها من الإمبراطور أن يسمح لفرينيا، أن تسكن فـى قصرسوريا، فأجابها الإمبراطور (لا أستطيع أن أغضب أيولس شريكى، ولكن وجهى طلبك له بنفسك، وإذا وافق هو فسأسمح أنا بذلك). فأرسلت الإمبراطورة رسالة إلى أيولس، تتوسل له بالدموع، أن يسامح أمها، وأن يسمح لها بالبقـاء فى ذلك المكان، ولكـن أيولس رفض أن يوافق على طلبها وقال لها: (لا أشك أنك تريدين أن أعين إمبراطوراً آخر، ليحل محل زوجك!) فغضبت الإمبراطورة بشدة، وذهبت لمقابلة زوجها الإمـبراطور، وقالت له هل من الممكن أن أبقى فى هـذا القصـر، فـى نفس الوقت مع أيولس؟ فأجابها الإمبراطور إفعلى ما شئت، لأنى بـالطبع أحبك أكثر مـن أيولـس، وغيره، فتشجعت الإمبراطورة بكلامـه، وأمرت أدريـانوس رئيس حـرس الحرملك، بقتل أيولس. فكلف أدريانوس رجلاً يدعى سكولاريوس، قائد الجيش بذلك.

وكان له مع رجاله طريقاً مباشراً إلى مسكن الإمبراطور، فمضـى لوقته وأخرج سيفه، ليضرب به أيولس ويقطـع رأسـه، فى دهليز القصـر. وعندمـا شاهده أحد الضباط، أسرع وأمسك منه السيف بعدما كـان قد قطع أذن أيولـس، فلم يلحق برأسه.

وحمل أيولـس إلى قصره بواسطة رجالـه، ولما علم الإمـبراطور زينـون، بهـذا الحادث، أعلن فى خطابه أنه كان يجهل هذا الاعتـداء، علـى أيولـس، وبعدمـا شفى أيولس طلب من الإمبراطور زينون أن يسمح لـه بالذهاب إلى الشرق، حتـى يتم

شفاؤه، فلا يعود إليه المرض، وطلب منه هذا بنوع من الخضوع ليخفى مقاصده الشريرة، ودون أن يعلم الإمبراطور بخداعه، فأعطاه تصريحاً بذلك.

وعين مكانه رجلاً آخر، سلمه السلطة، وكان أيولس يرغب فى أن يصحبه لاوون، وبامبيربيوس متعللاً بأنهما سيتفاوضان فى الصلح، بين فيرينيا والدة الإمبراطورة، وبين الإمبراطور زينون، ليرجعوها إليه بكرامة. فقبل الإمبراطور هذه التسوية، ووافق على سفر الأشخاص الثلاثة، بصحبة شخصين آخرين، هما مارسيوس، وفاليانوس، وهما قاضيان فى سوريا، وقد رافقتهم بعض الحكام والفرق.

وعندما وصلوا إلى أنطاكيه، بقى فيها أيولس مدة عام حيث غمره الشعب بالتكريم، ثم مضى إلى سوريا أيضا، وأنزلوا فيرينيا من القصر، وكتبوا اتفاقات وعهود متبادلة، مع بامبيربيوس، الذى كان مولعاً بالسحر.

وهذا أقنع الضباط فى جعل لاوون إمبراطورَ، وبالفعل نودى به، وقد أقره القديس بطرس فى خطابه الذى قاله خارج أسوار طرسوس، عاصمة سيسليا.

ثم وجهت فيرينيا رسالة، إلى كل المدن والحكام وإلى جيوش الشرق، ومصر، تحثهم على الإعتراف بحكومة لاوون، دون اعتراض، وهذا مضمون الرسالة: "أعرفكم بخصوص إمبراطوريتنا، أنه بعد موت ليون ذو الذكرى العطرة أننا عيننا، تراسكالازى، الذى هو زينون إمبراطوراً، وليكون المنفذ والمخلص لسلطتنا، وليحكم الشعب بعدل، ولكننا قد رأينا أنه ترك الأمانة وانحاز إلى الجشع، فإعتبرناه طاغية، ولا يصلح، ويعتبر مغتصباً، ولذلك فقد عيننا إمبراطوراً آخر مسيحيا، ومحباً لله، متميزاً بالرحمة والعدل، حتى ينقذ هذا البلد بسلوكه الطيب، ويضع نهاية للحروب، ولكى يحمى أتباعه، بحسب القانون الوضعى للإمبراطورية الرومانية، ولنا ثقة أنه سيجتهد لعمل الخير".

وعندما قرأت هذه الرسالة فى مدينة انطاكية، صاح الشعب كله قائلين: أيها السيد أظهر رحمتك علينا، واصنع ما هو خير لنا.

وبعثت هذه الرسالة أيضا إلى الاسكندرية ثم جاء لاوون بعد ذلك إلى أنطاكية، واقام فى القصر، وعين ليليانوس حاكماً وقاضياً للإقليم، ومكث بها خمسة عشر يوماً، وذهب إلى كليسيس مدينة فى سوريا، لكى ينتقم من هذه المدينة، التى كانت ترفض الاعتراف به، وكانوا يسمونه (ثائراً على الامبراطور). وظل يحارب نحو شهر ونصف ضد هذه المدينة، دون أن ينجح فى الإستيلاء عليها. فلما علم الإمبراطور زينون بكل ما حدث، أرسل ضابطاً محنكاً، يدعى يوحنا، وهو رجل حرب، شجاعاً، على رأس عدة فرق، لكى يقاوم هؤلاء المنشقين ، وما أن علم أيولس الذى كان آنذاك فى سيسليا، أن لاوون لم يكن مستعداً لمقاومة القائد يوحنا، مضى إلى جواره، وقررا هو وفيرينيا الهرب ليختبئا، فى أحد قصور سوريا، المسمى بابيرس، فغادر لاوون بسرعة هارباً إلى إقليم الشرق وإنضم إليه أيولس وبمبيربيوس وفيرينيا، واعتزلوا فى هذا القصر.

لكن فرق الإمبراطور زينون جاءت وحاصرتهم، وماتت فيرينيا بين هذه الأسوار، ولما علم رجال القصر أن بمبيربيوس كان ينوى أن يرتد عليهم، قاموا عليه وقتلوه وألقوا بجثته من أعالى الأسوار.

وبعد جهاد كثير، إستولت الفرق على القصر، وطردوا جميع المقاومين منه، وقبضوا على لاوون وأيولس الذين كانا سبباً فى هذه المفاسد ووضعوهما على منصة القضاء، وسط الجموع، ثم حكموا عليهما بالموت، فقطعوا رأسيهما وحملوهما إلى الإمبراطور زينون بالقسطنطينية.

يحكى عن الإمبراطور زينون أنه كان يتحدث يوماً مع موريانوس، الفلكى الذى كانت تربطهما مودة، وكان يتنبأ له بكل ما كان يحدث، فسأله عمن يرتقى عرش الإمبراطورية من بعده؟

فأجابه موريانوس، بأن سبلنسبير هو الذى سيأخذ امبراطوريتك، وكذلك زوجتك. وكان معه رجلاً يدعى بيلاج، الذى كان فيما مضى أحد النبلاء ولكنهم عزلوه ظلماً وكان يظن أنه هو الوريث.

ولما سمع الإمبراطور هذا الكلام، إستودع سبلنسبير ستة رجال مخلصين لحراسته، وأمرهم بخنق هذا الرجل البرىء أثناء الليل، وبعدما خنقوه ألقوا بجثته فى البحر.

وعرفت هذه الفعلة، وهذا القتل البشع، ولم يصمت أحد خاصة أركاديوس القاضى، وهو مخلص للعدالة، وكان يكره العنف، بل أنه وبخ الإمبراطور بسبب جريمته، التى إرتكبها بوحشية، بقتل سبلنسبير النبيل، فغضب الإمبراطور على أركاديوس وأعطى أمراً بالقبض عليه، وقتله حينما يهم بالدخول إلى القصر.

ولما قام الحراس بتنفيذ أمر الإمبراطور، هرب أركاديوس من بين أيديهم.

وبينما كان الإمبراطور زينون، ذاهبا إلى الكنيسة ليصلى ملتمساً العفو من الله، مرض بالدوسنتاريا الحادة ومات فى الحال.

الفصل التاسع والثمانون

عندما مات الإمبراطور الورع زينون، خلفه على العرش أنستاسيوس المسيحى، الذى كان يعيش بمخافة الله، وكان أحد أمناء الإمبراطور، وبفضل الله وبتأثير صلوات آبائنا المصريين، أصبح أمبراطوراً.

وفى الواقع كان الإمبراطور زينون قد نفاه إلى جزيرة القديس إيراى الواقعة فى نهر منوف، وكان أهالى منوف يعاملونه بالحسنى.

وكان حاكم مدينة حزينة بإقليم الاسكندرية، وسكان هذه المدينة، ايضا مرتبطين معه بمودة كبيرة، وكانوا يجلونه ويعترفون له بحب كبير.

وذات يوم كان أنستاسيوس، مغضوب عليه من الإمبراطور زينون، فإتفق سكان منوف، وسكان حزينة على أن يصعدوا نذوراً له، على مرتفع فوق دير القديس ثيوفورس وكان يقيم على أرض هاتين المدينتين، رجل ميزه الله بمعرفة كل الأشياء، هو الآب جيريمى، وبينما يتحدثون عن الحياة المقدسة التى لرجل الله، أرادوا التبرك منه، ورغبوا أن يصلى من أجلهم إلى السيد المسيح.

فذهبوا إلى الآب جيريمى، رجل الله فباركهم جميعاً، ولكنه لم يقل كلمة واحدة إلى أنستاسيوس. وقد أصيب أنستاسيوس بحزن عميق بعد ما رحل الجميع، لدرجة أنه كان يبكى وينتحب بمرارة، قائلاً فى نفسه "أنه بسبب خطاياى الكثيرة منع عنى الرجل بركته، عندما بارك الكل".

فعاد سكان منوف، ومدينة حزينة وأمونيوس، ورجعوا إلى رجل الله، وأخبروه بحزن أنستاسيوس الشديد، فناداه الآب جيريمى وحده على انفراد، مع أصحابه المؤمنين، ومع أمونيوس وقال له:

لاتحزن بسبب إعتقادك وقولك، أنه بسبب خطاياك لم يباركنى هذا الشيخ! فالأمر ليس هكذا، بل على العكس، فإنى امتنعت عن مباركتك، لأنى رأيت يد الله موضوعة عليك، فكيف أجرؤ أن أبارك الشخص المبارك والمكرم من الله؟!

إن الله إختارك من بين الآلاف لتكون مكرماً، لأنه من الواضح أن يد الرب الاله، تمتد على رأس الملوك وقد وضع الله ثقته فيك، لتصبح مساعده على الأرض حتى تحمى شعبه، وعندما تتذكر كلامى هذا وتتحقق النبوة، ليتك تنفذ بأمانة الرسالة، التى أعطيك إياها اليوم، لكى ينقذك الله من أعدائك.

وها هى: "لاترتكب أى خطيـة، ولا تشـرع شيئاً ضـد الديانـة المسيحية، ديانـة يسوع المسيح، ولا تقبل العقيدة الخلقيدونية مطلقاً، التى تهين اللـه".

هذه النصائح أعطاها الآب جيريمى، إلى أنستاسـيوس وقـد تلقاهـا ونقشـها علـى قلبه، كما فعل موسى النبى عندما تلقى من اللـه لوحـى العهد، الـذى كـان محفوراً عليه وصايا الناموس.

وبعد فترة من الزمـن إستدعى انستاسـيوس مـن منفـاه، الـذى حكـم بـه عليـه إمبراطور هذه الأرض بمقتضى سلطته، ثم عين أمبراطوراً.

عندما جلس على العرش، أرسل رسالة إلى تلاميذ الآب جيريمى، وإستدعاهم إلى جواره، ومن بينهم الآب فاريانوس، الذى كان قريباً للآب جيريمى، وقد طلب منهم الإمبراطور بإلحاح، أن يتقبلوا بعض المؤن للطريق وللدير لكنهم رفضوا، لأن أبـاهم القديس جيريمى، كان قد حرم عليهم أن يقبلوا أى شـىء كـان، إلا البخـور وبعـض الأشياء المقدسة ليقيموا بها القداس ويقدموا الذبيحة.

وارسل أنستاسيوس أناساً، إلى الجزيرة التى كان منفياً فيهـا، وأمـر ببنـاء كنيسـة كبيرة ورائعـة، علـى اسـم القديـس جيريمى*، ولـم تكـن هـم فيمـا مضـى إلا كنيسـة صغيرة، ثم أرسل إليها كثيراً من الأوانى الذهبية، والفضية والأقمشة الثمينة.

وارسل أيضاً كثيراً من الذهب والفضة، إلى أصدقائـه فـى منوف، وفـى حزينـة، وقلد كثيرين منهم فى سلك القضاء وشجع بعضهم للدخول فى الكهنوت.

أرسل أناستاسيوس صديق اللـه، أوامـر إلى أنطاكيـة والى كـل المـدن الأخـرى، ليبطل الحرب الأهلية، التى كانت موجودة بين الشعب، وجعلهم يحترمون السـلطة، كما يليق بالمسيحيين، وكتـب إلى كـل قضـاة إمبراطوريتـه، لينفـذوا هـذه الأوامـر،

ويسهروا على تعليم الشعب، باحترام السلطان كما يليق بالمسيحيين. حدث بعد ذلك اضطرابات فى محل إقامة الامبراطور نفسه، وذلك بتأثير عدو الخير أبليس، وطلب الشعب وهتفوا بألا يوضع أحداً من الثائرين، أو المعارضين فى السجن. وذلك لأن الحاكم كان قد سلم عدداً كبيراً منهم لكى يقتلوهم رمياً بالحجارة.

ولكن الإمبراطور لم يستجب لهم، ورفض أن يطلق سراحهم، وغضب جداً، وأمر الفرسان بشحنهم.

وعندما نزل هؤلاء الفرسان لشحن الثائرين، تجرأ أحد الأسرى واقترب من كرسى الإمبراطور والقى عليه حجراً، ظناً أنه يقتله، ثم عاد إلى مكانه ظناً منه أن أحداً لم يعرفه، ولكن عناية الله حفظت الإمبراطور فوقع الحجر، على حافة الكرسى فكسرتها، وقد لمحوا هذا العبد الذى ألقى الحجر، فاندفع الحرس من نحوه وأمسكوه وقطعوه إرباً.

وإزدادت الثورة وأصبحت خطيرة، حيث أحرق الثائرون السور البرونزى، حيث كانت إقامة الجنود الفرسان وكل الجمع، حتى مقر الإمبراطور L'Hexaippeon (الاكراوديون) الذى كان موجوداً بجانب الكرسى، والذى شيده القديس قسطنطين.

وبعد جهد كبير، استطاعوا السيطرة على الثائرين بالقوة، وعوقب عدد كبير منهم، فعاد الهدوء والسكينة فى كل المدينة.

وقام شعب أنطاكية، نظير شعب القسطنطينية، بإشعال النار فى وجه اليهود المقيمين فى دافنى، وثبتوا فيها الصليب المقدس، الذى لربنا يسوع المسيح.

فحولوا المعبد إلى كنيسة مقدسة باسم القديس لاونس (ليون) وقتلوا عدداً كبيراً من اليهود.

وعندما علم الإمبراطور بهذه الأحداث، أرسل بروسوب * (إبروكودموس) كونت الشرق، لكي يوقف هذه الإضطرابات الفظيعة.

وعندما علموا بوصوله إلى أنطاكية، هرب مثيرى الفتنة، من المدينة واختفوا فى هيكل القديس يوحنا.

وذهب إلى هناك منياس الحاكم، أثناء الليل على رأس فرقة كبيرة، ووجد هناك مقاومة كبيرة، حيث قتل أحدهم ويدعى إيلوتير، وحملت رأسه إلى بروسوب (ابروكودموس) الحاكم. ثم هزموا الثوار، وأحرقوا مكان إجتماعهم، ثم حدثت هناك معركة مخيفة، قتل فيها الشعب الحاكم منياس، واحرقوا جثته، وهرب بروسوب بسرعة إلى القسطنطينية.

وعندما علم الإمبراطور بهروبه، إستبدله برجل يدعى إيرينيه وأمره بالتوجه إلى أنطاكية.

ولما وصل هذا الأخير إلى هناك، قام بمعاقبة عدداً كبيراً من الثوار، وقام بعملية تخويف شديدة، لدرجة أن الثوار كفوا عن المعارك بالتدريج، وعاد السلام بين سكان أنطاكية.

وجدد الإمبراطور المنشآت التى أحرقت، وشيد عدداً كبيراً من الممرات، لأنه كان محباً للتشييد، كما أقر بتشييد عدداً كبيراً من المنشآت، فى مصر وبنى قلعة على شاطىء البحر الأحمر، وكان مجتهداً فيما يعود بالفائدة، حتى يعيش فى سلام.

وأمر بتشييد سوراً لشعب داراس (دوردا)، وثقبوا فى هذا السور فتحات تشبه الكبارى، حتى تمنع مياه النهر أن تنتشر فى حقولهم.

---

* بروسوب كان مواطناً أنطاكياً فى ... وقع خطأ من ...

وحدث أثناء حكم الإمبراطور، صديق الله، أن البربر آكله لحوم البشر، وسافكي الدماء، جاءوا من ناحية الجزيرة العربية، عبر شواطيء البحر الأحمر، وإنقضوا على الرهبان في منطقة الفرات، وذبحوا البعض، وأخذوا الآخرين أسرى، واغتصبوا من البعض ما يمتلكونه، لأنهم كانوا يكرهون القديسين، وكانت لهم نفس مشاعر الوثنيين وعابدى الأصنام، وبعدما حصلوا على الغنائم الكثيرة عادوا إلى بلادهم.

ولما علم الإمبراطور بهذه الأحداث أمر بتشييد القلاع القوية، ليحمى مساكن الرهبان، الذين أغدقهم بالعطايا وكذا كل رهبان الإمبراطورية الرومانية.

وثار بعض الناس بوقاحة، في مدينة الاسكندرية، حيث قتلوا حاكم المدينة، المدعوا ثيؤدوسيوس، وكان قد تربى في منزل بطريرك أنطاكية.

وعندما علم الإمبراطور بهذا الحدث غضب جداً، وعاقب عدداً كبيراً من شعب المدينة. ولا تستطيع أن تعدد ما قام به هذا الإمبراطور من أعمال جليلة، لأنه كان مؤمناً أرثوذكسياً، وكان مخلصاً لربنا ومخلصنا يسوع المسيح، وقد أبطل العقيدة الخلقيدونية، كما أوصاه بهذا القديس جيريمى خادم الله.

وكان الناس في إيلليريا، قد رفضوا أن يتسلموا الرسالة التي أرسلها لاوون من روما.

لكن إستعداد ماركيان وحكامه، كان يخثهم عليهم، فكانوا يخشون أن يقاسوا نفس مصير ديسقورس، بطريرك الاسكندرية...*

---

* لانعرف بقية النص وهل يكون هو موضوع أساقفة ايلليريه وعودتهم إلى الشركة مع الكنيسة الرومانية آنذاك!!

على ذلك كان الامبراطور انستاسيوس، خادم الله يصادق على رسوم الإمبراطور زينون. بإقرار قانون الإيمان للثلاث مجامع، التى عقدت فى نيقية، والقسطنطينية وأفسس الأول.

ولكن أوفيميوس بطريرك القسطنطينية فى ذلك العصر، كان خلقيدونياً، وكان يفصل طبيعتى المسيح التى إتحدتا إلى طبيعتين منفصلتين، فى ظاهرها وخواصها قائلاً: إن الله الكلمة هو الذى يعمل المعجزات، وأن الطبيعة البشرية البائسة كانت تقاسى الآلام.

وغير أيضا الثلاثة تقديسات التى نقولها: "قدوس الله، قدوس القوى، قدوس الحى الذى لايموت، الذى صلب عنا إرحمنا!". لم يكن أوفيميوس يتلوها مثلنا، بل كان يقولها هكذا: "قدوس الله، قدوس القوى قدوس الحى الذى لايموت إرحمنا".

وكان يقول: أنا لا اتلوها مثلكم لاتجنب أن تطبق هذه الصلاة على الثالوث المقدس، فى ثلاثة أشخاص" .

أى أن الذى صلب نحن نعبده مع الله، والروح القدس! لأن الذى تجسد بدون، أن ينفصل عن الثالوث فهو ثابت مع الآب والابن والروح القدس، الذى هو مساوياً للآب والروح القدس. وقد تألم وليس فى طبيعته الإلهية وليس واحداً آخراً، حاشى الله!.

أنه أحد الأقانيم، للثالوث الأقدس بجسده المتحد فيه، والذى له روح نطقية عاقلة، متحدة فى شخص واحد ثابت، ولكنها غير متغيرة فى ألوهيتها متحداً مع الآب والروح القدس، كما علمنا ذلك الآباء القديسين.

وأتفق بروكلوس مع النسطوريين بقوله: "إذا كان المسيح واحداً بعد تجسده، حسب قول غير النساطرة فإنه لم يتألم بالجسد، كما أنه لم يتألم الابن الاله.

وبقوله هذا فتعليمه خاطىء، بأن ابن الله لم يتألم بالحقيقة

وهذا هو الموضوع، الغير معقول، لهؤلاء الذين أعلنوا أن هناك أربعة أشخاص بدلاً من ثلاثة.

فهؤلاء المضللين علموا عن الابن، أنه شخص آخر هو الذى صلب، وهذا رأى فاسد ناتج عن الهراطقة.

ولذلك فإن الإمبراطور انستاسيوس خلع أفيمنيوس من كهنوته وطرده من القسطنطينية، ونفاه إلى بلاد Euchaites du pant .

وعين مكانه ماكدونيوس، الذى قبل منه مرسوم الإمبراطور زينون، بأن لايقبل مجمع خلقيدونية.

ولكنه أخفى فى قلبه أفكاره الخادعة، فى موضوع العقيدة ونجح فى تخدير عقل الإمبراطور أنستاسيوس، وقد أجبره الإمبراطور، على استخدام كلمة "يامن صلبت من أجلنا إرحمنا". فى الثلاثة تقديسات، فاقر هذا الأمر .

كان كثير من الرهبان الأرثوذوكس فى فلسطين، من تركوا عنهم دراسات الكتب المقدسة، وأعلنوا رفضهم لقبول مرسوم الإمبراطور، وظهر من بينهم كثيرون خارجون على الكنيسة.

فقاسى كثيرون منهم إضطرابات، بتحريض أحد الرهبان ويدعى نيفاليوس (مثير الفتنه.

وقد إنتدبوا رهباناً من الصحراء، متوحدين ووقورين أرسلوهم إلى القسطنطينية، ومن بينهم سيفيروس، وكان رجلاً عالماً وكاهناً كاملاً، وأرسلوهم كوفد يطلب من الإمبراطور، بأن يأمر الرهبان أن يعيشوا فى هدوء، فى مقارهم ودياراتهم حتى يصلوا لأجله.

وفى حال مجيئهم إلى الإمبراطور تعرف عليهم الضباط، وقادوهم إلى البطريرك

[illegible] فى أمور الحقائق، فأقر على الملأ ما كان خافياً فى قلبه من

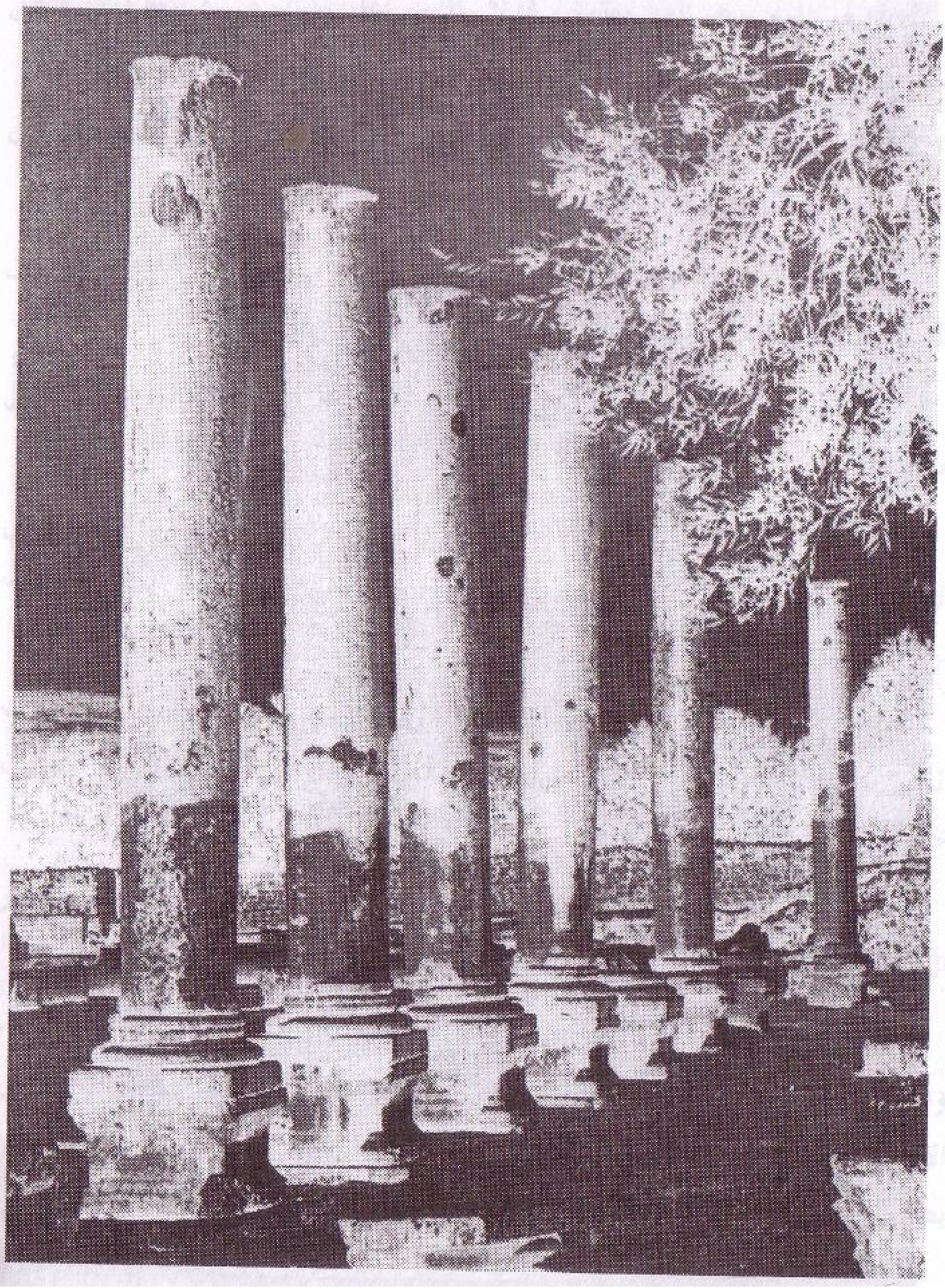

العقائد الفاسدة، التى كان يؤمن بها، ولم يكن ممكناً أن تظل مجهولة من الجميع ويكتمها فى قلبه.

وكان بالاسكندرية رجل يدعى دورثيؤس، كان يصادق على عقيدة القديس كيرلس، ولما تحدث معه ساويرس وجده حقيقة يجهل عقيدة كيرلس، وعلى أثر ذلك قام بتحريض الآخرين لعقيدة ماكدونيوس والخلقيدونيين، الذين نسبوا، طبيعتين ليسوع المسيح ابن الله الذى هو واحد. وبدا لهم الكتاب رائعاً فأسموه فيلاليتس.

لكن ماكدونيوس والذين معه، وكذا أتباع نسطوريوس، كانوا يقولون بكل تحد: أن الثلاثة تقديسات التى يتلونها هم، هى التى ينطق بها الملائكة فى تقديسهم. فرد عليهم القديس ساويرس: فأن الملائكة تقول قدوس الله، قدوس القوى، قدوس الحى الذى لايموت إرحمنا" ولكن فى الواقع ليس الملائكة مضطرون أن يقولوا "الذى صلب لأجلنا نحن البشر، كما نقول فى قانون الايمان.

هذا الذى من أجلنا نحن البشر و..صلب على عهد بونطيوس بيلاطس، وقام من الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب المقدسة".

وأقر ذلك آباؤنا القديسون فى نيقية والقسطنطينية وأفسس وأعطوا تعريفاً دقيقاً عن ألوهية السيد المسيح. ولهذا فإننا نحن المسيحيون لابد أن نقول: أيها المصلوب لأجلنا إرحمنا.

ونحن نؤمن أن الله هو القدوس القوى، والحى الذى لايموت، والذى صلب لأجلنا. ونؤمن أيضا بالحقيقة أن القديسة الطاهرة مريم ولدت الله نفسه، وليس آخر. وليس آخر أيضا الذى صلبه اليهود. ولكنه هو نفسه الذى ولد وصلب وقام.

وقد برهنت هذه الحجج وكتبت مع أخرى وأرسلت إلى الإمبراطور، والى القضاة، والرهبان، حتى (حطمت آراء الكفار النسطوريين من أساسها. وبحججهم الإرثوذوكسية اسكتوا ماكدونيوس وفندت آراؤه وانتهت أمام الحق بعدما كان

يحاول أن يخدع الإمبراطور والقضاة بقوله أن له نفس عقيدة الشرقيين وأنه استخدم فى الكنيسة القول: "يا من صلبت من أجلنا إرحمنا". وفى الخفاء كان يستثير الهراطقة ضد الإمبراطور بقوله لهم لقد أحدثوا تغيراً فى عقيدة آبائنا المسيحيين، وبالفعل اجتمع الهراطقة ومضوا إلى قصر الإمبراطور بغية أن يحدثوا ثورة وكان الغرض منها طرد بلاتون الذى كان يدبر كل أمور الإمبراطورية، وكان يتمتع بتقدير عالمى كبير.

واستسلم بلاتون للخوف فهرب وإختبأ، وظل الهراطقة ومن معهم من الجند يهتفون بأسم امبراطور آخر للرومان وهرعوا إلى منزل ماران السورى وكان أحد المشهورين وأحرقوا مسكنه وممتلكاته، وكانوا يريدون قتله، لكنه كان قد هرب ونجا بعناية ربنا يسوع المسيح، ويرجع السبب أن البطريرك ماكدونيوس المحتال هو الذى إفترى على هذا الرجل التقى أمام الشعب، وكان ماكدونيوس يقول: "ماران هو الذى يحول عقل الإمبراطور عن الإيمان الحقيقى". لذلك كان أفراد الشعب يبحثون عنه ليقتلوه منساقين بكراهية شديدة ودون أن يعلموا الحقيقة.

وحال دخولهم منزل هذا القاضى الشهير استولوا عليه وسلبوه، وتقاسموا معاً كل مقتنياته الفضية، ووجد أفراد الشعب فى منزله راهباً من الشرق، فأخرجوه وقتلوه ظانين أنه ساويروس صديق الله. ثم أخذوا رأسه وطافوا بها فى كل المدينة وهم يصيحون "هاهو عدو الثالوث الأقدس".

ثم مضوا بعد ذلك إلى منزل جوليانا التى كانت من عائلة الإمبراطور لاوون حتى ينادوا بزوجها إمبراطوراً وكان يدعى "ارويفايند" الذى لما سمع أنهم حاضرون عنده هرب. ولكن الشعب استمروا فى ثورتهم دون توقف.

أما الإمبراطور انستاسيوس صديق الله والذى كان يتبع الإيمان الحقيقى فقرر أن يتصرف حيث استدعى المجلس وجلس على العرش مرتدياً الزى الإمبراطورى،

وعندما رآه الشعب شعروا بألم شديد من جهته وملأت قلوبهم بالندم والحزن، وصاروا يخشون غضب الإمبراطور وحينئذ طلبوا منه السماح معترفين بخطأهم، ولم يزالوا هكذا حتى رفع الإمبراطور صوته نحوهم قائلاً: "لاتخافوا فقد عفوت عنكم".

وبعدها إنفضت الجموع وعاد الكل إلى مسكنه وأستتب الهدوء والنظام.

ولم تمضى عدة أيام حتى قام نفس هؤلاء القوم بثورة جديدة فأضطر الإمبراطور أنستاسيوس أن يجمع عدداً كبيراً من الجيش، وامر بالقبض على هؤلاء الثوار، وعندما مثلوا أمام الإمبراطور حكم على البعض منهم بقطع أطرافه والبعض الآخر حكم عليهم بالنفى والآخرون قطعت رؤوسهم فإستتب الأمن والنظام منذ ذلك الوقت وتعلم سكان المدينة أن يخشوا الإمبراطور.

وبعد ذلك بقليل نفى ماكدونيوس الذى كان سبباً فى ضياع كثيرين وخلعوا عنه رتبته الكهنوتية وإعتبر كقاتل وطرد من جماعة المؤمنين.

بعد ذلك وصل أساقفة الشرق إلى بيزنطة، وتقدموا بشكوى إلى الإمبراطور انستاسيوس ضد فلافيان بطريرك إنطاكية واتهموه بأنه نسطورى بالرغم من أنه قبل مرسوم الامبراطور زينون، لكنه انضم إلى الخلقدونيين وقبل رسالة لاوون البغيض الذى نسب فى مكتوبه طبيعتين لهذا الواحد الغير قابل للإنقسام يسوع المسيح الإله الحق. فنفاه الإمبراطور أيضا وأمر بإرساله إلى بترا بفلسطين...

أما فيتاليان قائد قوات إقليم ثراكى، وهو رجل ذو قلب شرير وكان يكره ساويروس قديس الله وكان الإمبراطور انستاسيوس قد عينه بطريركا لانطاكية وشهد عنه كل أساقفة الشرق الإرثوذوكسين وذلك بدلاً من فلافيانوس الهرطوقى الذى كان قد نفاه فيتاليان الذى ثار ضد الامبراطور انستاسيوس واستولى على إقليم ثاراكى وميسيا واسكثيا. وجمع جيشاً كبيراً، فأرسل الإمبراطور ضده أحد القواد ويدعى هياتيوس ولكنه هزم فى احدى المعارك وأخذه فيتاليان حياً. فدفعوا له مبلغاً

من المال كفدية فسلمه فيتاليان. ولما عاد إلى الإمبراطور انستاسيوس خلعه من مكانه وعين قائداً آخر يدعى كيرللى وهو من إقليم "الليريكون". وما لبث أن شن حرباً ضد فيتاليان نتج عنه موت عدد كبير من الجانبين ومضى القائد كيرللى إلى مدينة تسمى أوديسا ومكث هناك، وأما فيتاليان مضى إلى بلغاريا بصحبة جيش مكون من الهنز والبلغار ثم أعطى مبلغاً كبيراً لحراس أبواب أوديسا واقتحمها ليلاً وإستولى على المدينة، وقتل القائد كيرللى ثم إنحاز أيضا على إقليم ثاراكى وسلبه وعلى بلاد أوروبا وعلى سكيوس وبوغاز القسطنطينية وسوزينوم، ثم استقر فى كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل وجلس يفكر فى الطريقة التى تمكنه بأن يصبح سيدا للمدينة الامبراطورية بيزنطة.

وأرسل الإمبراطور أنستاسيوس الفيلسوف بروكلوس، لكى يسلم مارين قراره.

وعندما أخبره الإمبراطور عن مشاريع فيتاليان الثائر، هدأ مارين الإمبراطور وطلب أن يعطه فقط بعض المتحاربين، وسيصطحب بروكلس الفيلسوف معه. كما أخذ معه كمية من الكبريت الخام النشط وكمية مماثلة من مسحوق النشادر. وقام مارين بسحق الكبريت وهو يقول بثقة: "لو ألقيت هذا المسحوق على أى منشأة أو أية سفينة، فسوف تحترق لوقتها عند شروق الشمس، وما ينتج عنها من نيران كفيل أن يجعل الشىء ينصهر كالشمع".

وجهز مارين عدداً كبيراً من السفن، وجمع فيها كل الفرق المتحاربة التى استطاع أن يجدها فى القسطنطينية، ومضى لمحاربة فيتاليان حسب أمر الإمبراطور.

وعندما رأى فيتاليان مارين يقترب، قام وأقلع بكل السفن التى وجدها أمامه وعدداً كبيراً من حاملى القوس. كما جر معه عدداً من البربر والسكيثين، واتجه بهم نحو بيزنطة.

وكان يظن أنه قادر على هزيمة منافسيه. لكن مارين ورفاقه هزموا هذا العدو بمعونة الله. فلم تتحقق رغبة هذا الثائر الشرير إطلاقاً، وأضطر فيتاليان مثير الحروب إلى الهرب.

وكان مارين قد دفع الكبريت الخام إلى البحارة، وأمرهم أن يلقوه على سفن العدو، حتى تدمر بالنار.

وعندما أصبحت سفن مارين فى مواجهة سفن فيتاليان نحو الساعة الثالثة صباحاً، قام البحارة بإلقاء كميات الكبريت على سفن فيتاليان، التى اشتعلت لوقتها، وغاصت فى أعماق البحر.

وعندما شاهد فيتاليان ما حدث، إنذهل، وكل الفرق التى بقيت معه، تركته وهربت. فتعقب القائد مارين الثوار، وقتل من صادفه حتى إلى كنيسة القديس (ماميز)، حيث توقف عندها قليلاً، ملاحظاً الطريق.

أما فيتاليان فصار فريسة الفزع والهول، ومضى مع باقى رجاله طوال الليل، حيث إحتمى فى مكان يدعى إينشيال، بعدما قطع نحو ستون ميلاً مطارداً من مارين.

وحين أشرقت شمس اليوم التالى، كان رجاله قد تركوه، فأصبح وحيداً.

ولما علم الإمبراطور انستاسيوس بكل ما حدث، قام شاكراً الله، ووزع صدقات كثيرة على الفقراء فى كل نواحي سوزينام.

ثم ترك العاصمة، وجاء إلى كنيسة الملاك ميخائيل، حيث قدم الشكر لله على ما غمره من هبات، وعلى تلك النصرة التى منحها له على أعدائه.

وأمر أن يمنح بروكلس الفيلسوف مبلغاً كبيراً من المال. لكنه رفض قبوله ورده بكل إحترام للإمبراطور متحججاً بقوله: "الذى يحب المال، فليس جديراً بأن يكون فيلسوفاً، فيصبح احتقار المال هو شرف الذين يدرسون الفلسفة"

فأكرمه الإمبراطور وصرفه مبجلاً، بصحبة بعض المؤمنين الأرثوذكسيين، الذين قبلوا رسالة الإمبراطور الورع زينون، وكانوا مقربين للإمبراطور.

ظهر فى ذلك العصر، راهباً قسيساً فى مدينة نيقيوس إسمه يوحنا. وكان عابداً لله محباً للتقوى، ومتعمقاً فى الكتب وهو أصلاً من دير (الغار)*.

وكان سكان مدينتى صا، أكويلا غير متفقين فى الإيمان. فمضى أساقفة المدينتين إلى الإمبراطور أنستاسيوس، وطلبوا منه أن يعطيهم أمراً بعقد مجمع، حتى يطردوا الخلقيدونيين، ويمحوا ذكرهم من الكنيسة، حتى يستبعدوا كل الأساقفة الذين اجتمعوا مع لآون الهرطوقى، الذى كان يقول بالطبيعتين.

ولكن الإمبراطور لحسن نيته لم يستخدم أية ضغوط ضد الهراطقة وترك لهم بعض الحرية ليتبع كل واحد أفكاره. ولكنه كان يعامل باحترام شديد الذين يتفقون معه فى العقيدة الأرثوذكسية، وكان فاضلاً يوزع العديد من الصدقات.

بعد ذلك بلغ الإمبراطور مرحلة الشيخوخة المتقدمة، ثم مرض، ومات بكرامة عظيمة عن عمر يناهز التسعين، وصدق قول الكتاب المقدس إذ قال: كل مجد الإنسان كعشب، فحين أشرقت الشمس جف العشب وسقط جمال منظره، أما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد.

الفصل التسعون

بعد موت أنستاسيوس الإمبراطور الأرثوذكسى التقى، ملك جوستان المرعب، وهو زوج الإمبراطورة إيفيمى Euphemie . وتوج بالتاج الإمبراطورى بقرار من

---

* محتمل أنه يوحنا نيقوسيت، الذى عين فيما بعد بطريركاً للإسكندرية، وعرف بنشاطه ضد

المستشارين المقربين للإمبراطور الراحل. وقيل أنه كان رئيساً للإجتماع السابع فى بيزنطة، ورئيساً للحرس.

وعلى أى حال، فلم يكن مقبولاً من كل ضباط البلاط، لأنه كان أميا، ولكنه مجرد رجل حرب، وقائداً شجاعاً.

ولقد كان هناك منافساً له وهو آمنتيوس وكان ضباط البلاط يريدونه ليخلف الإمبراطور أنستاسيوس، بل قام المستشارون بتسليم جوستان مبالغ نقدية كبيرة ليوزعها على الشعب والجيش، لينادوا باسم آمنتيوس إمبراطوراً، وهم يعلنون أن هذا الإختيار هو من الله.

ولما وجدوا أن غالبية الشعب والبلاط لم يوافقوهم إضطر المتشارون أن يعلنوا بالقوة أن جوستان إمبراطوراً.

وبعدما إعتلى جوستان العرش، أمر بقتل كل الأمناء، لأنهم رفضوا إعتلائه العرش أولاً، وظن أنهم يتآمرون عليه. ومنذ بداية حكمه كان شريراً. فقام أحد قواده بثورة فى الشرق فأحدث فزعاً ورعباً، فإستدعى الإمبراطور جوستان، فيتاليان عدو الإمبراطور السابق انستاسيوس، وعينه رئيساً للقواد.

ثم ألغى مرسوم الإمبراطور زينون، وغير العقيدة الأرثوذكسية وصادق الخلقيدونيين، فقبل رسالة لاوون، التى أدخلت فى كتب الكنائس الشرقية.

وفى السنة الأولى لحكمه، إشتهر القديس ساويرس الكبير بطريرك أنطاكية، بتمسكه الشديد بالإيمان الأرثوذكسى، ولما رأى تغير العقيدة، وعودة فيتاليان، ودخوله صحبة الإمبراطور جوستان، خاف، وترك كرسيه ومضى إلى مصر متخفياً، لأنه علم أن جوستان كان يكرهه حقيقة، وكان ينوى أن يقطع لسانه، لأنه خطب فى الكنائس مواعظ كثيرة مليئة بالعقيدة المستقيمة الرأى، وكتب كتباً كثيرة فى هذا الشأن، وكلها ضد عقيدة الامبراطور لاوون الفاسدة.

ولما رأى جوستان أن ساويرس ترك كرسيه، عين بولس بطريركاً على أنطاكية بدلاً منه، خاصة وأنه كان صديق الخلقيدونيين. وكان الشعب كارهاً لبولس لأنه كان نسطورياً، فظهر إنشقاق فى الكنيسة بسببه، لأن الإمبراطور والقضاة فقط هم الملتصقين به، ولم يقبل أن أحد يعمد أو يبارك إلا من كهنته المعينين سراً ولا يتبعون ساويرس الكبير.

ومات من كان يريد قطع لسان ساويرس الكبير، بموت مفاجيء ساحق. وكان سبب موت فيتاليان، أن الإمبراطور جوستان، عندما أراد أن يخلعه من وظيفته، دبر فيتاليان أن يثور ضده، كما فعل فى الإمبراطور السابق له. ولما علم جوستان، أمر بقطع رأسه. وهكذا فإن الله لم يتأخر في الإنتقام منه، كقول ساويرس البطريرك الذى تنبأ به، عنه بأنه سيموت ميتة شنيعة.

فى هذه الأثناء قام البطريرك ساويرس بكتابة عدة رسائل، كلها حكمة وورع، أرسلها إلى سيزاريا النبيلة والقديسة، لأنها كانت بمثابة الأداة المختارة من كل العائلة الإمبراطورية فى روما، وكانت مولعة بالعقيدة الأرثوذكسية التى تعلمتها على يد البطريرك القديس ساويرس. وهذه التعاليم كلها لاتزال موجودة بين أيدى الرهبان المصريين.

ثم مات بولس الخلقيدونى بطريرك أنطاكية، الذى قام بدلاً من ساويرس. وعين مكانه آخر يدعى أوفراسيوس الأورشليمى. وكان هذا يكره المسيحيين المتمسكين بعقيدة ساويرس. وكثيرون أيامه استشهدوا من أجل هذه العقيدة.

وشن جوستنيان الحروب الأهلية فى كل الإمبراطورية الرومانية، أدت إلى سفك دماء كثيرين.

وحدثت إضطرابات كثيرة فى أنطاكية لمدة خمسة أعوام، ولم يجرؤ أحد أن يشكو، لأنهم خافوا الإمبراطور. ثم بدا كثير من الأعيان فى رفع شكواهم إلى

القسطنطينية، متهمين جوستنيان النبيل ... بأن أخيه هو الذى كان يساعد الديدبان الأزرق على ارتكاب القتل والنهب بين الشعوب.

إختار الإمبراطور عمدة آخر يدعى ثيؤدوت الشرقى (تصحيحها ثاؤطوطس) وهو كونت من الشرق، وطلب منه أن يعاقب الأشقياء، وجعله يقسم أمامه إلا يدع أحداً مطلقاً يعيش.

وبدأ عمله فى القسطنطينية، حيث عاقب عدداً كبيراً من الأتقياء وأمر بالقبض على ثيؤدوسيوس أحد الأثرياء الأقوياء وقتله، ثم أمر بالقبض على جوستنيان النبيل وهم بقتله، ولكنه عاد فأخلى سبيله لما علم بمرضه.

ولما علم الإمبراطور بهذه الحوادث غضب على العمدة جداً، وقام بخلعه وطرده من القسطنطينية، ثم نفاه إلى الشرق فخشى ثاوطوطس أن يقتل هناك، فمضى إلى الأماكن المقدسة فى أورشليم، حيث إعتزل وعاش هناك.

بعد ذلك تجمهر جيش وشعب بيزنطة، وخلعوا عنهم نير طاعة الإمبراطور، وتوجهوا بالصلاة إلى الله قائلين: "اللهم أعطنا إمبراطوراً حسناً، مثلما كان أنستاسيوس، واخلع عنا هذا الإمبراطور "جوستان" الذى سمحت لنا به".

حينئذ نهض من بينهم واحد يدعى جاموس وخاطبهم قائلاً: "هذه هى كلمة الله التى يخبركم بها اليوم قائلا: أنا أحبكم، فلماذا تستعطفونى؟ هذا الإمبراطور قد أعطيته لكم، ولن أهبكم غيره أحداً، لأنه بسبب شرور هذا البلد، إخترت لكم هذا الإمبراطور عدواً للخير! كما تكلم الله فى كتبه "أنا اعطيكم رؤساء حسب قلوبكم".

ولما سمع الإمبراطور هذا الكلام غمر الحزن قلبه، وعلى أثر ذلك قام يبحث عن كسب مودة الشعب، لأنه خشى أن تجبره السلطات العليا بينهم على أن ينفذ قوانين هذا العالم

ثم أنه بعد جهد كبير، وإستخدام العنف، أوقفوا الحرب الأهلية بين المواطنين، فإنتهت الخصومات، وإستتب السلام نوعاً.

ولكن كل هذا لم يوقف غضب الله على هذه المنطقة، الذى كان سببه ضعف الإمبراطور، فأرسل الله عليهم كارثة، حيث سقطت نار من السماء على مدينة أنطاكية. ثم امتدت من عند كنيسة القديس (أتين) حتى إلى منزل رئيس الشرطة، بطول المنطقة وعرضها ثم إمتدت حتى حمام يدعى (حمام أمة السوريين) وفى نفس الوقت كانت اللهب تظهر أيضا فى أقاليم الشرق وكل الطرق ولمدة ستة أشهر، ولم يكن أحد يستطيع العبور من ناحية إلى أخرى.

وأحدثت النار خسائر شتى فى مدينة أنطاكية، وهلك كثيرون، وكانت النيران تمتد من أسطح المنازل إلى أسفل حتى الأساسات وتخربها.

حدث أيضا فى عصر هذا الإمبراطور فى مدينة أنطاكية بسوريا، كارثة أخرة تمت على ستة مراحل... من تبقى من الشعب كانوا يفنون فى منازهم وتبقى أجساماً بلا أرواح. وهذه الأجساد كانت تتساقط من الجو فحماً متوهجاً مثل الصواعق، لدرجة أنها كانت تحرق من يقابلها.

تخربت مدينة أنطاكية حتى آخرها، وكانت النيران تلاحق الذين يريدون الهرب ومن تخفوا فى المنازل احترقوا، فلم ينجو أحداً من النار، وحتى المنازل التى أنشأت فوق المرتفعات لم تنجو من هذه الكارثة، فزالت كل أمجاد مدينة أنطاكية.

خطباء كثيرون وشهداء كثيرون، البعض أنشق إلى اثنين من أعلى إلى أسفل والأخرون انقلبوا.

وتهدمت الكنيسة الكبرى التى شيدت فى عهد الامبراطور، وملأ الحزن والأسى كل المدينة.. والذين لقوا حتفهم من الرجال والنساء والشباب والأطفال نحو مائتين وخمسون ألف نفس.

فى يوم عيد صعود ربنا ومخصلنا يسوع المسيح، اجتمع حشد كبير فى كنيسة تدعى .... ليقيموا القداس بهذه المناسبة العظيمة، وكان كثير من الناس قد هربوا من الكارثة السابقة وخرجوا من مخابئهم ليدفنوا موتاهم وبعض النساء أخرجن أولادهن الذين بقوا أحياء.

ومات أوفراسيوس المسكين الذى لم يكن مستحقاً لكرسى الكهنوت إذ احترق هو أيضا بالنار.. فأقاموا بدلاً منه مصادفة، رجلاً يدعى إفرايم، الأمديدى وهو من مدينة واقعة بأقليم ميسوبوتامى Mesapotomie وكان هو أيضا خلقيدونياً، وكأسلافه كان يضطهد الأرثوذوكسيين.

انقلبت أيضا المدن سلويسى، دافنى (دافما) وكل مدن الضواحى حتى مسافة عشرون ميلاً لدرجة أن كل من كان يرى ما حدث يقول: كل هذه المصائب حدثت بسبب تركهم للعقيدة الأرثوذوكسية، ولسبب الطرد الظالم للبطريرك ساويرس.

وكان السبب المباشر لهذه الكوارث، هو أعمال الإمبراطور جوستان المفترية، ورفضه للعقيدة المستقيمة التى للأباطرة الأتقياء أسلافه.

ولما علم جوستان بهذه البلايا خلع تاجه وردائه الإمبراطورى، وسكب الدموع وتحسر وكف عن الذهاب للمسارح.

وذهب الإمبراطور يوم خميس العهد، ماشياً على الأرض، حافى القدمين وفى حداد تام، من القصر الإمبراطورى إلى الكنيسة ... وكان الشعب والمجلس ينتحبون ويصرخون ساكبين الدموع الغزيرة.

ودفع الإمبراطور الكثير من الذهب، تعويضاً لإعادة بناء الكنائس والمدن التى كانت قد تهدمت أكثر مما أعطاه أى واحد مما سبقوه من الأباطرة.

وكان شعب lezes تحت سيطرة الفرس، وكانوا قد اعتنقوا ديانة الوثنيين، فجاءوا لمقابلة جوستان وأعلنوا إيمانهم بالمسيح، وبعد موت ملك الفرس (ليس موت

ملك الفرس لكن ملك Huns السابق له) جاء تزاثينس إلى القسطنطينية، وحصلوا على صفح السماء والإيمان بربنا يسوع المسيح ابن الله.

ومضوا إلى القسطنطينية بقرب الإمبراطور جوستان وقالوا له: نحن نرغب أن تجعلنا مسيحيين مثلك ونريد أن ننضم إلى رعية الإمبراطورية الرّومانية، فإستقبلهم جوستان بسرور وأمر بتعميدهم بسم الآب والابن والروح القدس، الثالوث الأقدس الواحد وأكرم قائدهم خاصة، والبسه رداء الشرف بعد معموديته، ووهبه خصائص ملكية، وزوجه ابنة أحد كبار الفضلاء المسمى جونيوس (يؤنس) ثم أرجعه إلى بلده بإكرام كثير.

عندما علم كابادیس Cabades ملك الفرس بهذه الحوادث أصابه حزن جسيم، وارسل إلى الإمبراطور جوستان سفراء يخبرونه بهذا الكلام، كان بيننا سلام وصداقة، وها أنت الآن توجد خصومة وبإفساد ملك اللازيس الذى كان دائماً تحت حكمنا، وليس تحت الحكم الروماني.

ولما بلغت هذه الرسالة مسامع الإمبراطور جوستان، كتب رداً عليها جاء فيه "نحن لم نفسد أحداً تحت سلطانك، ولكن جاء رجل يدعى تراشيس بكل تواضع، وتوسل إلينا أن نخلصه من الضلال الذى كان يتيه فيه، أى ضلال أتباع إبليس، وعقيدة الوثنيين وتقدماتهم النجسة. وطلب أن يصير مسيحياً! فهل أقدر أنا أن أمنع أحداً يريد أن يأتى إلى الإله الحق خالق العالم؟!

وعندما صار مسيحياً وجديراً بالتناول من الأسرار المقدسة، سمحنا له بالعودة ثانية إلى بلده.

ونتيجة لذلك حدثت عداوة بين الرومان والفرس.

وطلب الإمبراطور جوستان من ملك البربر Huns (زيليجدز) أن يكون حليفاً معه على معاهدة بأن يقف بجانبه بأمانة وإخلاص.

لكن هذا الملك الغير أمين لوعوده، ذهب لمعاونة كاباديز ملك الفرس على رأس جيش من عشرين ألف محارب، بعدما عقد معه معاهدة اتحاد.

ومع ذلك فإن العناية الألهية كانت تلحق المسيحيين بإستمرار وتدافع عنهم ضد أعدائهم.

وعندما إستعد الفرس لشن حرب جديدة، أرسل الملك جوستان إلى ملك الفرس هذه الرسالة: "من الأفضل حقاً أن نكون إخوة، وأصدقاء فإن أعدائنا لا يمكنهم الظفر بنا والسخرية، وعلى ذلك فإنى أبلغك أن (زيلاجدز) ملك الهانز تسلم منا مبالغ كبيرة لكى يساعدنا فى حروبنا، ثم مضى الآن وتصادق معكم، وهو بالتالى مزمع أن يخونكم أثناء الحرب التى ستخوضونها، وسيعبر طرفنا ويوجه أسلحته ضد الفرس.

لذلك ليته كما تقول ألا يوجد بيننا أية خصومة لكن سلام".

وبعدما تسلم كاباديز ملك الفرس هذه الرسالة قام بإستجواب (زيلاجديز) وقال له: أحقاً أنك تسلمت نقوداً من الرومان لتساعدهم ضد الفرس؟" فأعترف زيلاجديز فغضب منه كاباديس وأمر فوراً بقطع رأسه ظناً منه أنه عندما تصرف هكذا كانه فى نيته الخيانة أيضاً، ثم ارسل جنوداً ليحاربوا العشرين ألف رجل، الذين جاءوا معه فقتلوهم، ولم يهرب منهم إلا عدد قليل رجعوا إلى بلادهم مخزيين.

ومنذ ذلك اليوم ساد الوفاق بين كاباديس ملك الفرس وجوستان امبراطور روما، لكن حكم جوستان لم يدم طويلاً بعد ذلك، لأنه بعد إبرام هذه الاتفاقية مرض مرضاً شديداً فى السنة التاسعة من حكمه أثر انفتاح جرح فى رأسه، حيث اصيب بسهم تلقاه أثناء الحرب، فظل مريضاً مدة طويلة دون شفاء، وعين أثناء مرضه ابن أخيه إمبراطوراً، وتوجه بالتاج الإمبراطورى وكلفه بكل مهام الدولة، ثم مات.

وبعدما أخذ جوستنيان الحكم، استقر فى القسطنطينية مع زوجته ثيؤدورا، ومن أعماله أنه إتخذ قرارات جديدة جعلت كل المشاغبين يختفون من أمامه، وشيد الكنائس وأقام مأوى للمسافرين فى كل مكان، ومنازل للمسنين ومستشفيات للمرضى، وملاجىء للأيتام، ومنشآت كثيرة مختلفة، كما أعاد بناء مدن تهدمت، ووزع مبالغ نقدية كبيرة...، وكثير من الأعمال التى لم يفعلها سابقيه من الأباطرة.

ثم أن ملك الفرس كباديس، استعد لمحاربة ملك اللازيس لأن هذا الأخير بادر بتقديم مساعدته للرومان، زيادة على أنه أعلن أعتناقه للديانة المسيحية، فأرسل ملك لازيس رسالة للإمبراطور جوستنيان طالباً منه المعونة ضد ملك الفرس معلناً إيمانه بالسيد المسيح، فأرسل جوستنيان حالاً عدة فرق بقيادة ثلاثة قواد هم: بليزر، وسيريكوس، وإيرينيه.

ولما بدأوا القتال قتل كثير من جنود الرومان، بسبب الخلافات التى دبت بين قوادهم، فغضب الإمبراطور لهذا الخبر وأرسل القائد بطرس على رأس عدد كبير من المحاربين، وإنضم إلى ملك لازيس وشنوا معركة ضد الفرس، فقتلوا منهم عدداً كبيراً، وكان الإمبراطور جوستنيان يحب الله من كل قلبه وكل فكره.

وكان هناك ساحر يدعى ماسيدس يسكن مدينة بيزنطة يجمع حوله عصابة من الشياطين كمستشاريه، وكان كل المؤمنين يتجنبونه ويهربون منه، فأمر هذا الساحر شياطينه أن تصيب البشر بالكوارث.

ولكن كان من يتبعه ويقدره جداً هو أعداء الله الذين كان لايهمهم دواء الروح ولايهتمون إلا بالمسارح والسباق، هؤلاء الأعيان كانوا مهتمين بممارسة فنون السحر، وقد اتهموا فيما بعد بالتآمر ضد حياة جوستنيان، وحكم عليهم بالموت.

وكان هؤلاء الأعيان كثيراً ما يستحدثون الإمبراطور عن هذا الساحر، [illegible] النصر للرومان، وسيكون

نافعاً بأعماله للإمبراطورية الرومانية، وسيحمى الشعب وسيساعد على زيادة دخول الضرائب بسهولة، وأنه سيرسل شياطينه إلى الفرس لينتزع القوة من جنودهم بانزال الكوارث عليهم من كل نوع، حتى ينتصر الرومان بدون حرب.

وكان الإمبراطور رابط الجأش، ثابتاً فى إيمانه فكان يسخر من هذه الشياطين الخداعة، ومع ذلك كان يود أن يعرف حيلهم.

فى الوقت الذى كان ماسيدس يتمم مناوراته، كما كان يدعى أولئك الأعيان أصحابه، علم الإمبراطور بذلك فسخر منهم وانتهرهم قائلاً: لا أريد السحر ولا الشعوذة التى تمارسونها، والتى تعتقدون أنها مفيدة لدولتى، لأنى أنا جوستنيان امبراطوراً مسيحياً، فهل سأنتصر بمساعدة الشياطين؟!

كلا: لأن معونتى من السماء ومن ربى يسوع المسيح خالق السماء والأرض.

ولذلك هم بطرد الساحر وكل أعوانه، وظل متمسكاً بإيمانه دائماً بالله.وبعد ذلك حصل الإمبراطور على النصر من الله وحينئذ أمر بحرق هذا الساحر.

عندما جدد الفرس قتالهم ضد الرومان ، طلبوا من البربر (Huns) وارسال عشرون ألف مقاتل لمساعدتهم.

وكان فى بلاد البربر الخارجية إمرأة شجاعة تدعى بلغة البربر "بوراكس" وكانت أرملة موهوبة بحكمة كبيرة، وكان لها ولدان. وكان آلاف المحاربين من البربر يطيعونها وهى تمارس السلطة منذ وفاة زوجها المدعو "Balack" . فجاءت لمقابلة جوستنيان المسيحى وقدمت له كمية كبيرة من الذهب والفضة والحجارة الكريمة.

وأن الإمبراطور أمرها بالتصدى لاثنين من الرؤساء، اللذان كانت رغبتهما التحالف مع الفرس ضد الرومان، وكان هذان الرئيسان هما: استيراكس، جلونيز.

فمضت المرأة لمقابلتهما، وكانا ذاهبان للمفاوضة والانضمام مع الفرس، فهاجمتهما بقوة من الجيش وانتصرت عليهما، فقتلت جلونيز فى ساحة القتال وكذا رجاله. أما استيراكس فقبضت عليه حياً وامرت بتكبيله بالسلاسل، وأرسلته إلى القسطنطينية حيث ربط فى مقصلة وصلب.

وجاء رجل من بلاد البربر يدعى جورداس لمقابلة جوستنيان، حيث تعمد وأصبح مسيحياً وكان الإمبراطور اشبينه، ثم أفعمه بالاكرام واعاده إلى بلاده، وأصبح هذا الرجل فيما بعد موالياً للإمبراطورية الرومانية.

وبعد عودته إلى بلاده تحدث إلى أخيه عن الهبات التى حصل عليها من الإمبراطور، فشجعه هو الآخر على ترك أوثانه، ليصير مسيحياً أيضاً. ثم حطم جورداس أوثانه التى كان يعبدها البربر، ونزع عنها الفضة التى تغلفها ثم أحرقها.

فهاج البربر على جورداس وغضبوا لما فعله وقاموا عليه وقتلوه. ولما علم الإمبراطور جوستنيان بما حدث، أرسل عدداً كبيراً من السفن عن طريق بحر اليونت مزودة بكثير من الجنود المحاربين السكيثيين، والبربر بقيادة قائد شجاع يدعى جوديلاس وسار الجيش البرى والفرسان بقيادة بدواريوس.

وعندما علم البربر بهذه الحملة، هربوا وأختبأوا، فإحتل الإمبراطور بلادهم وعاد الهدوء بعد ذلك.

وكان يحكم بلاد البربر رجل يدعى جريستس وكان ملكاً على Herules. فجاء لمقابلة الإمبراطور جوستنيان وتعمد وصار مسيحياً هو وضباطه وكل أقاربه.

فأكرمه الإمبراطور وأجزل له الهدايا، وأعاده إلى بلاده بكل إكرام كموالياً للإمبراطورية الرومانية.

وفى غضون حكم هذا الإمبراطور أيضاً، حدثت حرباً بين اليهود والأثيوبيين. [illegible] منها ثلاثة [illegible] وأربعة حبشية واقعة

على شاطىء المحيط جهة الشرق، وكان ملك الهنود ويدعى هندس يعبد النجم (كوكب عطارد).

وكان التجار المسيحيون يجوبون هذه المناطق، ويعبرون إلى بلاد عابدى الكواكب، وبلاد اليهود أيضا، وكانوا يتكبدون شدائد جسيمة.

لكن دامنس ملك اليهود كان يقتل التجار المسيحيين عندما يدخلون بلاده، ويستولى على أموالهم قائلاً: بما أن الرومان يعذبون ويقتلون اليهود، فأنا أيضا اسوة بهم سأقتل المسيحيين الذين يقعون تحت يدى. لذلك اختفت التجارة من الهند وألغيت تماماً.

ولما علم ملك النوبيين بهذه الأحداث، ارسل رسالة إلى ملك اليهود قال فيها: "لقد أخطأت بتصرفك هذا، بقتل التجار المسيحيين، فجلبت الضرر على مملكتى، وبلاد الملوك الأخرين، سواء المجاورة أو البعيدة".

وبعدما تسلم ملك اليهود هذه الرسالة وعلم ما بها، قام لوقته بالحرب ضد ملك النوبيين، ولما أصبح الخصمان كل فى مواجهة الآخر، صاح ملك النوبيين قائلاً: إذا نصرنى الله على هذا اليهودى دامنوس سأصبح مسيحياً!".

ثم شن الحرب على اليهودى فهزمه وقتله، وإستولى على بلاده.

بعد ذلك ارسل عدة رسائل إلى الاسكندرية والى اليهود الوثنيين، يعرفهم بما حدث، ثم طلب من الحكام الرومان أن يرسلوا له من الإمبراطورية الرومانية أحد الأساقفة لكى يعمدوهم ويعلموهم الأسرار المقدسة، لكل النوبيين واليهود الذين ظلوا على قيد الحياة.

فأمر الإمبراطور جوستنيان بأن يمنحوه كل ما يطلبه، فأرسلوا إليه أحد الأساقفة مع بعض الكهنة ضمن رهبان البطريرك القديس يوحنا (يقال أنه مبعوث الملك

اكسيوم وكان رئيساً لكنيسة القديس يوحنا على الاسكندرية) وهذه الحادثة بينت أصل تحول الأثيوبيين إلى المسيحية فى ظل حكم جوستنيان.

حدث أيضا أثناء حكمه، أن ملك الحجاز هيدجاز والمسمى بالمنذر، قام بغزوة أغار فيها على بلاد فارس وسوريا، فأحدث فيها أضراراً بالغة، ثم تقدم بجيشه نحو مدينة أنطاكية، فقتل كثير من السكان، واحرق مدينة كالسيز ومدن أخرى من مقاطعة سيرميوم، ومقاطعة سينجيا، وظل هكذا حتى تقدمت ضده جيوش الشرق، فلم تقف أمامهم جيوش الغزاة، بل عادوا إلى بلادهم حاملين غنائم كثيرة.

وفى أثناء حكمه حدث أيضاً زلازلاً كبيراً فى مصر، إندثرت على أثره كثير من المدن والقرى، فهب سكان الصحارى يصلون ويتضرعون إلى الله بدموع وحزن بسبب هذه الكارثة، فتوقفت هذه الكوارث بعد عام، وإنتهت الهزات التى كانت تحدث فى كل مكان.

وظل المصريون يحتفلون بذكرى هذا اليوم من كل عام فى السابع من شهر تيجمت Tegemt. ذكرى هذه الكارثة وزوالها وقد حفظنا هذا التذكار عن آبائنا الرهبان المصريين الثيؤفورين les Theaphoren.

وربما حدثت كل هذه الكوارث الطبيعية نتيجة تغيير عقيدة الإمبراطور جوستنيان الأرثوذكسية، وقد صار أكثر تجبراً ممن سبقوه.

فقد أمر جوستنيان الشرقيين بأن يسجلوا أسماء اساقفة مجمع خلقيدونية، بعدما حذفوا اسم البطريرك ساويرس من سجلات الكنيسة. وهو تقليد لم يعمل به من قبل، ولا أقرته المجامع ولم يذكر فى سير الآباء. ولم يكن ممكناً ذكرهم فى مجمع القداس، ولكن جوستنيان هو وحده الذى أقر هذا التقليد فى كل امبراطوريته، فأمر بتسجيل أسماء أساقفة مجمع خلقيدونية فى الوقت الذى قاموا فيه بحرم كل من: أنثيموس بطريرك القسطنطينية وأكاكيوس الذى كان بطريركاً فى عصر الامبراطور

لاون، وبطرس بطريرك الاسكندرية، من الشركة المقدسة، وأمر بحذف أسماءهم من الديبتكيون (سنكسار الكنيسة). وقام بإلغاء مرسوم زينون. وحرم اسم البطريرك ساويرس من التداول فى كل أقاليم أنطاكية، والمناطق المجاورة. ومنع ذكره فى الديتبكون بالكنيسة، بل أمر بأن يلعنوه.

ومنع شعب الاسكندرية أن يستقوا مصادر العقيدة من ديسقورس الذى خلفه البطريرك تيموثاوس. ولكن كان الإمبراطور جيستنيان قد سلم الكرسى البطريركى للخلقيدونيين. لكن الإمبراطورة ثيؤدورا زوجته، لم تكن راضية على هذا الوضع فتقدمت بالتماس فى صالح البطريرك تيموثاوس بطريرك الاسكندرية، لذلك تركه الإمبراطور قائماً على كرسيه، وكانت تدعوه (بالأب الروحى).

وفى عهد هذا الأب البطريرك القديس، ارسل الإمبراطور جوستنيان فرقاً كبيرة من الجيش حاصرت مدينة الاسكندرية، مريدة أن تحدث بها مذبحة كبرى، فإنتدب الأب البطريرك كهنة ورهباناً أرسلهم إلى الإمبراطور ليتوسطوا لصالح الكنيسة، وبتوسط الإمبراطورة التى ترجت الإمبراطور إلا تحدث مذبحة بالمدينة، وألاّ تسفك دماء بريئة، ويترك الشعب على عقيدة آبائهم، ولما قرأ الإمبراطور الرسالة المرسلة إليه وافق على الطلب بتوسط الإمبراطورة ثيؤدورا التى كانت عزيزة عنده.

وأرسل أمراً إلى الجيش فى مصر، بالعودة إلى إقليم إفريقيا.

وظل البطريرك تيموثاوس قائماً فى قصره، مخلصاً لعقيدته الأرثوذكسية. وأرسل الإمبراطور مندوباً عنه إلى الاسكندرية يدعى كالوتيشيوس Calotyehius ونودى بأن الإمبراطورية الرومانية كانت قائمة منذ ألف ومائتين وسبعة وثمانين سنة.

وظلت المدينة هادئة بعض الوقت، ثم تنيح الأب الجليل الأنبا تيموثاوس محاطاً بالوقار والإحترام.

الفصل الواحد والتسعون

حدث فى عهد هذا البطريرك الجليل الأنبا تيموثاوس بمدينة الاسكندرية حدثاً هاماً وعجيباً حقاً.

إذ كان يوجد فى الناحية الشرقية فى المدينة، فى المكان المسمى أروتيوو على يمين كنيسة أثناسيوس، مسكناً يسكنه أحد اليهود، المدعو أوبورو... كان يملك صندوقاً تسلمه عن والديه اليهود، يحتوى على صورة الرب يسوع المسيح، وقطعة القماش التى كان متمنطقاً بها ربنا يسوع المسيح، عندما غسل أقدام تلاميذه. وقد حاول هذا الرجل أن يفتح الصندوق عدة مرات، لكن دون جدوى إذ أنه عندما كان يلمسه كان ينزل عليه لهيباً مهدداً بحرق من يريد فتحه، وكان يسمع أصوات ملائكة ترتل الترانيم لمن سمر على الصليب الله الملك الممجد، وكان هذا اليهودى مرتعباً لهذا فمضى مع والدته وزوجته وأولاده لمقابلة البطريرك تيموثاوس وأخبره بهذه الحادثة، وتوجه الآب البطريرك إلى المكان الذى فيه الصندوق، مصطحباً شمامسة يحملون صلباناً وأناجيلاً وشموعاً مضيئة، وشوريات، وحدث أن إنفتح غطاء الصندوق فى الحال أمامه.

فحمل الآب البطريرك الصورة والقماش المقدس بكل احترام وأخذها إلى قصره البابوى. ثم وضع الصندوق الآب البطريرك فى كنيسة تابيونيسيوتس Tabeonnesiots فى الاسكندرية، ويقال أنه نزل ملاك من السماء وأغلق غطاء الصندوق البرونزى المحتوى على الصورة والقماش، وظل مغلقاً حتى يومنا هذا.

فغضب سكان الأسكندرية مما حدث وذهبوا لملاقاه الفرس، وطلبوا منهم فتح الصندوق، ولكنهم فشلوا فى ذلك، أما الرجل اليهودى فقد إعتنق المسيحية هو وأهل بيته.

الفصل الثانى والتسعون

بعد نياحة البابا تيموثاوس الورع، أقاموا مكانه الدياكون ثيئودوسيوس الذى كان سكرتيراً له. وعندما كان ذاهباً لشغل كرسيه البابوى، تعرض له أحد الأثيوبيين يريد قتله، فهرب ومضى إلى مدينته، وعاش فيها متوحداً متعبداً، حينئذ إنتخب عامة الشعب لهم بطريركاً بدلاً منه اسمه (غايناس) مخالفين بذلك التقليد المقدس.

وكانت المدينة منقسمة.. البعض كانوا من أتباع ثيئودوسيوس والآخرون من أتباع غايناس، ودام هذا الانقسام آنذاك طويلاً، وكان بالمدينة عمدة اسمه ديوسقورس وكان ارسطوماج قائداً للجيش، فلما علم بهذه الأحداث اعلموا الإمبراطور جوستنيان الذى أمر الحاكم العسكرى أن يمضى إلى مدينة الاسكندرية مصطحباً معه الآب القديس ثيؤدوسيوس من منفاه، فأعاد هذا القائد ثيؤدوسيوس إلى كرسيه وطرد غايناس.

وعندما تملك الكنيسة، أعطاها لبولس الخلقيدونى الذى كان راهباً من تابيونيسيوتس، ونودى به بطريركاً وهذا الآخير أعلن كتابة، أنه مرتبط بعقيدة الخلقيدونيين، وبعث برسائل إلى كل الكنائس.

فحدث إضطراب ليس بقليل بين سكان الاسكندرية فأخذوا ينازلون بعضهم بعضاً، بالأسلحة لأنهم رفضوا أن يقبلوا بولس هذا المرتد والنسطورى، ولم يحدث هذا بالاسكندرية وحدها، ولكن فى باقى المدن أيضا، وكان بولس يحب الاضطهاد وسفك الدماء، وقد وجدوه فى حمام يمارس جريمة الشذوذ الجنسى، مع أحد الشمامسة، فقام الإمبراطور جوستنيان بعزله، وعين مكانه راهباً يدعى زوئيل، فرفض سكان المدينة قبوله ولما رأى ان الشعب معادين له، أرسل خطاباً إلى الإمبراطور يعلمه بتنازله عن رتبة البطريركية.

حينئذ اختار الإمبراطور بدلاً منه شماساً قارئاً من دير سلامة بالاسكندرية يدعى أبوللينير (ادوليناريوس) وكان رجلاً وقوراً هادئاً، من حزب الثيؤدوسيين، وأقاموه بعدما أقنعوه أن يكون بطريركاً بدلا زوئيل، ووعده بهبات كثيرة حتى يحاول أن يقر عقيدة الكنيسة، ومات غانياس فى المنفى قبل ثيؤدوسيوس.

فجمع الإمبراطور جوستنيان مجمعاً كبيراً من الأساقفة من كل البلاد. مع فيجيل بطريرك روما، وبعد جهاد كبير، قبل كثير من الناس العقيدة الأرثوذوكسية، بينما إتبع الباقون العقيدة النسطورية والخلقيدونية الخاطئة.

كان جوستنيان متمسكاً بعقيدة الخلقيدونيين وكان يقبل طومس لاوون الذى يعلن فيه أن المسيح ذو طبيعتين منفصلتين تماماً، كما كان يعلم المطران ثيؤدوريت Theodonet اسقف كورش، ثيؤدور أسقف المصيصة وفيبوسوست - النساطرة.

وبعدما أنزل الله كارثة على البلاد، عقد جوستنيان معاهدة سلام مع الفرس، وهزم فاندال.

وقد كتب قصص هذه الانتصارات العظيمة أغاثياس وهو أحد المعلمين المشهورين بالقسطنطينية، وكذلك أحد العلماء المدعو بروكوب النبيل، وكان رجلاً ذا ذكاء عال، ومملوءاً وقاراً، وكان مؤلفه مشهوراً حيث كتب مجموعة قوانين تربيونيان.

وقد أخذ جوستنيان كل مراسيم الأباطرة السابقين له ورتبها ترتيباً مناسباً، ونظمها للعمل بها، ووضعها فى مسكن الحاكم. وهى ترجع أصلها إلى قدماء الرومان الذين تركوا هذا العمل للأجيال اللآحقة.

ربما كان هذا وجهة نظر المؤرخين لأحداث مجمع القسطنطينية الخامس.

الفصل الثالث والتسعون

كان هناك رجلاً يدعى (روميليوس)، وهو الـذى أسس مدينة روما. ثم خلفه آخر يدعى نومانتيوس، الذى أسس كثير من المنشآت والقوانين فى روما، وقرر النظم الثلاثة للإمبراطورية.

هكذا فعل أيضا قيصر القديم، واغسطس خلفه وبهذه المؤسسات أظهر الرومان تفوقاً، وظلت هذه المؤسسات قائمة بينهم حتى اليوم.

كما أن الإمبراطورة ثيؤدورا، زوجة الإمبراطور جوستنيان أبطلت بدورها أعمال الدعارة، وامرت بطرد النساء العاهرات من كل مكان.

جمع رئيس اللصوص (يوليانس) السامرين كل السامرين واثار حرباً شعواء، وتوج نفسه ملكاً فى مدينة نيابوليس، وأطاح بعدد كبير من الناس فى مملكته، مؤكداً بالكذب أنه مرسل من الله لكى يعيد مملكة السامرين كما فعل من قبله روبوام ابن نابوت، الذى حكم بعد سليمان الحكيم بن داود.

والذى كان قد أغرى شعب اسرائيل وقاده إلى الوثنية، كان فى نيابوليس ثلاثة خياله: أحدهما مسيحى والثانى يهودى، والثالث سامرى، كانو يتنازلون فى سباق، فانتصر المسيحى ونزل من على جواده محيياً برأسه أمام الجمهور لكى يحصل على الجائزة فسأل المغتصب عمن انتصر فى السباق فأجابوه بأنه المسيحى، فأمر فى الحال بقطع رأسه.

لذلك اسموا الجنود السامرين بجنود الفلسطينين فقامت فرقة فينس، وكنعان وأرابيا وكثير من المسيحيين الآخرين واسرعوا وهاجموا هذا السامرى الشرير وقتلوه، كما قتلوا رفاقه الضباط، وقطعوا رأسه وأرسلوها إلى القسطنطينية، إلى الإمبراطور جوستنيان لكى تكون مثالاً، ولكى يحفظوا الحكم، حينئذ وزع

الفصل الرابع والتسعون

كان موضوع جدال حول جسد ربنا يسوع المسيح بمدينة القسطنطينية، وهل قام بجسد قابل للتحلل أو غير قابل للتحلل؟ وقد حدث اضطراب وجدل كثير بمدينة الاسكندرية بسبب هذا الموضوع، بين أتباع ثيؤدوسيوس وأتباع غانياس، وطلب من الإمبراطور يوستيانوس رأى أو تيخوس بطريرك القسطنطينية فى هذا الموضوع وهو يشارك فى عقيدته آراء ساويروس وثيؤدوسيوس.

وكانت إجابة أوتيخوس هكذا: جسد ربنا يسوع المسيح خضع للآلام لأجل سلامنا، وهو حى لايموت ولا يتحلل ويبقى كما هو.

نحن نؤمن بأنه تالم بإرادته الخاصة، وأنه بعد القيامة غير قابل للتحلل، ويبقى كما هو فى كل الظروف وبلا حدود.

ولم يقتنع الإمبراطور بهذا التصريح، فوجد الحل الوحيد لهذه المشكلة فى خطاب مرسل من القديس كيرلس إلى سكستوس.

وأما الإمبراطور فكان ميالاً للأسقف جوليان من أتباع غاياس، وعلى نفس العقيدة التى تقول: أن يسوع المسيح كان بشراً مثلنا، والكتب المقدسة تؤكد أنه تألم فى الجسد من أجلنا.

وغضب الإمبراطور جوستنيانوس من البطريرك أوتيخوس لأنه لم يجبه كما كان يرغب، وعلى العكس كان يقول عن ساويرس وأونسيمس أنهما خدعا سكان القسطنطينية، كما يخدعهم اوتيخوس أيضاً.

ارسل جوستنيان أمراً إلى حاكم الاسكندرية أغاثون وأمره أن يعين أبو للينير، قمص دير بانتون Banton بطريركاً للخلقيدونيين بالاسكندرية ومدن مصر الأخرى*.

ولكن سكان هذا الإقليم كانوا متعلقين تماماً بالعقيدة الفاسدة فكانوا لايتبعون تعاليم آبائنا المذكورة فى الكتب، والتى ذكر فيها أن الجسد المقدس الذى لربنا يسوع المسيح، لم يتعرض للفساد قبل القيامة والصعود، وأنه تألم وذاق بإرادته هو وحده، وبعد القيامة اصبح أبدياً وثابتاً، وهذه هى تعاليم غريغوريوس الناطق بالالهيات، فعلينا حين نتحدث عن موضوع الفساد، أن نبعد الآلام لمقدسة التى خاضها ربنا بالجسد بإرادته وحده وتدبيره الحر الذى أعده لخلاصنا.

بعدما قام الإمبراطور جوستنيان بخلع ونفى أوتيكيوس بطريرك القسطنطينية، عين مكانه يوحنا.. وكان أصلاً من سيرميام مدينة بأقليم أنطاكية، والذى وعده بأن يكتب رسالة، متفقاً معه فى الإيمان وأن يحرر خطاباً بذلك للمجمع الإكليريكى، ولكن بعدما جلس على كرسيه لم يهتم بتتميم إرادة الإمبراطور ورفض أن يكتب شيئاً كما قال له.

وحقيقة الأمر، كان هذا الآب غير متدين فى حياته المبكرة، فلم يكن يعرف الكتب المقدسة، ولم يتعمق فى معرفة الديانة المقدسة، لكنه بعدما سيم كاهناً اجتهد فى دراسة الكتب المقدسة، وعرف ما تحمله آباؤنا من الآلام والأحزان والأتعاب بسبب المسيح، وتعلم كذلك العقيدة الأرثوذكسية وترك عنه عقيدة الإمبراطور الفاسدة.

---

* لم يوجد حاكم لمصر بأسم أغاثون، ربما أخطأ عن أغاثون أخو أبولّلينير كان مبعوثاً للاسكندرية.

هذا البطريرك عينه يوحنا الذى ألف الكتاب المعنون Mystagogia مستاجوجيا، الذى تحدث فيه عن الطبيعة الواحدة للمسيح كلمة الله، الذى صار جسداً وأثبت فيه بالبراهين، تبعاً لشهادة أثناسيوس الرسولى، الطبيعة الواحدة المقدسة الأنسانية.

أرسل ميناس الذى كان فيما مضى بطريركاً على القسطنطينية إلى فيجيل بطريرك روما مكتوباً، غير فيه من رأيه فى طبيعة المسيح وقال: "لا يوجد سوى طبيعة واحدة ومشيئة واحدة، فى ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، نحن نؤمن بالله بمخافة كاملة من القلب وبتعمقنا فى تعليم آبائنا.

وكان هذا الكلام مطابقاً تماماً لأفكار يوحنا بطريرك القسطنطينية، ولذلك كان الإمبراطور يريد خلع يوحنا. واذ كان يفكر كيف يكون ذلك، لأنه كان يخشى الإضطرابات إذ كان قد ألغى من قبله أوتيكوس بدون محاكمة شرعية.

ومات جوستنيان عن شيخوخة متقدمة فى العام التاسع والثا ·رن من حكمه، وكانت ثيؤدورا زوجته الإمبراطورة قد ماتت قبله.

وقام السامريون بثورة فى فلسطين، واستولوا على الأسلحة. فقام الإمبراطور جوستنيان قبل موته وأرسل أحد الرهبان، ذو مكانة مشهورة وعالية ويدعى فوشن Photion (ربما هو فوشن حفيد بلليزر) يرافقه عدد كبير من الجيش لمقابلتهم.

وقد هاجم فوشن وهزمهم ثم أوقع بهم عقاباً قاسياً ونفى كثير منهم وأحدث رعباً عظيماً.

فى هذا الوقت اجتاحت المجاعات العظيمة، والطاعون الإقاليم كلها. ولما رأى الإمبراطور جوستنيان اضطراب الشعب وكان حينذاك مزمعاً أن يرسل مرسوماً عن الإيمان، إلى كل أقاليم الاسكندرية، ثم يبدأ اضطهاداً عظيماً فى كل مصر، لكنه

وقع فريسة الحزن الشديد واضطراب فكره، وفى جنونه كان يتمشى فى حجرات قصره متمنياً الموت لنفسه، ولكنه لم يجده لأن اللـه كان غاضباً عليه.

وعندما ظهر جنونه أمام الشعب خلعوا عنه التاج الإمـبراطورى، ووضعوه على رأس طيبار Tibere، الذى نودى به امبراطوراً مكانه، وأعطاه ربنا يسـوع المسيح القوة والسلطان.

وكان طيبار رجلاً جميـلاً، يحب الخير، ذو قلـب ثابت وكريـم، وعندما تسلم الحكم، أبطل الاضطهادات وكان يحترم الكهنة والرهبان وكثيرون كـانوا يتهمونـه بأنه نسطورى، ولكن هذا الإتهام خاطئاً لأنه على العكس، فلم يكف عن مسـاعدة الأرثوذوكسيين الذين يؤمنون بالطبيعة الواحدة للمسيح فى طبيعتين والذى هو حقـاً اللـه، وحقاً انساناً فى طبيعة واحدة، لأن الكلمة صار جسداً فلنسبحه ونمجده لأنـه يعطى العون والقوة للملوك.

ولم يكن يسمح هذا الإمبراطور أثناء حكمه لأى أحد أن يضطهد المؤمنين، وكان يقدم هبات كثيرة لكل اتباعه ويؤسس كثير من الكنائس تكريماً للشـهداء وقلايـات للرهبان وأديرة كثيرة، وكان يوزع صدقات بسخاء على الفقراء والمساكين.

فكافأه اللـه لأجل أعماله الحسنة بأن جعـل السـلام يسـود خـلال مـدة حكمـه. وكان هذا الإمبراطور يحافظ بصفة خاصة على عاصمته بعد الاضطرابات.

وتنيح يوحنا بطريرك القسطنطينية، الذى تشبع بالعطايا فى فـتره حكمـه، وبعـد نياحته أعاد الإمبراطور (أتوكيوس) من منفاه وأرجعه إلى كرسيه.

ويوحنا "ابوللينير" اسقف الخلقيدونيين كان قد مـات فـى الاسـكندرية، فنصبـوا مكانه رجلاً يدعى يوحنا، كان قائداً حربياً وكان ذو خلقة جميلة ولم يكن يجبر أحـداً على ترك عقيدته، وكان يسر بتمجيد اللـه فى كنيسته وسط شعبه وكـان يعظـم أعمال الإمبراطور الحسنة، وكان المسيح مع الإمبراطور، فهزم الفرس والـبربر بقـوة

أسلحته ومنح السلام لكل الشعوب التابعين لإمبراطوريته ثم مات بسلام فى السنة الثالثة من حكمه.

إذ كان حكمه قصيراً بسبب خطايا الشعب. لأنهم لم يكونوا مستحقين لإمبراطور ورع كهذا.

فحرموا من هذا الرجل الطيب الأمين، وقبلما يموت كان قد أوصى بزوج ابنته "جيرمان" ليجلسوه على العرش وكان نبيلاً، ولكنه رفض السلطة بتواضع، فأقاموا على العرش موريس (موريق) الذى كان أصلاً من إقليم كبادوكيه.

الفصل الخامس والتسعون

وكان موريس خليفة طيباريوس محب الله، وكان موريس يحب المال جداً، وكان قد سبق وحكم فى الشرق ثم زوج ابنته دومنتول التى تدعى كونستانتين، ثم استدعى فى الحال إلى القسطنطينية كل الفرسان وأرسلهم مع دومنتيول إلى الشرق.*

وأرسل رسالة إلى أرسطوماك المصرى، الذى كان مواطناً من نيقيوس، وابن الحاكم ثيؤدور وكان رجلاً متكبراً وقوياً، وقبلما يموت أبوه كان قد شجعه بقوله: "ابق فى عملك ولا تتطلع إلى مهنة أخرى وأرض بمرتبك حتى تستريح نفسك، لأنك تملك ثروة كبيرة يمكنها أن تكفيك".

ولما كبر ارسطوماك نسى وصية أبيه، وحاول أن يلعب دوراً فى هذا العالم، فكون لنفسه اتباعاً كثيرين من المسلحين، وحصل على سفن ليطوف فى كل مدن

---

* لابد أن المترجم أخطأ فى هذا المقطع لأن كونستانتين هى ابنة طيباريوس وتدعى ابنه

مصر بسرور. وأصبح هكذا فى كبرياء للغاية، وأرغم كل الرؤساء أن يحترموا سلطة الإمبراطور.

لأنه حصل خلال حكم الإمبراطور طيباريوس على السلطة، ومع توليه السلطة أصبح أكثر غروراً وصارت كل الجيوش تحت سيطرته، ولم يكن يحسن أحداً. ووضع فرسانا في مدينة نيقيوس بدون إذن الإمبراطور. وجعل كل العسكريين الذين تحت سيطرته فى حرمان، فكان يستولى على بيوت كل من كانوا أغنى منه، وكان يعاملهم بغير اكتراث ويهملهم. عندما كان يأتى إليه أشخاص ذات مركز عال، أو من طبقة أقل، لم يكن يدخلهم إليه الا بعد ما يتركهم ينتظرون طويلاً على بابه.

ولما علم الإمبراطور طيباريوس قبل موته، بتصرفات ارسطوماك أرسل إلى الاسكندرية ضابطاً يدعى (اندراوس)، لكى يوقفه ويحضره حياً بحذر، لأنه كان يتجنب سفك الدماء.

ثم وجه الإمبراطور طيباريوس رسالة إلى كل المحاربين فى مصر يحثهم على مساعدته ضد البربر.

وعندما تسلم ارسطوماك الرسالة الإمبراطورية، توجه إلى الأسكندرية مصطحباً عدداً صغيراً من مساعديه، لأنه كان يجهل الفخ الذى نصب له.

وكان البطريرك إندراوس، والضابط سعيدين لرؤيته، وأمروا بإيقاف سفينه فى البحر خفية، قريبة من كنيسة القديس مرقس الانجيلة، واقيم فى ذلك الوقت قداسا فى الثلاثين من شهر أمشير (برمودة) Miyazya، وهو عيد القديس مرقس الانجيلى.

وبعد انتهاء القداس، خرج اندراوس من الكنيسة مصطحباً ارسطوماك متوجهاً نحو الشاطىء، ثم أشار إلى أتباعه وإلى الجنود أن يمسكوا أرسطوماك ويلقوه فى السفينة، ولم يفهم ماذا حدث له وساروا بالسفينة إلى مقر إقامة الامبراطور.

ولما رآه الإمبراطور الحكيم قال: هذا الوجه ليس وجه مجرم، فلا تسيئوا معاملته إطلاقاً". وأمر بأن يحتفظوا به في بيزنطة حتى يفحصوا أمره، وبعد فترة قليلة لما لم يجد عليه أية جريمة ضده، أعاد اليه القيادة وارسله إلى الاسكندرية حيث أحبه الجميع .

فحارب بربر إقليم النوبة وافريقيا وهم الذين يسمون مورتيانين وهزمهم وشتت شمل بربر آخرين يسمون ماريكو Mariko وخرب بلادهم بعدما جردوهم من كل أملاكهم، ثم أعادهم مكبلين بالسلاسل إلى مصر عن طريق نهر جيحون، لأن المقابلة حدثت على شاطىء النهر.

وتحدث المؤرخون عن انتصارته، فظن أن بعض الحاقدين سيذهبون لمقابلة الإمبراطور ويتهمونه عنده، فأراد هو أن يسبق ويخطره بإرساله رسالة فورية إلى الإمبراطور، يسأله فيها إن كان ممكناً تحديد مقابلة له، فرد عليه الإمبراطور موريس بالإيجاب.

فسار أرسطوماك إليه حالاً وتوجه إلى الإمبراطور مقدماً له الخضوع والعديد من الهدايا، وقبل الإمبراطور هداياه، وعينه عمدة للمدينة الإمبراطورية، وجعلته الإمبراطورة كونستاتين رئيساً لحاشية منزلها، وأغدقت عليه النعم، فحصل على الرتبة الثانية بعد الإمبراطور، وأصبح شخصية عظيمة فى مدينة بيزنطة، وكان سكان المدينة يشكون جداً من قلة المياه، فأمر بعمل طلمبات فى كل المدينة، وكلف أحد المهندسين العلماء بعمل خزان من البرنز لم يسبق عمل مثله، وكان الماء يجرى ويتجدد فيه، فأصبحت المياه متوفرة فى المدينة.

وكانوا يستخدمون مياه هذا الخزان لإطفاء أيه حرائق تحدث. فأصبح أرسطوماك محبوباً ومكرماً من كل الشعب، لكن ظهر أشخاص بلهاء يحلمون فى إهلاكه، ويحبكون له المؤامرات.

وبينما كانوا يعدون ذلك، ظهر أحد القضاة وكان يعرف فى التنجيم وآخر عرافاً يدعى لاون، هذان لاحظا نجماً ظهر في السماء وكانا يؤكدان أن هذا النجم يدل على قتل الإمبراطور، وذهبا لمقابلة الإمبراطورة كونستانتين سراً، وأخبراها بملاحظتهما قائلين: "إعلمي ما يجب أن تفعليه بإزاء ذلك، وحاولى إنقاذ نفسك وأولادك، لأن هذا النجم الذى ظهر حديثاً هو فأل الثوره ضد الإمبراطور".

ثم اتهموا ارسطوماك بذلك، متوسلين أليها أن لا تقول شيئاً من ذلك إلى الإمبراطور.

لكنها مضت بسرعة لتخبر الإمبراطور بذلك، فاقتنع أن ارسطوماك سوف يقتله، ويشنق زوجته، فأمتلأ كراهية له وطرده نهائيا، وجعله يعانى من الاذلال والاهانة الشديدة ثم نفاه إلى جزيرة الفال، وظل هناك حتى مات.

وظل الإمبراطور موريس يواجه كثير من مختلفى التهم الكاذبة، ومسببى الخلافات، وبسبب حبه للمال، كان يبيع ويستبدل قمح مصر بالذهب، وكذلك القمح المخصص لمدينة بيزنطة فبدأ كل الشعب يكرهونه، وكانوا يقولون كيف يمكن لمدينة القسطنطينية، أن تحتمل إساءات مثل هذا الإمبراطور؟

وهل من الممكن أن يكون أباً لخمسة أولاد وبنتين، ذلك الذى يمارس مثل هذا الطغيان حتى نهاية عمره؟!

ويحكى أن كباديس الكبير، والد أميسداس المدعو كسرى، ملك الفرس الذى كان معاصراً كان مسيحياً، وكان يؤمن بالمسيح إلهنا القوى، ولكنه خشيه غضب الفرس عليه كان يخفى إيمانه.

فى نهاية حكمه، دخل حماماً يصحبه اتباعه المخلصين، وبعد أن تشجع وتعلم على يد أسقف مسيحى اركان الديانة التى كان يمارسها سراً، جحد الشيطان الذى

كان يعبده قبلاً، ثم عمده الأسقف فى حوض سباحة، على اسم الثالوث الأقدس، وامر بعد ذلك بهدم حوض السباحة الذى إعتمد فيه.

وأقام ابنه اميسداس ملكاً مكانه، ولكن هذا اليائس كان متمسكاً بإيمانه بالمقدسات الخاطئة، فكان يجبر المسيحيين على عبادة النار والشمس، وكان يعبد هو أيضا الخيول التى تأكل العشب.

الفصل السادس والتسعون

كانت هناك إمرأة نبيلة تدعى (كولندوخ) بلغة الفرس، وكانت نسطورية المذهب، وأثناء رحلتها فى البحر أسرها الفرس، ووضعوها فى السجن بعدما كبلوها بسلسلة فى رقبتها، تبع تقاليد السوريين. فتالمت حتى كانت على وشك الموت.

وأثبتوا للملك، والسلسلة مازالت مقفلة بكل حرص، ومغلقة على الرقبة، وبينما كانت كولنيدوخ فى هذه الحالة، ظهر لها ملاك وكلمها، ثم نزع عنها السلسلة المربوطة فى رقبتها، دون أن تفتح، وسلمها للحراس هكذا حتى لا يعاقبوا من رؤسائهم ثم سمعت صوتاً من السماء قائلاً: "إنه عن طريق إيمانك الأرثوذكسى بعقيدة ربنا يسوع المسيح قد أنقذت" .

فهربت بعدها إلى الأراضى الرومانية، حيث توقفت فى مدينة ياروذوليس على نهر الفرات. ثم مضت لتقص ما حدث لها إلى الحاكم دومتيان، وهذا الأخير وهو ابن عم الإمبراطور موريس، توجه إلى الإمبراطور، وأعلمه بمغامرة هذه المرأة، فأمر الإمبراطور باحضارها إلى حضرته، حيث أقنعها بالتخلى عن عقيدتها النسطورية، وأعتناق إيمان الكنيسة الإرثوذوكسية فسمعت كلمته وقبلت الإيمان.

وأن ربنا يسوع المسيح الطويل الأناة، والذى يحب أن يسكب رحمته بغنى، لم يصمت أمام إضطهادات قديسيه ولا أظهر عدم اهتمام تجاه المظالم التى يمارسها ملك

الفرس ضدهم، لكنه غضب عليه حتى إنقلب منزل Chosroes الجديد من أعلى إلى أسفل، فثار إبنه عليه وقتله. وحدث بعدها انشقاق كبير بين الأعيان إلى فريقين.

ولما رأى ذلك شوزراوس Chosroes – هرب إلى الأراضى الرومانية وتقدم إلى الضباط الرومان حيث أرسل سفراء إلى الإمبراطور موريس، طالباً منه السماح بالبقاء تحت سلطته الرومانية، ثم طلب أن يشترك معه فى الحرب ضد الفرس وغزو بلادهم وتسليمها للرومان.

ومضى الإمبراطور موريس لكى يتشاور مع يوحنا بطريرك القسطنطينية، وكان هذا الآب البطريرك يوحنا يحيا حياة نسكية، كلها ممارسة أعمال التوبة، فلم يأكل أى طعام مطبوخ، ولم يشرب خمراً، وكان يغتذى على قليل من ثمار الحقل والخضروات الخضراء.

واجتمع عنده القضاة والضباط، ليتشاورا معه فى موضوع شوسراوس ملك الفرس، الذى جاء أخيراً إلى بلادهم.

فتحدث معهم الآب يوحنا بقوة قائلاً: إن هذا الرجل الذى قتل أباه لايمكن أن يكون نافعاً للإمبراطورية، لكن المسيح الهنا الحقيقى هو الذى سيحارب عنا فى كل وقت ضد هؤلاء الشعوب التى تحاربنا. أما هذا الشخص الذى لم يكن مخلصاً لوالده، فهل سيكون مخلصاً للإمبراطورية الرومانية؟!

لكن الأمبراطور موريس رفض رأى البطريرك هذا، وكذلك كل ضباطه، وكتب فى الحال إلى دومتيان أسقف ميليتس وكان ابن عمه، والى مارسيس قائد جيش الشرق، وأمر أن يتقدم بكل فرق الرومان لكى يثبت شوزراوس ملكاً فى فارس، ويهلك منافسيه.

ووهب شوزراوس قلادات ملكية، وملابس فاخرة تليق بمركزه. وكان شوزراوس يذهب دائماً لمقابلة كولندوج لكى يسألها إن كان سيحكم او لايحكم فارس.

فأجابته: بالتأكيد أنك ستنتصر وتحكم على الفرس والمجوس وستعطى الإمبراطورية الرومانية فقط للإمبراطور موريس.

وقد نفذ مارسيس أوامر الإمبراطور، فأعاد شوزراوس الملعون إلى الفرس فهاجمهم وأنتصر عليهم وسلمّ مملكة المجوس إلى هذا البائس، وبعدما إعتلى العرش أظهر جحوده نحو الرومان، الذين أفعموه بالحسنات وتآمر على اهلاكهم.

وفى أثناء الليل اجتمع المجوس عنده لكى يعدوا السم الذى كانوا سيدسونه ويخلطونه بالطعام للجنود الرومان، وطعام خيولهم فيهلكهم جميعاً مع مارسيس قائدهم.

لكن ربنا يسوع المسيح ألهم رجال القصر، الذين جاءوا ينبهون مارسيس قائد جيش الرومان، وعندما علم مارسيس بهذا المصير أوصى جنوده ألا يأكلوا إطلاقاً من الطعام الذى سيقدمونه لهم وأن يقدموه للحيوانات أولاً.

وعندما أكلت منه الكلاب والحيوانات الأخرى ماتت.

فغضب مارسيس من شوزراوس، وأعاد الجنود الرومان إلى قائدهم، وبدأ الرومان يكرهون الإمبراطور موريس بسبب ما حدث من الكوارث إبان حكمه.

الفصل السابع والتسعون

كان فى مدينة ايكيلا فى شمال مصر والتى تسمى اليوم (بالزاوية) وهى قريبة من الاسكندرية، يوجد ثلاثة إخوة هم ابسخارون، وميناس، وجاك. وابسخارون البكر

كان نساخاً، وكان له ابناً يدعى اسحق، وأعطاهم حاكم الاسكندرية يوحنا السلطان فى كثير من بلاد مصر.

ولما لم تحتمل الأرض ثروتهم الكثيرة هاجموا أعضاء الحزب الأزرق (الوانوطس) وضربوا مدينتى بانا وبوصير، ولم يعتبروا حاكم تلك الناحية الذى كان رجلاً ممتازاً وسلوكه بلا عيب فأحدثوا مذبحة كبيرة فى المدينتين، حيث اشعلوا النار فى مدينة بوصير، وأحرقوا الحمام العام. وهرب حاكم مدينة بوصير، لأن سكان ايكيلا كانوا يريدون قتله، فإستطاع أن ينجو من ايديهم، ومضى إلى بيزنطة حيث مثل أمام الإمبراطور موريس وهو يبكي وينتحب، ثم أعلمه بمحاولة الإعتداء التى قام بها هؤلاء الرجال الأربعة والتى كان هو هدفها.

وفى نفس الوقت وجهت له رسالة من حاكم الاسكندرية يعلمه فيها بهذه الأحداث أيضاً، فغضب الإمبراطور موريس جداً وأمر حاكم الاسكندرية يوحنا أن يحرم هؤلاء الرجال من وظائفهم.

فجمع هؤلاء الرجال عدداً كبيراً من المغامرين بخيول وسيوف وكل أنواع الأسلحة الممكنة، وأستولوا على عدد كبير من السفن التى كانت تحمل قمحاً إلى الأسكندرية.

فحدثت مجاعة عظيمة فى المدينة، وصار السكان فريسة لآلام الجوع، وكانوا يريدون قتل الحاكم يوحنا، فدافع عنه المؤمنون محبى المسيح، لأنه كان دائماً يحكم بعدل.

وارسل الشعب شكوى للإمبراطور، يخبرونه بحالة المدينة الكئيبة، فعزل الإمبراطور الحاكم يوحنا، وعين مكانه بولس من مدينة الأسكندرية.

لكن يوحنا حمل معه شهادات تقدير، من كثير من الشعب وبعد رحيله، مضى إلى الإمبراطور، وقص عليه أعمال العنف التى ارتكبها سكان ايكيلا وظل بعض

الوقت عند الإمبراطور ثم أعاده الإمبراطور إلى وظيفته، وأعطاه مطلق السلطة على مدينة ايكيلا، ولما علم أهل هذه المدينة بعودة يوحنا إلى الاسكندرية، اثاروا الاضطرابات فى كل أقاليم مصر.

واستخدموا السفن والبر، وارسلوا واحداً من بينهم وهو اسحاق القرصان، مصطحباً بعض قطاع الطرق، الذين نزلوا فى البحر واستولوا على عدد كبير من السفن التى تجوب البحار وحطموها، ثم مضوا إلى قبرص وأحدثوا بها خسائر مادية كبيرة.

وإجتمع كثيرون من مدينة ايكويلا، ومنهم الزرق والخضر، وبوصير عدو الله... وتشاورا مع أولوج بطريرك الاسكندرية الخلقيدنى، وايلاس الشماس، وميناس تلميذ الأسقف، وبطليموس قائد البربر، بدون علم سكان المدينة. وأرادوا تعيينه حاكماً بدلاً من يوحنا ولكن بعضهم كان يعترض قائلاً: إن يوحنا هذا لايخاف أحداً، وهو يكره التعسف، ويعاملنا كما نريد أن نعامل به مع ذلك فسكان ايكيولا كانوا يرتكبون اساءات جديدة، فيستولون على سفن محملة بالحبوب، ويستولون على ضرائب الإمبراطورية، ويجبرون حاكم المنطقة أن يسلمهم ايصالات الضرائب.

بعد رجوع يوحنا إلى الاسكندرية، جمع كل فرق جيش الاسكندرية، ومصر، والنوبة وكان عليهم أن يسيروا لمقابلة سكان ايكويلا.

وبدأ ثيودور ابن القائد زكريا، والذى كان مع أرسطوماك فى القتال، حيث وجه خطاباً سرياً إلى يوحنا، يحثه فيه على أن يرسل له قوات مدربة يجيدون تصويب السهام، وأن يطلق سراح رجلين كانا فى السجن هما كوزماس ابن صموئيل، وبانون ابن آمون، فأوصى أن يأخذ كوزماس طريق البر وأما بانون فيذهب بالسفينة.

وأما زكريا فكان نائباً ليوحنا فى بوصير، وكان ذو مركز مرموق فوجد يوحنا نفسه أمام خرائب كثيرة بالاسكندرية، فأمر بالقبض على كثير من المشاغبين ومعاقبتهم.

وقد حصل على عديد من السفن، وأظهر للثورا خوف شديد منذ وصوله إلى الاسكندرية.

وبعد ذلك أمر بتنفيذ أعمالاً كبرى فى البحر، وقد ظل بعد ذلك بالاسكندرية حتى موته، ولم يعد إلى بيزنطة أبداً.

عندما تقدم ثيؤدور القائد وجنوده ودخلوا الاسكندرية بعدما أحرقوا معسكر الثوار، رجالاً وشباناً ورماة رمح وعدد كبير من المعارضين.

واصطحب ثيؤدور معه الخمسة رجال الذين خلصهم من السجن وهم كوزماس ابن صموئيل، بانون ابن اسمون وزملائهم، لكى يعرض أمامهم الثوار المصريين الذين أطلق سراحهم.

ولما وصلوا إلى شاطىء النهر جعلوا الفرسان على الشاطىء واركبوا الجنود فى السفينة. ثم عبر القائد بجنوده إلى الضفة الشرقية للنهر، وظل كوزماس وبانون مع فرقة أخرى كبيرة على الضفة الغربية. وكانو يصيحون فى المتآمرين الذين كانوا على الضفة الشرقية، هيا يا من تضمون إلى صفوف الثوار، هل ستحاربون ضد القائد؟ إعلموا أن الامبراطورية الرومانية ليست ضعيفة ولا منهزمة.

فلما سمع ذلك الناس الذين كانوا منضمين إلى صفوف الثوار، افترقوا منهم فى الحال، وعبروا النهر منضمين إلى الجيش الرومانى.

ثم هاجموا رجال إيكيولا الذين انسحبوا منهزمين، وهربوا أثناء الليل حتى وصلوا إلى بلدة صغيرة تدعى أبوسان، ولما لم يستطيعوا البقاء فيها مدة لانكشاف

على الرجال الأربعة، أبسخرون ومينـاس وجـاك واسحق، وقيدوهـم فوق الجمـال وطافوا بهم فى كل مدينة الاسكندرية أمام كل الشعب وأخيراً طرحوا فـى السجن مكبلى الأيدى والأرجل وظلوا هناك.

عندما عين النبيل كونستانتين حاكماً للأسكندرية، بعد زمـن طويـل مـن طـرف الامبراطور، فحص دعوى هؤلاء المساجين، وعرف المعانـاة التـى تقـع عليهـم، فـأمر بقطع رؤوس الثلاثة الأخوة، وأما اسحق فقد احتفظ به اسيراً حيث أمر بنفيـه إلى جزيرة اتروكيو ليقضى بقية حياته هناك.

أما ما يخص بقية شركائهم فى الجرائم، فقد حكم على بعضهم بعقوبـات بدنيـة، وآخرون بمصادرة أملاكهم، ثم اشعلت النيران فى مدينتى ايكيـولا، أبوسـان فصـار هناك خوف فى كل إقليم مصر وأصبح السكان فى رعب فصار هدوء وسلام.

ظهر فى ذلك الحين فى ناحية أخميم قائداً مـن الانصـار يدعـى (ازاريـاس) وجمـع حوله عدداً كبيراً من العبيد الحبش وقطاع الطريق وفرض الضريبة العامـة دون علـم المسئولين فى تلك النواحى.

فصار فزع فى الشعب من أعمـال العنـف التـى يرتكبهـا هـؤلاء العبيـد والـبربر وسرعان ما أخبروا الإمبراطور برسالة عما يحدث، فأرسل الامبراطور أحـد الضبـاط ذو رتبة عالية ومعه عدداً كبيراً من الجنود المصريين والنوبيين ضد ازارياس الـذى لما سمع هرب دون انتظار أى هجوم. واحتمى فوق جبل وعر وقاحل*، يشبه القلعة وقد حاصرت القوات هذا الجبل لمدة طويلة حتى نفـذت الميـاه والطعام عن هـذا الثـائر وأعوانه، فماتوا من الجوع والعطش بعدما تركوا خيولهم.

أثناء حكم هذا الإمبراطور أيضا كان يوجد بالاسكندرية حاكماً وقائداً عسكرياً اسمه ميناس ابن مايير. ظهر مخلوقين فى النهر أحدهما يشبه رجلاً والآخر يشبه إمرأة، وكان كل من يسير بجانب الشاطىء يبصرهما كل أحد بوضوح، وكان يندهش لما يرى.

وحضر منياس أيضا مع كل القضاة وعلية القوم بالمدينة وشهدوا هذا المنظر! وكان كل من يشاهدهم يوجه اليهم الحديث قائلاً: "نستحلفكم باسم الله الذى خلقكما اظهرا بوضوح أمام أعيننا".

ولدى سماعهما لهذا التوسل كانا يظهران وجهيهما وأيديهما وصدورهما حتى كان كل من يرى ذلك يقول: إنه عمل شيطانى يسكن المياه. وقال آخرون ربما النهر له جنسين حتى انجب مخلوقات كما لم نر من ذى قبل، وآخرون قالوا: أنه حدث شيء ردىء لبلدنا... ورابع يقول: إنه علامة طيبة تنبىء بالخير بظهور هذه المخلوقات، وهكذا كان الكل يقولون بآراء خاطئة وأحاديث لم يكن لها أساس.

الفصل الثامن والتسعون

وفى أثناء حكم الإمبراطور موريس كان هناك رجل فى بيزنطة اسمه بولان، وكان يعبد أشياء خاطئة، مدعياً أن الإمبراطور يسمح بهذه الممارسات، لكن الله عاقب هذا الساحر، الذى أصابه الجنون، وكان لديه وعاء يضع فيه ماء الذبيحة النجسة للعباده الخاطئة.

فحمل هذا الوعاء وباعه إلى صائغ، ولما رآه أحد رهبان الدير عند هذا الصائغ، ولفت نظره صنعته الجميلة إشتراه منه وحمله إلى الدير، ووضعه بجانب المذبح بمفرده. وكان يملأ بالماء وأمر الإخوة أن يغترفوا من هذا الماء كلما تناولوا من الأسرار المقدسة، لكى يصرفوا التناول، وهو جسد ودم المسيح الهنا.

ولكن الهنا الملك العظيم الممجد ربنا يسوع المسيح لم يرد شيئا من المقدسات الخاطئة تختلط بالأوانى المقدسة غير الدموية، كما يقال فى رسائل الرسل أن المذبح المقدس، لإلهنا.

بعدما تناول الإخوة خرجوا من الهيكل، لكى يشربوا من هذا الماء حسب العادة، فرأوا المعجزة التى حدثت فى الوعاء، إذ تحول الماء إلى دم، فأصيبوا بفزع هم ورؤساؤهم وصرخوا ببكاء، ثم بدأوا فى فحص نفوسهم، فوجدوا أنهم غير مذنبين كما يستدعى ذلك، فحملوا الوعاء الفضى فى الحال، وهو مملوء بالدم ومضوا إلى يوحنا بطريرك القسطنطينية واخبروه بما حدث.

فأرسل البطريرك فى استدعاء الرجل، الذى باع الوعاء وسأله: من أين جاء بهذا الوعاء؟ وممن إشتراه؟ فأجابه بأنه إشتراه من بولان! حينئذ علم البطريرك مع رجال الكنيسة أن هذا الحدث إنما هو من الله... وكشف إنكار بولان الساحر للإيمان، وشره، واندفع الجميع مسوقين من الله، واسرعوا واحضروا بولان ومضوا به إلى قصر الإمبراطور موريس.

ولما استجوبه كبير الضباط عما حدث أما القضاء وأعضاء المجلس، اعترف أمام الجميع قائلاً: كنت معتاداً أن أضع فى هذه الكأس دم الذبائح، التى كنت أقدمها لمقدساتى فغضب الحاضرون وحكموا عليه بصوت واحد، أنه يحرق حياً.

وأعلنوا الحكم على ثلاث دفعات بصوت منادى: إن بولان (دولينوس) عدو الله كان يوجه صلواته إلى أبولون لهلاكه، فهل سينقذه؟

وقالوا أيضا له لقد انهمكت بالتلذذ فى خطايا غريبة، أسأت إلى نفسك بما لايفيد روحك.

وأيضا الاعلان الثالث: هو أن بولان طلب باختياره هلاك نفسه، وصار عدواً للثالوث الأقدس، ولم يثبت فى الإيمان الاثوذكسى الحق.

وبعد هذه المحاكمات التى تدينه بالموت، رأينا كل الذين شاركوه فى ممارساته الكريهة حاولوا إنقاذه.

ولما علم البطريرك يوحنا بهذه النتيجة، توجه معترضاً إلى القصر وخلع عنه رداءه الكهنوتى الذى كان يرتديه، بينما وقف كل الشعب يصيح، فلينجح إيماننا الارثوذكسى ويزدهر.

فقال البطريرك: "إذ لم يحرق بولان الساحر حالاً، فإنى سأترك كرسى، وآمر بغلق كل الكنائس، ولن أسمح لأحد أن يشترك فى السرائر المقدسة، ولن يترك المسيح عقاب الذين أهانوا أسمه!".

وخشى الإمبراطور أن تحدث ثورة فى هذه الظروف حيث لم يعد البطريرك إلى مقره قبلما يحرق بولان.

وأظهر الإمبراطور فى تصرفاته كأحد الوثنين، وعندما علم أن الجميع يلومونه اصيب بحزن عميق.

الفصل التاسع والتسعون

كان الإمبراطور فى بداية حكمه يريد أن يبرز إيمانه بيسوع المسيح مخلص العالم كله، فأصدر قانوناً بأن كل عقد يكتب عليه العبارة التالية: "بسم ربنا يسوع المسيح إلهنا ومخلصنا".

ثم بعد ذلك أمر دومتيان ابن عمه بأن يجبروا اليهود والسامريين بالاكراه بالعماد، وأن يصبحوا مسيحين ولكنهم أصبحوا مسيحيين بالكذب والرياء، كما اجبر أيضا الهراطقة أن يقبلوا فى الوظائف الكنسية لأنه كان خلقيدونياً متعصباً.

الفصل المائة

وفى حكم الإمبراطور موريس حدث فى الشرق، فى مدينة إسنا وهى أكبر مدن الريف، أن الحياة فاضت أثناء الليل، بينما كان السكان غارقين فى النوم، فهدمت منازل كثيرة بسكانها، وجرفتهم الأمواج وأغرقتهم فى النهر، حيث هلك كثير من الناس وحدثت خسائر فادحة فى المدينة.

كذلك حدث نفس الشيء فى مدينة طرسوس فى سيسليا حيث فاض النهر الذى كان يخترقها فى منتصف الليل، وغطى جزءاً من المدينة المسماه انتنووا Antinooe وهدم كثيراً من المنازل وقد عثروا فى النهر على منضدة من الحجر مكتوب عليها "هذا النهر يهدم كثير من المنازل فى هذه المدينة.

الفصل الواحد والمائة

وأثناء حكم الإمبراطور موريس أيضا، ساد الخراب والأسى لمدينة أنطاكية بسبب زلزال شديد خربها للمرة السابعة وانقلبت أماكن كثيرة فى الشرق، وكذلك الجزر، ومات عدد كبير من الناس.

وحدث اضطراب شديد بين الشعب لأن الشمس أظلمت فى الساعة الخامسة صباحاً وظهرت النجوم تتلألأ فخاف الشعب واعتقدوا أن نهاية العالم قد اقتربت.

صرخ الكل وكانوا يبكون ويتوسلون إلى المسيح إلهنا أن يرحمهم ويغفر لهم، حينئذ سطع ضوء الشمس ثانية واندحرت الظلمة.

وكان الشعب المجتمعون يقولون: إن هذا الحدث الذى تم، حدث أيضا فى نهاية مدار ٥٣٢سنة وبعدما حسبوا الوقت، وجدوا فى الواقع أنه كان فى نهاية العقد الثانى عشر، لكن الأشخاص الأتقياء القديسين قالوا: إن هذا عقاب أصاب العالم بسبب بعد الإمبراطور موريس عن الإيمان الصحيح.

الفصل الثانى بعد المائة

حدث أن أحد القضاة يدعى أوديكيوس كان عليه أن يسافر إلى بلد تسكنه قبائل همجية، فطلب من أحد مساعديه أن يحضر له قماشاً من الحرير على شكل عباية كانت له. ولما فحص وجد أن هذه العباية أكلتها الفيران وأفسدتها، فغضب جداً من خادمه، وألقاه فى قبو ملىء بالفيران، وأغلق عليه وتركه فيه مدة طويلة.

فمات الرجل والتهمته الفئران، ولما عاد إليه بعد مدة طويلة وجده ميتاً ومتعفناً فندم لأنه تسبب فى موت رجل بسبب رداء.

ولما فتك به الحزن قام ومارس أعمالاً حسنة، فكان يوزع صدقات كثيرة على الفقراء ويصلى ويتشفع بسيدتنا القديسة مريم، ثم قام ومضى إلى الأماكن المقدسة لزيارة القديسين المقيمين فيها، معترفاً أمامهم بخطئه، لعله يسمع كلمة تعزيه منهم! لكن هؤلاء كلموه بعنف بطريقة جعلته يعدل من خلاص نفسه....

وأخيراً مضى إلى دير جبل سيناء. فقال له رهبانه "لا رحمة لك، فنزعوا عنه كل أمل".

لقد فهموا خطأ معنى العبارة "أنه لا توجد مغفرة بعد المعمودية". ونسوا ما هو مكتوب عن داود بعدما قتل أوريا، وكيف قبل الله توبته وارجعه إلى حالته الأولى: وكيف أرجع لمنسى حقوقه بسبب توبته بعدما عبد الأوثان، وقتل أشعياء النبى وارتكب آلاف المعاصى، ولكن بعدما تاب وندم عفا الله عنه.

وأما هذا البائس فلأنه فقد رجاؤه، صعد إلى سطح مرتفع وطرح نفسه إلى أسفل فمات موتاً شنيعاً.

وبعد مدة قصيره، ثار سكان ثراك ضد الإمبراطور موريس، وقام ضده أربعة قواد. وعندما علم الامبراطور بهذا، أسرع فى توزيع الأموال على شعب القسطنطينية الذين كانوا يدعونه ساحراً وثنياً ويعلنون أنه غير جدير بالحكم، ولما

وصلت هذه الأحداث إلى الجيوش، تشاوروا لكى يشتكوا ضده بخصوص رصيد الضباط الرؤساء وبخصوص معيشتهم.

(ربما كانت هذه الأحداث عن ثورة، جيوش ثراك وهى تخفيض الرصيد والحرابة التى كانت أحد أسباب ثورة جيوش الشرق سنة ٥٨٣م).

ثم أنهم ألقوا قرعة فوقعت القرعة على فوكس لكى يصبح إمبراطوراً، وكان فوكس أحد القواد الأربعة فى إقليم ثراك، وأما سكان القسطنطينية فكانوا يصرخون بصورة جماعية "نريد إمبراطوراً مسيحياً فى هذه المدينة" ولما علم الإمبراطور موريس أنهم ينوون الأعتداء عليه، عاد إلى قصره وأمر بحمل ثرواته فى سفينة، وهرب مع زوجته وأولاده إلى بثينيا.

الفصل الثالث بعد المائة

وكان موريس خلال حكمه قد أنجز أعمالاً يستحق عليها الثناء، حيث أبطل ظلم بعض الأباطرة الذين سبقوه.

مرة أحد ربان السفن كان قد غادر الاسكندرية بحمولة مهولة من حبوب المؤسسات الضريبيه، فغرقت السفينة بحمولتها من الحبوب وضاعت فى البحر، فقبض حاكم الإقليم على هذا الربان وأمر بضربه لعدة أيام، ولكنه لم يجد معه نقوداً على الاطلاق .

وأمر الإمبراطور موريس بإطلاق سراح هذا الربان، وبعدها أصدر مرسوماً بمنع عقاب أى ربان غرقت سفينته، وأمر بأن تحسب الخسارة على حساب الخزينة أو الضرائب.

وبعد هروب الإمبراطور موريس تجمع كل الشعب لدى الآب البطريرك، وبعد موافقة كل الشعب توجوا فوكس فى كنيسة القديس يوحنا المعمدان وبعدها توجه إلى القصر.

ثم اختار قواداً وضباطاً وعربات حربية وأرسلهم لمطاردة موريس، وكانت السفينة التى استقلها قد تعرضت للعواصف حتى انقلبت، وأخيراً نجا هو وحده مع أولاده، ومضى إلى جزيرة صغيرة تقع على مقربة من خلقيدونية.

ولما علم الجنود بمكانه، تعقبوه حسب أمر فوكس، وقتلوه مع ابناءه الخمسة، بعدما حكم اثنان وعشرون عاماً.

أما عن الإمبراطورة كونستانتين وبنتيها، وزوجة ابنها ثيؤدوسيوس، فجردوهن من ملابسهن الملكية، وألبسوهن ملابس الخادمات وأرسلوهن إلى دير راهبات.

بعدما أستقر فوكس فى الحكم تماما، أرسل سفراء لدى سوزراوس ملك الفرس، ولكنه رفض استقبالهم، وأظهر حزنه وغضبه لمقتل الإمبراطور موريس.

كان أحد الأعيان وهو الاسكندر(*) رجلاً حكيماً ومحبوباً من كل سكان القسطنطينية، ولكن اتهمه البعض ووشوا به لدى فوكاس، فتبين له أنه كان ينوى قتله ليأخذ الحكم بدلاً منه، لأن هذا (الاسكندر) قد تزوج ابنة موريس.

فأمر فوكاس فوراً أن يقيدوه بالسلاسل مع جؤاديوس، وبعض الأمناء، ومضوا بهم إلى الاسكندرية ليسجنوا. وبعد قليل أرسل إلى جوستنيان حاكم الاسكندرية أمراً بقطع رأس الاسكندر ورفاقه.

(*) ربما خلط المترجم بين الاسكندر وجيرمان الذى كان قد تزوج ابنته ثيوادوسيوس.

الفصل الرابع بعد المائة

وسار رعب وفزع شديدين بين رجال الكنيسة فى إقليم الشرق بسبب الجرائم الكثيرة التى كان فوكاس يرتكبها، ولم يكن مسموحاً لسكان أى إقليم انتخاب بطريركهم أو أى رتبة كهنوتيه بدون موافقته.

وتجمهر رجال الكنيسة الشرقيون فى مدينة انطاكية الكبرى احتجاجاً على هذه الأمور، فخرج الجنود ثائرين بخيولهم.

وتسلحوا للمعركة، وقتلوا عدداً كبيراً من الرجال المتحزبين فى الكنيسة، لدرجة أنهم ملئوا كل الأبنية بالدماء وامتدت هذه المذبحة المريعة حتى فلسطين ومصر.

الفصل الخامس بعد المائة

كان هناك رجل يدعى توفيلوس (ثاؤفيلس) من مدينة ميرادوا فى مصر، وكان حاكماً على خمس مدن خلال حكم فوكاس، ولسبب ما ثار كهنة الإقليم ضده، وعدداً كبيراً من الانصار هاجموه وقتلوه مع رجاله.

واستولوا على الخمس مدن وهى كربلاء، صان، بسطا، بلقا، سنهور، وعندما علم فوكاس بما حدث من مبعوثى البطريرك وهما: داود، أبوناكى، فأظهر غضباً شديداً.

فأرسل أحد قواده وكان قاسياً للغاية ويدعى بونوزى (سوزون) من إقليم الشرق، وكان مثل الضبع المفترس. وخوله سلطه كاملة على الكهنة وأمره أن يتصرف حيالهم كما تصرفوا هم مع غيرهم.

وعندما وصل إلى سيسيليا، جمع هذا القائد عدداً كبيراً من الرجال وتقدم بهم نحو مدينة انطاكية وأخضعهم وأحدث رعباً عظيماً حتى أصبحوا أمامه كالنساء،

ومارسوا ضغوطاً شديدة عليهم بغير رحمة فقد أمر بخنق البعض، وإحراق وإغراق الآخرين وآخرون طرحهم للحيوانات المفترسة، وقتل جماعة الارهابين بالسيف، ومن أراد أن يظهر لهم بعض الرحمة نفاهم طول الحياة، وأمر بتعذيب الرهبان والراهبات.

الفصل السادس بعد المائة

هذه بعض تصرفات فوكاس الوحشية، حيث أرسل إلى إقليم كبادوكيه من يحضر له زوجة هيرقل الكبير (وهى أم ثيؤدور القائد)، وزوجة هيرقل الصغير وابنتها (فابيا) وكانت عذراء.

فى منزل ثيؤدور، وأمر بمعاملتهن بعناية. وكان ثيؤدور من عائلة الإمبراطور جوستينيان، وتبعاً لنصائح كريسب، والفيدوس، حاول فوكاس أن يعتدى على شرف فابيا، ولكنها استخدمت معه حيل نسائيه، إذ عرفته أنها فى فترة العادة الشهرية، وأرته قماشاً مبقعاً بالدماء، فتخلى عنها فوكاس.

وفيما بعد علم هيرقل الكبير بهذه الحوادث، فشكر كريسب، كما لم يؤذ ثيؤدور ولا أتباعه.

الفصل السابع بعد المائة

هؤلاء توجهوا إلى القسطنطينية، وأبلغوا فوكاس بكل ما حدث فقام لوقته ورفع علم الحرب، وقام بتوزيع كثير من الأموال على بربر تربيوليتين، بونتابوليس، وطلب منهم مساعدته على الحرب ثم استدعى مساعده بوناكيس، ومعه ثلاثة آلاف رجل وعدد كبير من البربر وارسلهم إلى بنتابوليس لينتظروا هناك.

وأرسل أيضا إلى نيكتياس ابن جريجور بياتاوة وفيرة إلى مساعد فوكاس، ليونس فى مريوط، وأوصاه أن يقدم الاكرام إلى فوكاس بتسميته عند الكتابه له "ياسيدى".

حقيقة انضم تنكير Tenkera(*) وثيودور وابنا ميناس حاكم الاسكندرية أيام الإمبراطور موريس إلى هرقل سراً ووعدوه بقتل فوكاس، ورد حكومة القسطنطينية اليه، كما أن يعرفوا جيش القسطنطينية به.

أما ثيودور بطريك الاسكندرية الخلقيدونى الذى كان فوكاس قد عينه، فكان يجهل هذه المؤامرة.

لكن يوحنا محافظ الإقليم الذى كان حاكماً شرفياً للقصر وقائداً عسكرياً فى الاسكندرية علم بذلك. وكذا ثيودور المكلف باستلام الحبوب. وهذه الشخصيات الثلاثة كتبوا خطاباً إلى فوكاس يخبروه بهذه المؤامرة. ومن ثم رأينا فوكاس بعد ذلك يتعامل مع هيرقل بكل حرص واشمئزاز.

فأرسل فوكاس إلى حاكم القسطنطينية وطلب منه أن يحلف رسمياً أمامه أنه سيدافع بصدق وإخلاص عن حكومته، وارسله إلى مصر على رأس جيش كبير ليحارب هيرقل، كما أرسل معه إتاوات وفيره إلى الحاكم العسكرى فى منوف، وكذلك إلى بطليموس الحاكم العسكرى فى إتريب والذى صار حاكماً للمدينة بعد ذلك.

وأرسل رسالة أيضا إلى قودمون أو (Cotton) وأمره أن يغادر انطاكية إلى الاسكندرية.

وكان قد أرسل موتس عن طريق البحر من قبل، ومعه أسود وفهود وحيوانات مفترسة أخرى وكان عليه أن ينقلها إلى الاسكندرية. حيث أعاد هو العادة القديمة التى قضى عليها الأباطرة السابقين له، الا وهو القضاء على الحيوانات المفترسة.

كما أرسل أيضا إلى الاسكندرية آلات تعذيب من مختلف الأنواع من قيود حديدية، وأطواق جديد وغيرها.

وأرسل مبالغ طائلة من المال وأيضا ملابس شرقية.

أما بوناكيس قائد هيرقل الكبير فكان ينظر نيكاتياس فى بنتابوليس حسب أمر هيرقل .

وعندما تلقى نيكتياس امدادات من القائد ليونس حاكم مريوط، الذى كان متفقاً معهم، صار أمام حامية مدينة كابسين (غرب الاسكندرية) لم يقلق المتآمرون الحامية ولكنهم أطلقوا سراح المسجونين حتى يرافقونهم. وقبلما يصلوا إلى المدينة كانوا قد دعوا سكانها ليتقدمونهم، ليعلنوا عن الحرب فى أرض القناة المساماة بدراهون أى الديناصور. والتى توجد بالقرب من مدينة الاسكندرية من جهة الغرب.

وتقابلوا هناك مع حاكم الاسكندرية العسكرى عدداً كبيراً من المصريين المسلحين، ووجهوا إليه هذه النصائح قائلين: اسمع لنا، ولا تقاوم، وتجنبنا وكن محايداً حتى تبقى فى مركزك، انتظر حتى ترى من سيكون المنتصر فى النهاية، ونؤكد لك أنه لن يحدث أى أذى، وستصبح بعد ذلك حاكماً لمصر، لأن حكم فوكاس قد انتهى تقريباً.

لكنه رفض اقتراحهم، وأجابهم قائلاً: "سوف نحارب تبعاً للإمبراطور حتى الموت".

ولما بدأت المعركة قتل هذا الأحمق وقطعت رأسه وعلقت فوق حربة وحملت إلى المدينة، ولم يستطع أحد أن يقاومهم بل على العكس إنضم كثيرون فى جانبهم.

وقد اعتزل ثيودور، وحاكم القصر، والمسئول عن القمح فى داخل كنيسة القديس ثيودور الواقعة شرق المدينة.

ومضى ثيودور الخلقيدونى إلى كنيسة القديس انستاسيوس الموجودة على شاطىء البحر، لأنهم كانوا لا يخشون فقد العدو بل أيضا سكان المدينة، إذ كانوا يدافعون عن ميناس مساعد المطران وابن ثيودور الكاهن لكى لا يسلحه أحد إلى بونوز وقت حضوره.

وعندما اجتمع رجال الكنيسة وشعب المدينة شعروا أنهم متفقين برأى واحد، وكان لهم إحساساً واحداً بالكراهية تجاه بونوز الذى كان قد أرسل الحيوانات المتوحشة مع آلات التعذيب. فنزعوا حصيله ضرائب الايرادات من أيدى المسئولين، وقاموا بثورة عامة ضد فوكاس فى الوقت الذى استقبلوا فيه هيرقل بإكرام عظيم. ثم استولوا على قصر الحكومة واستقروا فيه وسمروا رأس الحاكم العسكرى فوق باب المدينة حتى يراها الذين يدخلون والذين يخرجون.

ثم استولوا على كل الثروات الذهبية والفضية وملابس التشريفة التى أرسلها فوكاس إلى بونوز، وأمر فوناكيز باستدعاء المحاربين والجنود الذين كانوا معه.

وفى فاروص قبض على الجنود الذين كانوا فى السفن وأمر بحراستهم حراسة مشددة لأن بونوز علم أن الثوار قتلوا الحاكم العسكرى فى قيصرية فلسطين ثم استولوا على الاسكندرية.

وكان سكان الاسكندرية يقاومون بونوز، ولكنهم متعاطفين مع هيرقل.

ولم يكف بوناكيز عن التقدم بجيشه، حتى إستطاع أن يخضع لسيطرته كل حكام مصر. حتى وصل بونوز إلى مصر، وصادر جماعة الحزب الأزرق، واستولى على أملاك أعيان منوف، فجعلهم غير قادرين على دفع الضرائب وأبتهج الجميع من الثورة التى قامت ضد فوكاس.

وقد قدم سكان نيقيوس، وكذا المطران ثيودور، وكل مدن مصر، شكوى عامة، وكذلك الثوار، لأن الحاكم العسكرى ليوناكيز المعين إجبارياً، كان قاسياً وشريراً "رأس كلب".

وأما حاكم مدينة سمنود، الذى عينه فوكاس، فكان محبوباً من كل سكان المدينة.

وإنضم أيضا إلى كل هؤلاء كوزماس ابن صموئيل، وصديق بولس.

وهو أحد الذين أفرج عنهم من السجن، وكان رئيساً، وكان يحمله إثنين من الرجال، وهو مملوء من الحماس، يطيعه الكل، ويواظب على تدريب قواده.

ورفض بولس الإنضمام إلى حزب هيرقل، ولا أن يقدم شكوى عامة على الثوار، وكان متردداً بسبب قتل مارسيان حاكم أتريب، الذى كان قد إرتبط معه بصداقة. وبقى كل إقليم مصر منقسماً.

ثم ترك بونوز منزل بطليموس، وأرسل سفنه إلى أتريب، وكانت كريستودورا أخت مارسيان تتجسس على الذين كانوا يرفضون حكومة فوكاس، كما رفضت الطلب الذى وجهه هيرقل إليها.

وكانت جيوش مصر والشرق ينتظرون الإنقاذ عن طريق البحر والبر، وكانت السفن تأتى عن طريق فرعى النيل، والجيوش تأتى على الخيول براً من الشرق، لذلك كان بلاتون، وتيودور اللذان يخشيان وصول هذا الأنقاذ، يرقبان ذلك بالقرب من أتريب.

وقد سبقهما بولس، وكوزموس ابن صموئيل.

وقد قام كل من الأسقف ثيودور، وميناس حامل أختام مدينة نيقيوس، بإرسال رسالة إلى الحاكم مارسيان، وإلى السيدة كريستودورا أخت أيزالون، لكى يحثونهما على تحطيم تماثيل فوكاس، والاعتراف بهيرقل.

لكن مارسيان، وكريستودورا رفضا ذلك. خاصة وأنهما علما أن بونوز كان قد وصل بالفعل إلى بيكوران (يقال أنه أصل الاسم Rhinocoruna).

ولما علم رجال بلاتون هذا الخبر، وجهوا خطاباً إلى بوناكيز بالاسكندرية "إحضر حالاً مع فرقك، لأن بونوز وصل إلى الفرما".

وفى اللحظة التى فيها دخل بوناكيز إلى نيقيوس، وبونوز إلى أتريب وجدا جنود مارسيان مستعدين للقتال.

وكانت كريستودورا أخت أيزالون، ورجال كوزموس بن صموئيل موجودين على البر، فسارا فى الفرع الصغير الذى ينفصل عن النهر الكبير حيث تقابلا مع بولس القائد على رأس بعض الفرق.

حينئذ جاء بوناكيز ليهاجم بونوز فحدث إلتحام شرقى مدينة منوف. لكن رجال كوزماس بن صموئيل تغلبوا عليهم والقوا برجال بوناكيز فى النهر. وقبضوا على بوناكيز وذبحوه وقتلوا أيضاً الجنرال ليونس، كواديز، وأسروا عدداً كبيراً من الجنود.

وعندما رأى، بلاتون، وتيودور أن بوناكيز وأعوانه قد قتلوا هربا واختبأ فى أحد الأديرة.

ولما رأى تيودور مطران نيقيوس، وميناس حامل الأختام ما حدث، حملا الأناجيل المقدسة، وسارا لمقابلة بونوز، آملين أن يعفوا عنهما، وعندما رآهما بونوز إصطحب المطران تيودور معه إلى نيقيوس، وأما ميناس فأمر بوضعه فى السجن.

وكان كل من كريستودورا، ومارسيان حاكم أتريب قد أخبرا بونوز أن مطران نيقيوس هو الذى أصر على تحطيم تماثيل فوكاس أمام أبواب المدينة.

وعندما رأى بونوز بنفسه، هذه التماثيل محطمة على الأرض، أمر بقطع رأس المطران. وأما ميناس فأمر بضربه بقساوة وتعذيب مدة طويلة، ثم فرض عليه غرامة

تقدر بثلاثة ملايين قطعة ذهبيــة، ثـم أفـرج عنـه. ولكنـه بعـد مـا نـال تلـك العقوبـة القاسية، مرض منياس بالدوسنتاريا ومات بعد قليل.

وكان بسبب تحريض كوزماس ابن صموئيـل، أيضا أن قام بونـوز على الثلاثة القدامى في منوف وهم: إيزيدور، جوليان، يوحنا وكانوا قد إختبئوا في دير عتريس مع أفلاطون صديق الإمبراطور وتيودور القمص، فـأحضرهم الرهبان لـدى بونوز، الذى أمر بإرسالهم إلى نيقيوس مكبلين بالسلاسل، وبعد أن أمر بضربهم، أمر بقطـع رؤوسهم في نفس المكان الذى قتلوا فيه المطران ولم يكتفوا بذلك، بل ظلوا يبحثون عن الجنود الذين حاربوا في صفوف بوناكيز، وحكم بالنفى على الذى كانوا جنوداً لموريس، وحاكم كل من خدموا تحت راية فوكاس وحكم عليهم بالموت.

وعندما رأى الجنود المحاربين الباقون مـا حـدث، أنسحبوا وإجتمعوا فى مدينة الاسكندرية.

ولما كان أعيان سـكان مصر يكرهـون بونـوز، لذلـك اجتمعـوا لـدى نيكتياس Nicetas قائد هـيرقل، يخبرونـه بكـل مـا فعـل بونـوز، مقدمـين العـون والمساعدة لنيكيتاس.

فجمـع نيكيسيتاس جيشـاً كبيراً مكونـاً مـن جنـود نظـامين، وبربـر، ومواطنـى الاسكندرية، وجماعة الحضر، وبحارة، ورماه رمح مع أدوات حرب قويـة. واستعدوا لمقاومة بونوز فى أطراف المدينة.

وأما بونوز فكان يبحث عن الوسائل التى يمكن أستخدامها فى الاستيلاء على المدينة، ويجعل نيكتياس يقاسى نفس المصير الذى ناله بوناكيز.

وأمر بونوز بولس بمدينة سمنود التحرك والدخول فـى قنـاة الاسـكندرية بالسفن التى كانت ستنضم اليه لكن بولس لم ينجح فى الإقـتراب مـن أطـراف المدينـة، لأن الشعب كانوا يلقونه بالحجارة مما جعل السفن تنسحب.

أما بونوز فجاء على رأس فرقة، وأقام معسكره فـي ميفامونيس التى هـى شبرا الجديدة.

ثم مضى بعد ذلك بكل جيشه إلى (دمكارونى) مقترحاً أن يؤجل هجومه إلى يوم الأحد. وتمت كل هذه الأحداث فى السنة السابعة لحكم فوكاس.

الفصل الثامن بعد المائة

وكان هناك شيخ قديس يدعى (كوفيلوس) المعـترف. وكـان يقيـم أعلـى عمـود على شاطىء النهر منذ حوالى أربعون سنة، موهوباً بروح النبوة.

وكان نيكيتاس يزوره دائمـاً، لأن تيـودور القـائد، ومسـاعده ميناس، وتيـودور رفيقهما، كانوا قد حدثوه عن قداسة هذا الشيخ وفضائله.

فمضى نيكيتاس اليه يسأله بشأن الحرب، ولمـن سـيكون النصـر؟ لأنـه خـاف أن يحدث له ما حدث لوناكيز.

فأخبره القديس قائلاً: أنت هو المنتصر بإذن اللـه، وستنقلب حكومـة فوكـاس. وسيكون هيرقل إمبراطوراً فى هذه السنة.

فآمن نيكيتاس بما تنبأ به الشيخ رجل اللـه، وقال لسكان الاسكندرية: "منذ الآن لاتكفوا عن القتال من فوق أعـالى الأسـوار، ولا تكتفـوا بذلـك بـل إفتحـوا أبـواب آوون، وإمضوا لمهاجمة بونوز".

وكان لما تقـدم قـائد بونـوز ليهـاجم، أن ألقـى عليـه أحـد الرجـال قطعـة حجـر كسرت فكه، فوقع من أعلى حصانه ميتا.

وأصيب قائد آخر ومات أيضا، ولما رأت بقيـة فرقهـم الهجـوم الشـديد عليهـم، أخذوا فى الهرب.

وأمر نيكتياس بفتح البوابة الثانية، التى توجد بالقرب من كنيسة القديس مرقص الإنجيلى. وخرج هو على رأس جيشه ومساعديه البربر، وطاردوا الهاربين من المقاومين، فقتلوا منهم عدداً كبيراً، وساعدهم شعب الاسكندرية إذا كانوا يصدون الهاربين، ويثخنونهم بالجراح، بإلقاء السهام والأحجار عليهم. ولما لم يكن لهم مأوى من القتال، سقطوا فى الماء وهلكوا، إذ كانت المدينة محصنة ضدهم، فكان شمال المدينة غاب مزروع، كسياج من الشوك لوقف الهاربين. وفى الجنوب يقف الجيش المحارب لهم.

وكان الجنود الهاربين أمام الجيش الذى يتعقبهم يرفعون أسلحتهم ضد بعضهم بعضاً، دون أن يميزوا أصدقاءهم .

ثم هرب بونوز مع عدد صغير من الناس، حيث إختبأ فى مدينة كيريون Kerioun.

ولكن مارسيان حاكم أتريب، والقائد ليونز، فالينز، وكثير من كبار الشخصيات، فقتلوا فى المعركة.

وبعدما أدرك نيكيتاس أنه حصل على النصر بفضل صلوات القديسين، وأن جيش بونوز قد هزم تماماً، ولم يتبق سوى عدد ضئيل، أمر برحيل بطليموس، ويوساب، ورؤساء آخرين من حزب هيرقل عن طريق النهر، حتى يجمعوا له محاربين كثيرين من كل مدن مصر، كما يجمعوا له ما يجدوه من أشياء تنفع فى الحرب.

وكان أفراد جماعة الحزب الأزرق كباراً وصغاراً، وكذا الضباط، يساعدون نيكتياس فى الاسكندرية.

ولما علم بولس وزملائه بهذه الأحداث، ظلوا مختبئين فى سفنهم، ثم فكروا فى ترك بونوز والإنضمام إلى نيكيتا بعدما أصبح موقف بونوز ضعيفاً، بينما موقف نيكيتاس كان يزداد قوة كل يوم.

الفصل التاسع بعد المائة

بقى بونوز عدة أيام مع جنوده الذين تبقوا فى نيقيوس. ومدهم ببعض السفن، وحاولوا أن يحطموا عدداً كبيراً من سفن رجال الاسكندرية.

ثم رجعوا بعد ذلك تجاه منطقة مريوط، ومروا فى قناة دراجون فى غرب المدينة، يريدون مضايقة سكان الاسكندرية.

ولم يعلم هذا المسكين أن الأمر مقرر من الله، وأن الله قوى فى الحروب.

عندما علم نيكيتاس بخطة بونوز، أمر بقطع كوبرى مدينة ديفازشير Dafaschir أو ديفاسكير. الذى كان قريباً من كنيسة القديس مينا بمريوط.

ولما علم بونوز ذلك تضايق، وفكر أن يتآمر لقتل نيكيتاس بخيانة، معتقداً أنه بموته يتشتت جيشه! فإستدعى أحد جنوده، وحرضه بأن يتسلل إلى نيكيتاس ومعرضاً نفسه للموت، وأمره أن يأخذ سيفاً صغيراً يخبأه تحت ردائه، ويخرج لملاقاة نيكيتاس، معلناً أنه مرسل من بونوز طالباً الصلح. وعندما يقترب منه يخرج السيف من مخبئه ويضربه فى قلب نيكيتاس ليقتله.

ثم قال له: "إذا نجحت فى الهرب فهذا عظيم، وإذا لم تنجح فإنك تموت من أجل سلامة الأمة! وأنا سآخذ أولادك وأحملهم إلى القصر الإمبراطورى، وسأمنحهم مبلغاً من المال يكفيهم كل حياتهم".

وعلم بهذه الخطة الشنيعة أحد الرجال من أتباع بونوز يدعى يوحنا، ومضى واخطر بها نيكيتاس.

وعندما أخذ جندى بونوز سيفه، وأخفاه تحت ردائه ثم توجه إلى نيكيتاس، أمر نيكيتاس جنوده بإحاطته. ثم جردوه من ملابسه، فوجدوا معه السيف مخبأ، فقطعوا رأسه فى الحال بسيفه.

لما علم بونوز توجه إلى مدينة ديناسكير وقتل فيها عدداً كبيراً من الناس.

وعندما تلقى نيكيتاس هذا الخبر، حتى تتبعه بأقصى سرعة ولكن لما لحقه، كان بونوز قد عبر النهر إلى مدينة نيقيوس. فعدل عن ملاحقته إلى الضفة الأخرى، ولكنه مضى إلى مريوط وترك فيها قوات مهولة لتحرس الطريق، وسارعوا إلى منوف العليا. وعندما إقترب من المدينة رآه رجال بونوز الموجودين بها فهربوا. فدخل وإحتل المدينة. وقبض على أبريز ورجاله، وأشعلوا النيران فى منازلهم وأحرقوا باب المدينة.

وحينئذ هاجم نيكيتاس مدينة منوف بعنف وإمتلكها، وبعدها خضعت له كل مدن مصر.

وعبر نيكيتاس النهر لكى يهاجم بونوز فى مدينة نيقيوس، وعندما علم بونوز قام وهرب أثناء الليل، وغادر مصر ذاهباً إلى فلسطين. لكن سكان هذا الاقليم طردوه، لأنه كان قد مارس ضدهم أعمالاً وحشية كثيرة فيما مضى.

لذلك ذهب إلى بيزنطة لمقابلة "فوكاس" صديقه.

وأصبحت كل أرض مصر، من مدينة الاسكندرية حتى كفر "توفيلس المعترف"، الذى كان قد تنبأ بإرتقاء هيرقل، أصبحت تحت سيطرة نيكيتاس.

ثم قبض على بولس بمدينة سمنود، وكوزماس بن صموئيل ثم عفا عنهما، ولم يقاسيا أى معاملة سيئة. لكن أمر بتوصيلهما إلى مدينة الاسكندرية ليحتجزوا فيها حتى موت بونوز. لكن الصراع الذى كان بين بونوز، ونيكيتاس كان قد سبب لأنصار حزب مصر الأخضر حتى يعذبوا أنصار الحزب الأزرق، فقاموا بالنهب والسلب والقتل علانية.

ولكن نيكيتاس قبض على هؤلاء ووبخهم بشدة، ومنعهم منذ ذلك الحين من ارتكاب مثل هذه الشرور، فأعاد الهدوء والاستقرار بين الفريقين.

وعين حكاماً عادلين فى كل المدن كما قام بتخفيض الضرائب لمدة ثلاث سنوات، ومنع النهب والسرقة فأحبه المصريون وتعلقوا به.

أما بالنسب لحالة الإمبراطورية الرومانية، فيحكى أن ملوك هذا العصر بالاشتراك مع البربر، والشعوب الأجنبية والليريكون، قاموا بسلب وتخريب المدن ونهب الشعوب المسيحية واسر شعوبها. ولم تنجو من أيديهم سوى مدينة تسالونيك فلم يصبها شيئاً، لأن أسوارها كانت قوية، وبفضل حماية الله فإن الشعوب الأجنبية لم تتمكن من الإستيلاء عليها هذا بالرغم ما أصاب بقية الأقاليم حتى أقفرت من السكان.

إتجهت جيوش الغرب بعد ذلك إلى روما، حيث قبضوا على المصريين فيها وسجنوهم. وكذلك الذين كانوا قد غادروا مصر بسبب بونوز مثل سيرج الكافر، وكوزماس الذى كان قد سلم مدينته. هؤلاء الرجال وغيرهم كانوا قد أنكروا الإيمان المسيحى، وجحدوا العماد المقدس، واتبعوا طريق الوثنيين وعابدى الأصنام.

وفى تلك السنين إستولى الفرس على منطقة نهر الفرات، وامتدوا إلى كل مدن إقليم أنطاكية، وخربوا تلك البلاد، ولم يدعو أى جندى رومانى فى هذه المناطق على قيد الحياة.

وقام سكان Tripolitain الإفريقية باستدعاء البربر سافكى الدماء، لأنهم كانوا يعجبون بهرقل ويكرهون فوكاس.

فهاجموا القائد ماردبوس يريدون قتلة، كما هاجموا قائدين آخرين هما "إكليزياروس، وإيزيدور".

ولما جاء هؤلاء البربر، صوبوا كل أسلحتهم نحو إقليم إفريقيا، وإنضموا تحت لواء هيرقل الأكبر.

وأما حاكم تريبوليتان Tripolitoine المدعو كيسيل فلحق بنيكيتاس، حيث أمده بإمدادات قوية لكى يحارب معه ضد بونوز.

وأمر هيرقل الكبير ابنه هيرقل الصغير بالرحيل إلى بيزنطة بصحبة عدداً كبيراً من السفن والبربر، لكى يحارب فوكاس، فى كل الجزر المحيطة، وفى مختلف موانى وشواطىء البحر.

وابحر معه كثير من الشعب وخاصة من الحزب الأخضر.

حتى أن تيودور الشهير وبصحبته عدد كبير من أعضاء مجلس الشيوخ البارزين، تركوا فوكاس، واعترفوا بهيرقل إمبراطوراً. وحذا حذوهم رجال السلطة المدينة، ورجال الجيش الذين كانوا يتبعون فوكاس وخضعوا السلطان هيرقل الكبادوكى.

وصار كل الشعب يلعنون فوكاس دون أن يتعرض أحد لهم.

ونفس الحال كان بالقسطنطينية. وعندما رأى فوكاس هذا، وعلم أن كل الشعب أصبح يهتف لهيرقل، أرسل المركبات الإمبراطورية إلى بونوز الذى كان عليه أن يتقدم نحوه بالجيوش.

ولكن الضباط الامبراطوريين الأخرين، سلموا السفن القادمة من الاسكندرية حاملة قمح مصر إلى القسطنطينية، والتى كان فوكاس قد أمر بالاستيلاء عليها بسبب ثورة شعب الاسكندرية.

الفصل العاشر بعد المائة

وبإيعاذ من نيكيتاس إستقبل شعب الاسكندرية هيرقل لكى يصبح إمبراطوراً، وقام شعب إفريقيا كله يعلنون مزايا هذا الإمبراطور وأنه سيكون نظير أغسطينوس.

وشعب الاسكندرية داخل القصر (اعتقد انهم رجال اسطول الاسكندرية الذين قبض عليهم فوكاس) كانوا يهتفون مثلهم داخل قصر السبعة قلاع الذين سجنوا فيه.

وقامت معركة حربية على شاطىء البحر حيث قتل الرجال راكبى المركبات بونوز، وكانوا يهتفون بحياة هيرقل الصغير ابن هيرقل الكبير، ويعلنون ذلك بصوت جماعى وباللغة اليونانية.

فى الوقت الذى فيه يلعنون كل من بونوز، وفوكاس، ولدى سماع هذه الهتافات قام أنصار الحزب الأخضر مع سكان القسطنطينية المتواجدين داخل سفنهم بالبحر، بتجميع كل سفنهم، ثم طاردوا أنصار الحزب الأزرق، الذين غضبوا بشدة بسبب جسامة المسئوليات التى وقعت على عاتقهم، فإنسحبوا، وإجتمعوا فى كنيسة أجيا صوفية.

وظل أعضاء مجلس الشيوخ والقضاة بالقرب من القصر ينظرون فوكاس. وأما فوكاس، وكبير أمناء القصر ليونس (وهو سورى الأصل وأمين صندوق فوكاس)، فعندما علما أنهم يريدون ذبحهم كما ذبحوا الشرير بونوز، حملا كل ثروات وكنوز الإمبراطورية التى كان موريس قد جمعها، والتى جمعها أيضا بونوز من مصادرة أملاك روساء الرومان الذين أمر بقتلهم، وكذلك ممتلكات بونوز وألقوها فى خضم البحر.

وبهذا أصبحت الإمبرطورية الرومانية فقيرة.

وعلى أثر ذلك أسرع أعضاء المجلس والضباط والجنود، وقبضوا على فوكاس، وخلعوا عنه التاج، وإقتادوه مقيداً بالسلاسل مع كبير الأمناء ليونس، وساروا إلى ناحية كنيسة القديس توماس الرسول، وأوقفوهما أمام هيرقل ثم قتلوهما أمامه.

وأرادوا أن يسخروا من فوكاس، فقطعوا أعضاءه التناسلية، وسلخوا جلده حتى سيقانه، وذلك لأنه كان قد فضح زوجه بوتيوس التى كانت مكرسة للـــه، وأخذها بالقوة وأعتدى عليها، رغم أنها كنت من سلالة مشهورة.

ثم حملوا جثث فوكاس، وليونـس، وبونـوز إلى القسـطنطينية، وأحرقوهـا، وزرروا رمادها فى الهواء أما أعين الشعب الذى كان يكرههم.

وهكذا تم ما تنبأ به البابا بنيامين عن مدينة أنطينوى فى بيزنطة. حيـث لم يـتركوا فيها شبراً واحداً.

ثم قادوا هـيرقل رغمـاً عنـه إلى كنيسـة القديـس تومـا الرسـول وألبسـوه التـاج الإمبراطورى. وبعدما أتم صلاته، جاء إلى القصر حيث كرمه كل العظماء.

وبعد ما إعتلى هيرقل العرش، كتب رسالة إلى هـيرقل الكبير أبـوه، سـجل فيهـا كل ما حدث، وكيف نودى به إمبراطوراً! وكان هيرقل الكبير قلقـا علـى إبنـه بعد رحيله إلى بيزنطة، وكان قد إستولى على قرطاجنة عاصمة إفريقيا، فلما تسلم رسـالة إبنه سعد جداً بها خاصة بعدما علم ما بها من أخبار. وكان قد مر وقتاً طويـلاً سـاد فيه القلق بالكنائس بسبب طول مدة الحرب، وكان قلوب الناس مليئـة بـالقلق بعـد فشل بوناكيز، وقلق هيرقل على إبنه. بعد ذلك مرض هيرقل الكبير وترك هذا العالم حيث مات وهو على عرشه ولم يعرف من يخلفه.

الفصل الحادى عشر بعد المائة

وأصبح تيـودور رئيسـاً للقـواد فى مصـر، وبعدمـا أخبره رسـل تيـودور حـاكم أركاديا بموت يوحنا قائد الشـرطة، أمر بـإعادة كـل الفرق مـن مصر مـع الفـرق الإضافية، حيث مضى بها إلى جزيرة لوكيون Loqyon (يجوز أن المقصود به يوحنا حاكم برقة وذلك بشهادة نيسيفور بطريرك القسطنطينية).

لأن يوحنا حاكم برقة كان قد أرسل جنوداً لمواجهة المسلمين الذين أغاروا على مصر. فى حين كان الإمبراطور هيرقل مازال فى الشرق. ورغم أننا لانعرف بالضبط تاريخ عودة هيرقل إلى عاصمته بعد غزو العرب لسوريا. إلا أننا نعرف أنه كان بالقسطنطينية عام ٦٣٨م. وفى ذلك الوقت عين إبنه هيرقليوناس إمبراطوراً. (ويبدوا أن هناك خطأ فى الافتراض أن يوحنا حاكم برقة جاء إلى مصر قبل وصول العرب اليها. وحدد ثيؤفان الإعتداء على مصر بين عامى ٦٣٤م، ٦٣٦م. اما الكتاب المسلمون عامة فطابقوا حمله عمرو بن العاص مع رحلة الخليفة عمر إلى سوريا فى العام الثامن عشر الهجرى أى سنة ٦٣٩م. ولكن يوجد خلط فى هذا التاريخ).

وكان يخشى بعد ثورة سكان هذه النواحى، أن يستولى المسلمون على شاطىء لوكيون، ويطردوا منها كل الطوائف الدينية التابعين للإمبراطورية الرومانية.

وكان حزن ثيودور أشد من حزن داود على موت شاول وترنيمته الحزينة "كيف سقطت الجبابرة؟ وكيف دمرت كل أسلحة الحرب؟ خاصة وأن يوحنا قائد الشرطة لم يكن الوحيد الذى قتل، بل يوحنا القائد بمدينة ماروس Maros مات فى المعركة أيضا. وكذلك نحو خمسون جندياً كانوا يصحبونه على ظهور الخيل.

وسأذكر باختصار ما حدث أولاً لسكان الفيوم:

كان يوحنا حاكم ماروس ورفاقه المحاربين الذين ذكرناهم، وهم الذين إئتمنهم الرومان على حراسة هذه الناحية. وكانوا قد أقاموا حراساً آخرين بالقرب من صخرة لاهون، ليظلوا بلا إنقطاع فى المراقبة، ولكى يبلغوا قائد الشرطة بتحركات العدو.

ثم أخذوا بعد ذلك عدداً من الخيل، وفرقه من الجنود رماة الرماح وساروا لملاقاة المسلمين، طامعين فى القبض عليهم.

ولكن المسلمون توجهوا ناحية الصحراء، وإستولوا على عدد كبير من الخراف والماعز الموجودة فى الجبل. ولم ينتبه المصريون إلى ذلك.

ثم عندما ظهروا أمام البهنسة هرعت كل الفرق التى كانت مع يوحنا على شاطىء النهر، ومنعوهم هذه المرة من دخول الفيوم.

وعندما علم القائد ثيؤدور بوصول الإسماعيلين، ظل ينتقل من مكان لآخر حتى يلاحظ تحركات العدو.

حينئذ جاء الإسماعيليون، وقتلوا قائد الجيش وكل رفاقه، وتحكموا فى مدينة البهنسة، وكان كل من يقترب منهم يقتل، ولم ينجو أحداً منهم، الشيوخ ولا النساء ولا الأطفال.

وبعد ذلك إستداروا ضد القائد يوحنا الذى أخذ رفاقه مع خيلهم وأختبئوا فى الأماكن المغلقة والزراعات من وجه الأعداء. ثم ساروا أثناء الليل نحو نهر مصر الكبير ناحية أبويط عند أسيوط، آملين أن يكونوا فى أمان.

وكان ذلك كله بأمر الله.

وقد أخبر رئيس الأنصار الذى كان مع جيريمى، جيش المسلمين عن الرومان الذين كانوا مختبئين، حيث لحقهم المسلمون وقتلوهم.

وعندما وصل الخبر إلى القائدان ثيؤدور، أناستاسيوس اللذان كانا حينئذ على بعد إينا عشر ميلاً من مدينة نيقيوس، قاما فى الحال، وذهبا إلى قلعة بابليون، ومكثا فيها، وأرسلا إلى القائد ليونز فى أبويط، وكان رجلاً بديناً ليس له سطوة، ولم يكن على دراية بأمور الحرب.

وعندما رأى القائد ليونز أن الجيش المصرى قارب المسلمين، وكان موقفه حرجاً كان يخرج ثم يرجع مراراً من مدينة الفيوم، لعله يسترجع مدينة البهنسة ولم يقدر، عاد القائد مع نصف الجيش إلى بابليون لكى يخبر الحكام بالموقف.

بينما ظل النصف الأخر مع ثيؤدور. وكان ثيؤدور قد عثر على جثة يوحنا وكانت فى ألقيت فى النهر، فأخرجها بواسطة شبكة بعد معاناة شديدة، وضعها فى صندوق وأمر بتوصيلها إلى الحكام الذين أرسلوها بالتالى إلى هيرقل.

وأما الرومان الذين كانوا لايزالون فى مصر، فكانوا يبحثون عن مأوى فى قلعة بابليون، منتظرين مجيء القائد ثيؤدور حتى ينضموا إليه ليحاربوا الإسماعيليين معاً. وكانوا يطلبون ذلك قبل فيضان النهر وبدء فترة الزراعة التى يتسحيل معها الحرب، لئلا تباد الزروع ويتعرض الشعب للموت جوعاً هم وأولادهم وماشيتهم (وبما أن فيضان النيل فى مصر يحدث فى شهر أغسطس فإن الحوادث السابقة حدثت فى شهر يونية ويولية حيث قامت القوات الرومانية بشن الحرب على عمرو، وذلك بعد ستة أو بسبعة شهور من دخوله مصر وذلك حسب ما ذكره المؤرخ المسيحى أنبا ساويرس مطران الأشمونيين فى كتابه "بطاركة الاسكندرية" حيث قال: أن العرب دخلوا إلى مصر فى الثانى عشر من شهر بؤونة عام ٣٥٧ للشهداء.

الفصل الثانى عشر بعد المائة:

كانت هناك عداوة شديدة قائمة بين القائد العام ثيؤدور وبين الحكام. وبسبب هذه العداوة القائمة أعلن الإمبراطوران ثيؤدسيوس وانستاسيوس غضبهما، ومضيا بأنفسهما معاً على ظهور الخيل إلى آوون، بصحبة عدد كبير من المشاة لكى يشنوا الحرب على عمرو بن العاص.

لم يكن المسلمون يعرفون من قبل مدينة بابليون فتركوا المدن المحصنة وإتجهوا نحو مكان يدعى ثيندوانياس Tendounyas وأبحروا فى البحر (يقع هذا المكان على شاطئ النهر جنوب قلعة بابليون).

وأظهر عمرو حكمة نادرة وأظهر قوة جبارة فى استيلائه على مصر. ولكنه كان قلقاً [illegible]

الشاطىء الشرقى من النهر إلى مدينة تقع على مرتفع تسمى (عين شمس أو آوون).
وكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب الذى كان حينئذ فى فلسطين خطاباً يقول له فيه: "إذا لم ترسل لى إمدادات إسلامية، فلن يمكننى الإستيلاء على مصر.

فأرسل له عمر أربعة آلاف محارباً إسلامياً بقيادة (ابن العوام) الذى كان من جنس البربر.

حينئذ قسم عمرو هذه القوات إلى ثلاثة أقسام:

وضع أحداها بالقرب من تندوانياس. والآخر شمال بابليون مصر. وقاد هو الجزء الثالث بالقرب من مدينة آمون.

ثم أعطى الأمر للقسمين الآخرين قائلاً: "إنتبهوا، فعندما يخرج الجيش الرومانى يهاجمنا، إنقضوا عليه أنتم من الخلف، بينما سنكون نحن أمامه فحينئذ سنتصدى له ونحوطه ونجهز عليه".

وكان عندما خرج الجيش الرومانى من القلعة، وهو يجهل هذه الخطة، لكى يهاجم جيش المسلمين، إنقض عليهم هؤلاء كما خططوا وقامت معركة حامية بين الجيشين.

فهربت القوات الرومانية على السفن بعد ما سحقهم المسلمون واحتل جيش المسلمين مدينة تندوانياس التى ابيدت حاميتها، ولم يتبق منها سوى ثلاثة آلاف رجل كانوا قد هربوا وإختفوا داخل جدران القلعة وأغلقوا أبوابها.

وبعد قليل هربوا فزعين بعد ما شاهدوا المذبحة الكبرى التى حدثت، فاقدوا الشجاعة ويغمرهم الحزن والخيبة، وتوجهوا بالسفن إلى مدينة نيقيوس.

(نلاحظ أن معركة هليوبوليس لم تكن هى المقابلة الأولى بين جيش عمرو والرومان وربما تكون حدثت إضافات من المترجم العربى السابق).

تعليق المترجم الفرنسى

لم يتحدث التاريخ العربى فقط عن بعض المعارك التى حدثت أثناء تقدم الجيش الاسلامى إلى بابليون، ولكن أيضا فى كتاب هذا المؤرخ القبطى يوحنا، أن الجيوش الرومانية كانت قد قابلت أكثر من هزيمة. أما فيما يختص بمعركة هليوبوليس التى ذكرناها، فيبدو أن المسافة كانت كبيرة جداً بين هليوبوليس وبابليون، لكى تكون ساحة للمعركة يمكنها أن تضم مساحة المثلث المكون لخطة جيش المسلمين.

فكانت خطة القائد العربى مناورة للتقدم فصارت له هذه المنطقة جزء قابل للأحتلال. وكانت مدينة هليوبوليس قد تجردت من مجدها القديم، ويبدو أنها لم يكن لها أى إهتمام إستراتيجى فى ذلك العصر، مع أنها تقع على مرتفع.

وكما سنرى فى الفصول التالية أن المسلمين أصبحوا سادة على بابليون فيجب أن نفترض أن اسم تندوانياس أن لم يكن إسماً آخر لمدينة بابليون نفسها، فهو يشير إلى الحى الجنوبى للمدينة، وكان مستقلاً عن القلعة حسب ما ذكر فى هذا التاريخ الذى بين أيدينا. ونرى فى كتب أخرى يحدث خلط بين قلعة بابليون والمدينة نفسها. وسنقرأ فى جزء من الفصل ١١٥ مايلى. "كيف أن المسلمين أستولوا على مصر فى العام الرابع عشر، وأخذوا قلعة بابليون فى العام الخامس عشر.

الفصل الثالث عشر بعد المائة

بعدما إستولى المسلمون على مقاطعة الفيوم، طلب عمرو من أباكير بمدينة دلاس Deles (تقع بأقليم بهنسة على بعد سبعة فراسخ جنوب ممفيس)، أن يحضر السفن من الريف Rif لينقل الاسماعيليين على الضفة الشرقية والتى كانت غرب النهر.

وكان عمرو يجمع كل جيشه حوله حتى تيسر له أن يقوم بحملات متعددة.

فأرسل أمراً إلى الوالى (جورج) بأن يشيد له كوبرى على قناة مدينة قليوب، ليمكنه غزو باقى مدن إقليم مصر.

وكذلك مدن أتريب، وكرداسة. وبدأ الحكام فى مساعدة المسلمين، فأستولوا على اتريب ومنوف وكل أراضيها.

وأمر عمرو أيضا بإنشاء كوبرى ضخم قرب مدينة بابليون المصرية، لكى يمنع عبور السفن المتجهة إلى نيقيوس، والاسكندرية، ومصر العليا. وحتى يمكن للخيول أن تعبر بسهولة من الضفة الغربية للنهر إلى الضفة الشرقية. وهكذا أخضعوا بهذه الطريقة كل مدن إقليم مصر .

ولم يكتف عمرو بهذا، بل أنه قبض على القضاه الرومان، وقيد أيديهم وأرجلهم بالسلاسل والأوتاد الخشبية، ونهب أموالاً كثيرة، وقام بمضاعفة الضرائب على الفلاحين، وأجبرهم على إحضار، عليقة لخيوله، وبالإجمال مارس كل أعمال العنف.

أما الروم، فقام الضباط المساعدين للحاكم فى نيقيوس بالذهاب إلى الاسكندرية بعدما تركوا دومنتيانوس فى نيقيوس مع عدد قليل من القوات لحراسة المدينة.

وأرسلوا أمراً إلى دارس Dures الحاكم الأعلى لمدينة سمنود، بحراسة النهرين (أى الدلتا التى يظهر منها الجزء الأعلى وقتئذ ويبدوا أن المسلمون كانوا قد أغاروا عليها وإحتلوا منوف فعلاً).

فحدث ذعر فى كل مدن مصر، وهرع السكان يهربون إلى الاسكندرية تاركين ممتلكاتهم وثرواتهم وماشيتهم.

الفصل الرابع عشر بعد المائة

بعدما صحب المسلمون، المصريين الذين تركوا المسيحية واعتنقوا ديانة (هؤلاء)،

وكان يسمون عبيد المسيح (أعداء الله).

ثم ترك عمرو فرقاً عديدة من جيشه فى قلعة بابليون، وتقدم محازياً الشاطئ الشرقى نحو منطقة النهرين، لكى يهاجم الجنرال ثيؤدور.

وأمر ثيؤدور القائدين يكبرى، ساتفارى أن يرحلا بسرعة حتى يحتلا مدينة سمنود ويعترضا المسلمين.

وعندما لحقوا بفيلق الشرطة، رفضت كلها محاربة المسلمين، فشنوا هم المعركة، وقتلوا عدداً كبيراً من المسلمين ومن معهم. ولم يستطع جيش المسلمين هذه المرة إزعاج المدن الواقعة على أراضى ما بين النهرين، لأن المياه التى تحيط بها كانت بمثابة حواجز تمنع الخيول من الإقتراب، فتركهم الجيش واتجهوا نحو الريف، فوصلوا إلى بوصير، وحصنوا المدينة وكذلك الأماكن التى كانوا قد إستولوا عليها من قبل. فى هذا الوقت، توجه الجنرال ثيؤدور بنداء إلى خالادجى وترجاه بإلحاح قائلاً "عد إلينا وإنضم إلى صفوف الرومان" ولكان خالادجى كان يخشى أن يقتلوا والدته وزوجته اللتان كانتا مختبئتان فى الاسكندرية، لذلك أعطى لثيؤدور مبلغاً كبيراً من المال، فطمأنه ثيؤدور.

بعد ذلك رحل خالادجى مع رجاله، أثناء الليل، بينما كان المسلمون نائمون، وجاء سيراً على الأقدام إلى معسكر الجنرال ثيؤدور، ثم لحق بدومنتيانوس فى مدينة نيقيوس لكى يحارب ضد المسلمين.

وحدث أيضاً أن آخر أسمه "سابيندس" جاءته فكرة إستحسنها، وهى أن يهرب من أيدى المسلمين أثناء الليل، فقام ومضى إلى دمياط حيث الجنرال يوحنا الذى أرسله بدوره إلى الاسكندرية بخطاب حيث تقدم إلى الحكام معترفاً بخطئه وسكب دموعاً غزيرة قائلاً لقد تصرفت هكذا لأن يوحنا أهاننى، فقد صفعنى دون إعتبار

لسنى، ولذلك إنضممت إلى المسلمين بإخلاص، أنا الذى خدمت الرومان منذى قبل.

الفصل الخامس عشر بعد المائة

ظل عمرو قائد المسلمين يناضل إثنى عشر عاماً ضد المسيحيين فى شمال مصر، دون أن ينجح فى فتح أقاليمهم. وفى العام الخامس عشر (نحو سنة٦٤٢م) أثناء فترة الصيف تقدم نحو سخا Taukha، ميت دمسيس Damsus، وكان قلقاً آلا يسحق المصريين قبل فيضان النيل.

لكن كان من المستحيل أن يقبل على عمل مثل هذا ضدهم، وكان قد صد فى دمياط من قبل بعدما أراد أن يحرق ثمار الحقول بها.

لذلك مضى ليلحق بقواته الموجودة فى قلعة بابليون مصر، وسلمهم كل الغنائم التى حصل عليها بالاسكندرية.

(وحقيقة ذلك أن المسلمون قاموا بسلب ونهب وتخريب منازل سكان الاسكندرية الذين كانوا قد هربوا. فأخذوا ما تخلف من الخشب والحديد) وأمر عمروا ببناء ممراً يربط قلعة بابليون بمدينة النهرين التى أمر بحرقها. وعندما أبلغ السكان بالخطر، حملوا ممتلكاتهم وهربوا، وتركوا المدينة حيث اشعل المسلمون النار فيها. ولكن عاد السكان وأطفأوها ليلاً.

فإستدار المسلمون بعد ذلك إلى المدن الأخرى، فجردوا المصريين من أملاكهم، ومارسوا ضدهم أعمال العنف.

ولم يقدر الجنرال ثيؤدور ولا القائد دومنتيانوس على إساءة معاملة سكان المدينة (ربما المقصود مدينة بابليون التى خضعت للعرب) بسبب المسلمون المتواجدين فيها.

بعدما غادر عمرو الوجه البحرى، مضى لشن حرباً على الريف، فأرسل فريقاً صغيراً من القوات إلى أنتنوى Antinoe وعلم أن الرومان ضعف موقفهم بسبب عداوة الشعب للإمبراطور هيرقل، بسبب الإضهاد الذى أثاره ضد الأرثوذوكسية فى كل مصر، بتحريض من البطريرك الخلقيدونى كيروس. حينئذ أصبح المسلمون أكثر شراسة وأشد قوة فى المعارك!.

وإستطاع أهل مدينة أنتينيو أن ينقذوا حاكمهم بمعونة يوحنا. ولكنهم لما عرضوا على يوحنا محاربة المسلمين رفض ذلك لأنه كان يعرف أنه لم يكن فى حالة تسمح له بالمعركة ضدهم، لذلك ترك المدينة ومضى إلى الاسكندرية حاملاً كل ضرائب المدينة التى جمعها، وكان يخشى أن يناله ما حدث لحامية الفيوم.

وفى الحقيقة كان كل سكان هذه المنطقة قد خضعوا للحكم الإسلامى، ودفعوا لهم الجزية، بل كانوا يقتلون كل جنود الرومان الذين يقابلونهم.

ولما كان بعض جنود الرومان موجودين داخل حصن بابليون لذلك حاصرهم المسلمون وحطموا الأسوار، واستولوا على ما معهم من آلات، وأجبروا الباقين على ترك الحصن. ثم حصنوا قلعة بابليون، وأستولوا أيضا على مدينة نيقيوس، وأستقروا بها.

الفصل السادس عشر بعد المائة

كان هيرقل قد أصيب بحزن عميق بعد موت يوحنا رئيس الشرط، وموت يوحنا القائد. اللذان قتلهما المسلمون، وكذلك بسبب هزيمة الرومان فى مصر.

وبحسب أمر الله الذى شرع موت الكل حتى الرؤساء والقواد والملوك...، فقد سمح أن يمرض هيرقل بالتهاب حاد ومات فى السنة الواحد والثلاثين بعد حكمه فى شهر ياكاكيت عند المصريين (وهو الاسم الأثيوبى لشهر أمشير الذى يقابل شهر

فى السنة الرابعة عام ٣٥٧م من موت دقلديانوس قيل أنه مات لأنه قد صك قطعة ذهبية تحمل وجه ثلاثة أباطرة أى وجهه هو ووجوه أثنان من أبنائه، أحدهما عن اليمين والآخر عن اليسار، لدرجة لم يجدوا مكاناً لكتابة اسم الامبراطورية الرومانية. لذلك بعد موته محوا هذه الوجوه الثلاثة! وبنفس الطريقة وجدت عملات مصور عليها وجه هيرقل وأبناه الإثنان، بدون كتابة مطلقاً على ظهرها وقد صكت ما بين عامى ٦٣٨-٦٤١م.

وبعد موت هيرقل الكبير ابعد بيريس Pyrhu بطريرك الاسكندرية الخلقيدونى مارتين إبنة أخت الإمبراطور وأبنائها. وعين كونستانتان إبن الإمبراطورة يودوس Eudocie، إمبراطوراً خلفا لوالده. وعومل القيصرين بكل تبجيل وإحترام.

بعدئذ قبض كل من داود ومارين على بيريس البطريرك الرومانى الخلقيدونى ونفياه إلى جزيره فى إفريقيا الغربية ولم يعلموا أى أحد بذلك. ولكن كان هذا تحقيقا لنبوات أحد القديسين التى لابد أن تتم.

وكان ساويرس الكبير بطريرك أنطاكية قد كتب إلى النبيلة (كويسارى) يعلمها بانه لايمكن أن أحداً من أبناء أى إمبراطور رومانى يرث عرش أباه، طالما سلالة الخلقيدونيين تحكم العالم.

ومع أن هيرقل فى وصيته كان قد قرر أن كونستانتان ابنه البكر سيحكم مع هيراقليوناس ابن مارتين، وكان البطريرك بيريس نفسه أيضا يرعى مصالح الإمبراطورة وأولادها الا أن بيريس عوقب لأنه حاول أن يتصرف بخلاف نبؤة ساويرس.

بعدما إعتلى كونستانتان ابن هيرقل العرش، حتى أمر بجمع عدد كبير من السفن سلمها لاثنين من رجاله هما كيريوس، سلاكيريوس (ربما يكونا إسمان محرفان) وأرسلهما إلى البطريرك سيرس لكى يحضراه اليه ليتشاورا معه.

وأوصى الجنرال... إن يدفع الجزية للمسلمين، وأن يكافح قدر ما يستطيع، والا يمكنه أن يعود إلى العاصمة فى عيد القيامة المجيد ولكون هذا كله عبئا على كل سكان القسطنطينية ليشاركوا فيه.

وأرسل الإمبراطور أيضاً إلى انستاسيوس، حتى يترك ثيؤدور يحرس مدينة الاسكندرية، وأن يعود هو.

وأعطى ثيؤدور بريقاً من الأمل بأنه سيرسل له فى الصيف القادم كثيراً من القوات ليتيسر أن يقاتل المسلمين.

وقبلما يعدون السفن لترحل تبعاً لأوامر الإمبراطور، مرض كونستانتان مرضاً خطيراً، جعله يتقيأ دماً، حتى نفذ كل دمه ومات.

وقيل أنه مرض لمدة مائة يوم، أى خلال فترة حكمه منذ أن مات أباه هيرقل، كان الناس يسخرون من الإمبراطور هيرقل وإبنه كونستانتان.

حدث أن تجمع من جيناس Gainas فى كنيستهم الواقعة فى مقاطعة ديفاشكير بالقرب من كوبرى القديس بطرس الرسولى، وأرادوا الإساءة إلى شخص البطريرك سيرس، الذى فى عصر الاضطهاد كان قد سلب من الكنائس كثيراً من الثروات، وبدون إذن القضاة.

وقد علم يودوسيانوس أخو دومانتيانوس بهذا التجمع فأرسل قواته إلى الثوار، وأمرهم بإطلاق السهام عليهم، وبذلك منعهم من تنفيذ خطتهم.

وقد أصيب بعض هؤلاء الناس بإصابات وحشية وماتوا، تحت تأثير الجراح. شخصان آخران قطعت أيديهما بدون محاكمة. ونادى منادى فى المدينة. على كل أحد أن يمضى إلى كنيستة وألا يرتكب أحداً أعمال العنف نحو الآخر!!.

ولكن الله حامى العدل لم يتخل عن العالم وإنتقم للمظلومين، ولم يرحم الله الذين قاموا بتركهم الإسماعيليين

وحدث أن قام المسلمون بالمعركة وأخضعوا كل أرض مصر.

وبعد موت هيرقل، عاد البطريرك كيرس ولم يفتر من أن يقسو على قطيع الله ويضطهده مضاعفاً أعمال العنف.

الفصل السابع عشر بعد المائة

وأقام عمر قائد جيش المسلمين معسكره أمام قلعة بابليون، محاصراً القوات التى كانت مختبأة فيه، وكانوا قد حصلوا على وعد منه بأن ينقذ حياتهم نظير أن يتركوا كل معداتهم الحربية الضخمة.

فأمرهم بأن يخرجوا من القلعة، حيث حملوا معهم كمية صغيرة من الذهب ورحلوا من البلاد. وبهذه الطريقة أخذت بابليون المصرية للمسلمين فى اليوم التالى لعيد القيامة.

هكذا عاقب الله الناس الذين لم يمجدوا محبة مخلصنا وربنا يسوع المسيح، الذى وهب الحياة للذين يؤمنون به، وجعلهم يهربون أمام أعدائهم.

وفى ذات يوم عيد القيامة المقدس، عندما أفرج عن المسجونين أعداء يسوع من الروم الأرثوذكس، لم يدعوهم دون تعذيب، فقد جلدوا البعض، وقطعوا أيدى الآخرين.

وفى هذا اليوم الذى هو يوم عيد، كان هؤلاء البؤساء ويئنون من الألم والجراح، وكانت دموعهم تبلل وجوههم، وأبعدوا بكل إحتقار. وحقيقة أن هؤلاء كانوا قد نجسوا الكنيسة بعقيدتهم الفاسدة، وإرتكبوا كل الجرائم والشرور التى للأريوسيين، أكثر مما لم يفعله الوثنيون ولا البربر، فقد إحتقروا المسيح وخدامه، ولم نجد مثل هؤلاء الأشقياء فى كل من عبدوا المقدسات الخاطئة.

لكن الله بطول أناته، كان يسامح هؤلاء المرتدين والهراطقة، بسبب قساوة الأباطرة وجبروتهم عليهم.

فقبلوا مرة أخرى، لكل من رجع عن شره.

فالله يتصالح مع الذين ظلموا، ولكنه يعطى كل واحد حسب أعماله. لذلك كان خير لنا أن نحتمل بصبر التجارب والآلام والإضطهاد الذى يعاقبنا به.

وفى نفس الوقت الذى كان هؤلاء الملحدون، ظنوا أنهم بهذا يكرمون ربنا يسوع المسيح! مع أنهم إضطهدوا الذين لم يقفوا معهم فى عقيدتهم.

نسأل الله من أن يحفظنا أن نتصالح مع هؤلاء المخالفين لأنهم ليسوا خدام المسيح، ولو أنهم اعتقدوا فى أنفسهم هكذا.

الفصل الثامن عشر بعد المائة

وأصابت حوادث إستيلاء المسلمون على قلعة نابليون، وعلى مدينة نيقيوس الرومان بفجع وحزن بالغين. وبعدما إنتهى عمرو من المعركة، دخل قلعة نابليون، ثم جمع عدداً كبيراً من السفن على إختلاف أنواعها، وأوثقها بالقرب من الحصن الذى استعمره.

وكانا كل من ميناس قائد الخضر، وقزماس ابن صموئيل قائد الزرق وقد حاصرا مدينة مصر ولكن الحامية الرومانية كانت قد أنهكت قواها فى عهد المسلمين. ولكن جاء بعض المحاربون بالضفة الغربية بسفنهم، وطافوا بها بكل جسارة أثناء الليل.

وكان عمرو وجيش المسلمين يسيرون براً بخيلوهم حتى وصلوا إلى مدينة كبرياس عبديا Kebry as l''Abdeya. وفى طريقهم هاجموا الجنرال دومنتيانوس الذى لما علم بوصول جيش المسلمين، ركب سفينة وهرب تاركاً الجيش

والأسطول، ولما حاول المرور فى القناة الصغيرة التى كان هيرقل قد حفرها أثناء حكمة. لكنه وجدها مغلقة، فمضى إلى الاسكندرية.

وعندما رأى الجنود الرومان أن قائدهم هرب، ألقوا بأسلحتهم وإندفعوا إلى النهر أمام الأعداء، فقتلهم المسلمون وسط النهر، ولم ينجو منهم أحد الا واحد ويدعى زكريا لأنه كان محارباً شجاعاً.

وبعد دمار الجيش، هرب أيضا ربان السفن، وعادوا إلى أقاليمهم.

وأستولى المسلمون أيضاً على نيقيوس، ولما دخلوها لم يجدوا بها ولا جندياً واحداً لمقاومتهم.

وكانوا يذبحون كل من قابلهم فى الشوارع أو فى الكنائس، رجالاً ونساءً وأطفال بدون رحمة. ثم ذهبوا إلى أماكن أخرى حولها وخربوها، وقتلوا من كان بها.

وقابلوا اسكواتاؤس ورجاله، فى مدينة صا الذين كانوا من عائلة ثيؤدور القائد الذين كانو مختبئين فى مزرعة كروم فذبحوهم.

والأفضل أن نصمت الآن، لأنه من المستحيل أن نقص هول ما حدث من الجرائم التى إرتكبها المسسلمون عندما إحتلوا جزيرة نيقيوس يوم الأحد، فى اليوم الثامن عشر من شهر جويمبوت guembot فى العام الخامس عشر من الحول.

هذا بخلاف المشاهد البشعة التى حدثت فى قيصرية فلسطين (وهذا ما يقابله ٢٥ مايو عام ٦٤٢م) (يظهر من النص أن الاستيلاء على قيصرية فلسطين حدث بعد إحتلال قلعة بابليون أى بين شهرى مايو وأغسطس سنة ٦٤١م بعد حصار دام سبع سنوات وقتل فيها نحو سبع مائة رومانى) وكان ثيؤدور حاكم مدينة كيلواناس قد غادر هذه المدينة، وترك فيها حامية تحت قياده إتين لحراستها ولصد المسلمين. ومضى هو إلى مصر.

وكان هناك أحد اليهود، الذى رافق المسلمين إلى مصر. وبعدما أسقط المسلمون أسوار مدينة قيصرية فلسطين بعد جهد كبير، وإستولوا عليها ثم قتلوا آلاف من السكان والجنود، وحصلوا على غنيمة كبيرة، وأسروا نساءً وأطفالاً، وكان يتقاسمونهم. ثم تركوا المدينة خالية تماماً وبعد ذلك مضوا إلى قبرص، حيث قتلوا إتين ورجاله.

الفصل التاسع عشر بعد المائة

وكانت مصر فريسة لإبليس، إذ كان هناك إنشقاق كبير يسود سكان الوجه البحرى وكانوا منقسمين إلى فريقين: أحدهما كان مع ثيؤدور والأخر يريد الإنضمام للمسلمين.

وكان أنصار أحد الفريقين ينقض على أنصار الفريق الآخر فيسلبون ثرواتهم ويحرقوا مدنهم، وكان المسلمون يخشون هؤلاء. لذلك أرسل عمر إلى الاسكندرية عدداً كبيراً من المسلمين، فأستولوا على قرية كيريوون Kerioun التى كانت ضمن حامية ثيؤدور، فإنسحبت حاميتها إلى الأسكندرية.

وقام المسلمون بمهاجمة مدينة الاسكندرية، ولكنهم لم يتمكنوا من الإقتراب منها، فكانوا يلقون عليهم بالأحجار من أعلى الأسوار حتى صدوهم بعيداً عن المدينة.

(إستغرق حصار الاسكندرية نحو ١٤ شهراً ولايمكن الاعتقاد أن المسلمون حاصروا المدينة فترة كهذه من الزمن).

فى هذا الوقت كان سكان إقليم مصر فى حالة حرب مع سكان الوجه البحرى إذ كانت بينهما عداوة.

وبعدما إنتهت هذه العداوة، تصالحوا بعد فترة من الزمن، ولكن أثار إبليس خصومة أخرى بمدينة الاسكندرية. وكان أساس هذه الخصومة، معاداة ميناس القائد للحاكم دومنتياس، لطمع كل منهما فى الحكم.

وكان القائد ثيؤدور يتحيز لميناس، وكان غاضباً على دومنتياس منذ أن هرب هذا الأخير من نيقيوس وقد تخلى عن الجيش.

وأما ميناس فغضب أيضاً من أودوسيانوس الأخ الأكبر لدومنتيانوس، لأنه كان قد قام بأعمال عنف على المسيحيين بسبب عقيدة (الخلقيدونيين) خلال فترة أسبوع الآلام المقدسة.

وظل دومنتيانوس فى عداوة مع ميناس، فجمع دومنتيانوس فرقا كبيرة من أتباع الحزب الأزرق، كذلك ميناس جمع أشخاصاً كثيرين من الحزب الأخضر كانوا موجودين بالمدينة.

وفى هذه الأثناء وصل فيليادز حاكم أركاديا إلى الأسكندرية، وكان دومنتيانوس، خصماً للبطريرك كيرلس، الذى لم يعترف له بأى نوع من الإكرام، وكان يكرهه بلا سبب، مع أنه كان أخو زوجته، وكان من قبل تربطهما صداقة قوية.

وأما ميناس فكان من ناحية يريد أن يحمى فيلياديز ومن ناحية أخرى يريد أن يقوم بأعمال محبة كلها إكرام للوقار الكهنوتى.

وكان ميناس يدعو دائماً فيليادز لأنه كان أخو البطريرك جورج (الذى كان سابقاً لكيرلس).

وكان منياس كريماً ومحسناً وتقياً، وكان يشفق على المظلومين. وفى نفس الوقت كان فيليادز غير مخلص للصداقة، وكانت طبيعته فاسدة لأنه كان يدبر

فمثلاً عندما كان هذا الشرير يناقش موضوع تغطية رصيد القوات (تسمى Mamouna) وما حدد لها من أرض فقال : بدلاً من ١٢ فرد، من الأفضل أن يكون واحداً فقط ينال رصيد الاثنى عشر، كما أن المصروفات والمؤن، والمرتبات ستكون أقل حينئذ.

وجد مينا إذاً في هذا الموضوع علة ضد دومنتيانوس الذى كان محبوباً من جنوده، لأنه كان يحاول أن يكسب تقدير الكل، حكمة منه وتواضعاً، وليس رغبة في مجد باطل.

وأثناء وجوده بكنيسة سيزاريون الكبرى مع مجموعة من المؤمنين، ثار سكان المدينة ضد فيلاليادز وأرادوا قتله. فهرب وإختبأ في منزل.

حينئذ إتجه الثوار نحو منزله، وأشعلوا النار فيه، وسلبوا كل ثرواته ولكن كانوا يحتفظون بالأشخاص الذين يقاهلونهم فيه.

بعد هذه الحوادث أرسل دومنتيانوس أنصار الحزب الأزرق ضدهم، فقامت معركة عنيفة بين الفريقين، فقتل ستة رجال وعدداً كبيراً من الجرحى.

وبعد جهود كبيرة إستطاع ثيؤدور أن يحقق السلام بينهم بعدما عزل الجنرال دومنتيانوس وعين بدلاً من أرتانا ديكوريون أى قائد العشرة أنظمة. وأعادوا كل ما سلب من منزل فيلياديز . وقيل أن أسباب هذه الثورة الدموية كانت إنشقاقات دينية.

بعد موت كونستانتان ابن هيرقل، أقاموا على العرش هيرقل أخوه (وكان من إمرأة أخرى) ولكن ما يزال طفلاً فلم يستطع أن يزاول السلطة مثل أخوه المتوفى.

ولما رأى البطريرك بيريس Pyrehus أن هيرقل حصل على التاج، وهو ما يزال طفلاً، بينما هو نفسه كان في المنفى، فإنه بعد إعتلائه العرش بإرادة مجلس الشيوخ،

وبإيعاذ من أمه مارتين، ألغى المرسوم الذى أتخذه أخوه كونستانتان والأباطرة أسلافه، وإستدعى بيريس من المنفى.

(هذا المرسوم كان بسبب إيهام فيلاجيوس، أمين الصندوق الظالم، الذى بفعلته أصبحت الكنائس فى ضيقة، وأوقفت السخاء الذى كانت الأباطرة معتادين عمله، كما رفع الضرائب، والذى جعل من البطريرك نيريس خصماً للإمبراطورة مارتين وأولادها).

بعد ذلك قام الإمبراطور بإعادة كيرلس، وإرساله إلى الاسكندرية، وكذلك القسوس الذين صاحبوه، إعطائه سلطة كاملة، وعقد الصلح مع المسلمين، وألا يقاومهم، وأن يضع نظماً مناسبة لمصر.

وقد دخل معه قائد الجيش كونستانتان الذى كان رئيساً للشرطة.

ثم استدعى الإمبراطور الجيش من ثراس إلى القسطنطينية، وأمر بنفى فيلاجيوس الصراف إلى إفريقيا، حيث كان بيريس منفياً من قبل. حينئذ حدث سخط كبير وثورة فى المدينة ضد مارتين وأولادها، بسبب نفى فيلاجيوس الصراف الذى كان محبوباً جداً.

الفصل العشرون بعد المائة

لم يكن كيرلس البطريرك الخلقيدونى يرغب وحده فى الصلح، ولكن الشعب كله، والحكام، ودومانتيانوس الذى كان محبوباً لدى الإمبراطورة مارتين، وإجتمع كل هؤلاء وتشاوروا مع البطريرك كيرلس، لعقد الصلح مع المسلمين.

وكان كل الكهنوت يرفض حكومة هيرقل الصبى الصغير، وكانوا يقولون أنه ليس من العدل أن يشغل العرش إمبراطوراً، منحدراً من الإتحاد المرفوض (إتحاد

هيرقل ومارتين إبنة أخيه) وأن الإمبراطورية يجب أن تعود إلى أولاد قسطنطين التى جاءت من أودوسيس، وألغوا وصية هيرقل القديم.

وعندما رأى فالنتين أن كل الناس كان يكرهون مارتين وأولادها، أخذ مبالغ كثيرة من المال الخاص بثروة إمبراطورية فيلاجيوس، وقام بتوزيعها على الجيش، وحرض بالقيام ضد مارتين وأولادها.

حينئذ كف القواد عن محاربة المسلمين، وإلتفوا حول شعبهم. ثم أرسلوا سراً رسولاً إلى جزيرة رودس، لحث القوات الذين فيها والذين جاءوا مع البطريرك كيرلس، على العودة ثانية إلى العاصمة.

وطلبوا من ثيؤدور حاكم الأسكندرية أن يقول: "لا تسمعوا لقول مارتين، ولا تنفذوا أوامر أولادها".

وأرسلت إلى بلاد إفريقية وكل الأقاليم التابعة للإمبراطورية الرومانية، رسائل مشابهة لذلك.

وكان الجنرال ثيؤدور سعيداً جداً بهذه الأخبار، وقد إحتفظ بها فى أول الأمر سراً، ثم رحل من جزيرة رودس أثناء الليل مختفياً عن أعين الناس متجهاً إلى بنتابوليس، ولم يعرف أحداً إلا قائد الأسطول وحده الذى لما عرف خطته رفض توصيله، زاعماً أن الرياح مضادة لهم.

فوصل إلى الأسكندرية فى ليلة اليوم السابع من شهر مسكارام (سبتمبر) أى يوم عيد الصليب المقدس.

فأسرع كل شعب المدينة، رجالاً ونساءً، شباباً وشيوخاً نحو البطريرك كيرلس وأظهروا فرحهم بعودته.

وتوجه ثيؤدور سراً مع البطريرك إلى كنيسة تابيونسيوتس، وأمر بغلق بابها. ثم أرسل فى إحضار ميناس، وعينه قائداً، وطرد دومنتيانوس من المدينة وكان كل الشعب يصيحون: "أخرج من المدينة".

وكان البطريرك جورج، الذى عينه هيرقل الصغير، يعامل بإهتمام بالغ أنستاسيوس الحاكم، وذلك قبل وصول البطريرك كيرلس. والآن أصبح شيخاً وقد إمتدت سلطته إلى كل الأعمال لدرجة أن البطريرك نفسه ترك له سلطته. (يمكن أن نعتقد أن هذه الشخصية ليس إلا قمصاً مدبراً كان يدبر كنيسة الاسكندرية أثناء غياب كيرلس وأن هيرقل هنا ليس الصغير بل الكبير).

وعندما مضى البطريرك كيرلس إلى كنيسة سيزاريون الكبيرة إستقبلوه بالتراتيل والمدائح كرامة له، وفرشوا له الطريق بالسجاد، وكان المستقبلون عدداً كبيراً جداً لدرجة داس بعضهم بعضاً، فلم يقدروا أن يسلكوا طريقهم إلى الكنيسة الا بشق الأنفس. ثم بعد دخوله الكنيسة، أمر بفتح المقصورة التى يوجد بها الصليب المقدس الذى كان قد تسلمه قبل نفيه، من الجنرال يوحنا وكان أيضا قد نقله من دير تابيونسيوتيس.

وكان ذلك اليوم يوم عيد القيامة، حيث بدأوا فى إقامة القداس وبدلاً من أن يرتلوا مزمور هذا العيد وهو "هذا هو اليوم الذى صنعه الرب فلنفرح ونبتهج به" لكن الشماس رتل ترنيمة أخرى لم تكن ضمن المكتوب، وذلك لكى يحتفل بالبطريرك ويهنئوه على عودته.

وعندما سمع الشعب هذه الترنيمة، الخارجة عن المألوف فى هذا اليوم، قالوا أن ذلك ليس فالاً حسناً بالنسبة للبطريرك كيرلس، لأنه فى تلك الحالة سوف لايحضر عيد القيامة مرة أخرى بالأسكندرية.

وهكذا قال كل الحاضرون من المؤمنين والرهبان وغيرهم، كأن هذا القول أصبح تنبؤاً فصاحوا قائلين: "أنه تصرفاً مخالفاً لطقوس الدين". وحتى الذين كانوا يسمعون ما قيل لم يشاءوا أن يصدقوا.

بعد ذلك توجه البطريرك كيرلس إلى بابليون حيث تقابل مع المسلمين لكى يطلب منهم الصلح، على أساس أن يدفع لهم الجزية، وأن يكفوا عن الحرب فى مصر.

فأستقبله عمرو بكل لطف وقال له "لقد فعلت حسناً بمجيئك إلينا"، فإجابه كيرلس: الله وهب لكم البلد ومن الآن فصاعداً لن تكون هناك عداوة بينكم وبين الرومان، لقد كانت ولكنها لن تستمر بيننا".

وطلبوا منهم تحديد الجزية التى سيدفعونها، كما إشترط بألا يتداخل الاسماعيليون بأى وسيلة، بل يظلون منعزلون لمدة إحدى عشرة شهراً.

وأن الجنود والرومان الباقون بالاسكندرية، سيبحرون حاملين ثرواتهم ومؤناتهم. وسوف لاتعود ثانية أى قوات رومانية.

وأما عن الذين يريدون الرحيل بالطريق البرى، فسيدفعون جزية شهرين، على شرط أن يبقى المسلمون مائة وخمسون جندياً وخمسون من الأهالى كرهينة، وأن الرومان يكفون عن قتال المسلمين، ويعقدون الصلح.

وأعلن الرومان أنهم سيكفون عن قتال المسلمين. وهؤلاء بالتالى لن يستولوا على الكنائس، ولن يتدخلوا فى شئون المسيحيين، كما أنه سيسمحون لليهود بالبقاء فى الأسكندرية.

(سنرى فيما بعد أن اليونانيين غادروا مصر فى شهر سبتمبر سنة ٦٤٣م طبقاً لشروط هذه المعاهدة).

وبعد أن تمت هذه المعاهدة عاد البطريرك إلى الإسكندرية، وأخبر بها ثيؤدور والقائد كونستانتان ، ودعاهم ليخبروا الإمبراطور هيرقل بهذه الشروط وأن يمتدحوها له.

بعد ذلك – جاء رؤساء الجيش وبعض مواطنى الإسكندرية، وكذلك الشريف ثيؤدور إلى الأب البطريرك كيرلس، وقدموا له التحية والإكرام.

فعرض الأب البطريرك عليهم الصلح الذى عقده مع المسلمين، وحثهم على قبوله.

وبناء على هذا الصلح، وهذه المعاهدة، جاء المسلمون إلى الإسكندرية، لتلقى الجزية، فى حين أن شعب الإسكندرية كانوا لايزالوا يجهلون ماتم من إتفاق!

فعندما نظروا الأعداء قادمين، إستعدوا وهبوا لمقاومتهم ولكن الجيش والقواد، الذين كانوا على علم بما تم، أصروا على التمسك بالقرار المتخذ، وأعلنوا أنه من المستحيل محاربة المسلمين!

وأعلنوا أنه يجب أن يتبع الجميع رأى البطريرك كيرلس. حينئذ ثار الشعب ضد البطريرك كيرلس، وأرادوا قتله. ولكن كيرلس خاطب الثوار قائلاً: "لقد فعلت هذه التسوية لكى أنقذكم أنتم وأولادكم".

وتوسل إليهم البطريرك بدموع مظهراً ألمه الشديد، مما جعل شعب الإسكندرية يخجل، فقاموا وقدموا له ذهباً كثيراً ليسلمه للإسماعيليين، مع الجزية التى فرضت عليهم.

كذلك توسط المصريون، الذين كانوا يخشون المسلمين، وجاءوا للإحتماء فى الإسكندرية، وطلبوا من الأب البطريرك أن يحصل من المسلمين على السماح لهم بالعودة إلى محافظتهم خاضعين لهم. فتفاوض كيرلس من أجلهم بحسبما طلبوا، وكان

المسلمون قد امتلكوا كل مصر، من الجنوب إلى الشمال، وضاعفوا الضرائب إلى ثلاثة أمثالها.

وكان هيرقل الإمبراطور، قد عين أحد الرجال يدعى ميناس حاكماً للوجه البحرى، وكان رجلاً مغروراً مع أنه كان أمياً وكان يكره المصريين. وبعد إمتلاك المسلمين للبلاد، احتفظوا به فى منصبه، ولكن إختاروا رجلاً آخر يدعى شنودة كحاكم لمنطقة الريف، Rif وثالث يدعى فيلوكسينوس كحاكم للفيوم.

وكان هؤلاء الحكام الثلاثة يحبون الوثنيين ويكرهون المسيحيين، وكانوا يجبرونهم على أن يحملوا الطعام إلى الجيش الإسلامى ويلزمونهم بخيولهم وحيواناتهم، كما وان يمدونهم باللبن والعسل والفاكهة والكرات أبوشوشة، وكثير من الأشياء الأخرى، هذا بجانب المؤن العادية. وكان المصريون ينفذون هذه الأوامر، لأنهم كانوا فى فزع متواصل. ثم أجبرهم المسلمون على حفر قناة تراجان التى كانت قد هدمت منذ زمن بعيد، فيصلون المياه من بابليون إلى مصر إلى البحر الأحمر.

وكأنهم وضعوا على المصريين نيراً يحملونه، أثقل من النير الذى فرضه فرعون على اسرائيل. والذى عاقبه الله عليه بعقاب عادل، بأن دفعه إلى أمواج البحر الأحمر هو وجيشه، بعدما ضرب المصريين بضربات عديدة سواء على البشر أو على الماشية.

فليوقع الله هذا العقاب على الإسماعيليين، وأن يعمل بهم كما فعل مع فرعون القديم! فإنه بسبب خطايانا سمح الله لهم أن يعاملونا هكذا. ولكنه بطول أناته سينظر إلينا ربنا ومخلصنا يسوع المسيح وينقذنا. وأكثر من هذا فنحن ننتظر بأنه سيفنى أعداء الصليب كما هو مكتوب فى الكتاب الحق.

وبعدما إستولى عمر على مصر، وإستتب له الأمر، أرسل قوات هذه البلاد ضد سكان بنتابوليس. وبعدما إنتصر عليهم لم يدعهم يقيمون بها، فسلب من هذه البلاد

غنائم ضخمة، وأسر عدداً كبيراً من الشعب. بعدما أنسحب أبوليانوس حاكم بنتابوليس مع قواته، وعظماء الإقليم إلى مدينة تيشيرا Teuchera التى كانت محصنة بصلابة، وتحصنوا فيها. وأما المسلمون فعادوا إلى بلادهم مع الأسرى والغنائم.

(يذكر الكتّاب العرب أن أول حملة إسلامية على الأقاليم الواقعة غرب مصر كانت فى عام ٢١، ٢٢ هجرية)

وأما البطريرك كيرلس فكان حزيناً جداً بسبب ما ألم بمصر من كوارث. وحقيقة كان عمرو يعامل المصريين بلا رحمة، ولم ينفذ الإتفاقيات التى كانت قد أبرمت معه، لأنه كان من جنس البربر...

وأستبدت الأحزان بكيرلس يوم أحد الشعانين، فمرض بالدوسنتاريا ومات فى يوم خميس العهد فى الخامس والعشرين من شهر ماجابيت وهكذا تم ما تنبأ به المسيحيون عنه، أنه لايحضر عيد قيامة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح . وقد تم هذا فى عهد كونستانتان ابن هيرقل (والخامس والعشرون من شهر ماجابيت يوافق ٢أبريل ونرى أن كيرلس عاد إلى الإسكندرية فى شهر سبتمبر من العام الذى مات فيه هيرقل أى سنة ٦٤١م وكان قد احتفل بعيد القيامة سنة ٦٤٢م ومات فى ٢أبريل سنة ٦٤٣م، وفى هذا العام كان عيد القيامة فى ١٣أبريل).

وبعد موت كيرلس، قامت حرب أهلية بين الرومان بسبب أولاد الإمبراطورة مارتين، الذين أعلنوا أنه مستبعدون عن العرش، لكى يعينوا آخرين هم أبناء كونستانتان.

وكان الثوار مسنودين من فالنتان، الذى كان قد نادى بقضية عامة مع فيلانجرس، وجذب إليه كل الجيش، وإنتقل إلى كلدونيا، لأنه كان يظن ويعلن أن "قوة مارتين هى فقط فى فرقة محاربى أولادها".

ولما حصل فالنتان على موافقة كل القوات لإستدعاء فيلانجرس من المنفى، حينئذ قام هيرقل الصغير بصحبة عدد كبير من الكهنة والرهبان والمطارنة الأجلاء، وركب سفن الإمبراطورية، حيث عبر المضيق متجهاً إلى كلدونيا. وهناك جمع بقية القوات راجياً إياهم بقوله: "لاتتركوا الإيمان المسيحى فتثورون ضدى، ولكن كونوا فى سلام الله، وإلتزموا بوصية أبى هيرقل الذى قاسى كثيراً من أجل هذا البلد".

وجعلهم يعتقدون أنه سيتبنى ابن أخيه، وأنه سيشركه معه فى الإمبراطورية، وأنه سوف لايكون بينهم حرب أو دماء. وفعلاً قد حصل على الموافقة من كل النبلاء، ووعدهم بأنه سيأمر بعودة فيلاجريوس من منفاه.

وعندما تأكد فالنتان بأن كل الشعب كان معترفاً به، ويطيعونه بهدوء، ذهب مع دومنتيانوس والنبلاء الآخرون حيث توجوا كونستانتان الصغير، أحد أبناء كونستانتان بن هيرقل الكبير، بعدما رفعه هيراكليوناس من بطن مياه المعمودية. ثم إنصرف الجميع بسلام.

ولكن الثوار لم يدعوا هذا السلام يدوم، لأنه بعد وقت قليل، وبعدما أجلسوا كونستانتان على العرش، أعلنوا خصومتهم ضد الإمبراطورين، هيرقل الثانى، وكونستانتان الصغير.

فألقى الشيطان الخلاف بين هيرقل الثانى والجيش، فبدأت قوات إقليم كبادوكيا فى إرتكاب الشرور، وأطلقوا نداءً يدعون أنه موجه من مارتين وبيريس بطريرك القسطنطينية إلى داود اللوجاثيت (يبدو أنه قائد ذو رتبة فى الجيش) لكى يحثوه على القيام بحرب ضارية ضد الثوار، وأن يتزوج مارتين لكى يحرم أولاد كونستانتان (أى كونستانتان الصغير) الذى كان يحكم مع هيرقل وأخيه من الحكم.

وأثار سكان بيزنطة القلاقل والشائعات عندما علموا بما حدث، وكان يشيعون أن المتسبب فى هذه الخطة هو كوابراتوز Koubratos قائد البربر، وابن أخو

أورجانا. هذا الرجل الذى كان قد تعمد منذ طفولته، وإنضم إلى حضن المسيحية فى القسطنطينية وكان قد تربى فى القصر الإمبراطورى، وكان صديقاً حميماً لهيرقل الأول. وبعد موت هيرقل الذى كان سبب كل تقدم فى حياته، ظل مرتبطاً بأولاد هيرقل وزوجته مارتين، إعترافاً بالجميل. ومن أجل المعمودية المقدسة التى حصل عليها، فقد هزم البربر الوثنيين.

وحيث أنه كان يوالى مصالح أولاد هيرقل فكان معادياً لمصالح كونستانتان!

ونتيجة هذه الإشاعات قامت قوات بيزنطة على الشعب بثورة وعلى رأسهم ثيؤدور ابن كونستانتان (المسمى Loutalious) وكان محارباً شجاعاً كأبيه.

ولما رأى داود استعدادهم عليه قام وهرب حيث إختبأ فى قصر أرمينيا (قلعة بأرمينيا) وتبعه لوتاليوس، ولما لم يستطع أحد أن يخلصه من يده، أمر بقطع رأسه، وساروا بها فى كل بلاد الشرق. ثم ذهب (لوتاليوس) ثيؤدور إلى بيزنطة بجيش مهول، فإستولى على القصر، وقبض على مارتين وأولادها الثلاثة (هيرقل، وماران، وداود) وجردهم من التاج الإمبراطورى وقطع أنوفهم، ثم أمر بنقلهم إلى رودس. ثم عزل البطريرك بيريس بدون رأى المجلس الأعلى للكنائس حيث نفاه إلى تريبوليس المكان الذى فيه فيلاجيريوس، الذى أعادوه.

أما عن أصغر أبناء مارتين فلما خافوا أن يصبح إمبراطوراً بعدما يكبر، فقطعوا أعضاءه التناسلية، فمات هذا الطفل بسبب جرحه البالغ. وكان لها أبناء آخرين صم،بكم، فلم يسيئوا إليهم بشر لأنهم لم يكونوا صالحين للحكم.

وقاموا بإلغاء وصية هيرقل القديم، وأعلنوا أن كونستان أبن كونستانتان إمبراطوراً. ثم عينوا بولس الموجود بالقسطنطينية بطريركاً بدلاً من بيريس.

كل هذه الأحداث وغيرها، وكذلك إنفصال مصر عن الأسكندرية، تحت حكم هيرقل الإمبراطور الخلقيدونيين، ذكرت ضمن خطاب القديس ساويرس الكبير

بطريرك أنطاكية المرسل إلى النبلة في عهد الإمبراطور أنستاسيوس. والذى تنبأ فيه بمصائب الإمبراطورية الرومانية بقوله: "ولا يعتلى أى ابن عرش أبيه طالما بقيت عقيدة الخلقيدونيين الذين يقولون أن المسيح ذو طبيعتين بعدما صارت واحدة، وهو إعتقاد لايمكننا أن ننادى به، لأن عقيدتهم تقول أن الطبيعة البشرية والطبيعة الإلهية منفصلتين بعدما إتحدتا. ونحن المؤمنون الأرثوذكسيون لايمكن أن نعلمها. فلايجب أن نتكلم مثل الهراطقة.

هكذا علم غريغوريوس: نحن نفهم الله الكلمة كطبيعة واحدة من طبيعتين، لأن الله إتحد بالجسد وأصبح واحداً ولو أن الطبيعة الإلهية لم تمتزج بالطبيعة البشرية ولا الطبيعة البشرية إختلطت فى الأخرى. لكن الكلمة صار جسداً، وهو إلهاً.

أيها الإتحاد العجيب! غير المنظور ولكنه أصبح مرئياً، الخالق ولد ورأيناه، وقد أبرأنا بجراحه.

ونحن لايمكننا أن نستعفى من ترديد تعليم آباء الكنيسة المشهورين، الذين كانوا كأطباء لعلم فائق الفهم. حيث أن الرومان لايعتقدون الآن سوى فى الخلاص (آلام وصلب المسيح). أما أنا فهذا ما أعلنه عنه كمخلص... للذين يحبون أن يسمعوا الحقيقة: كما أنهم تركوا عنهم العقيدة الحقة التى نؤمن بها هكذا سيزالون عن عروشهم وسيبلغ الشقاء إلى كل مسيحى فى العالم، وستغيب عنا رحمة ووداعة ربنا يسوع المسيح!".

فى ذلك الوقت أثار قالنتان إضطرابات كثيرة، وإنتزع السلطة وأراد أن يسلب العرش. ونتيجة ذلك قام عليه سكان القسطنطينية، فترك السلطة، وقبضوا عليه فى الحال وإقتادوه إلى الإمبراطور كونستان. فأقسم أمامه بأنه لم يعمل ذلك بقصد سيء منه، لكنه كان ينوى أن يقاتل المسلمين. وبعد هذا التصريح منه، أطلق الإمبراطور

سراحه، وعينه على رأس الجيش، وقام بينه وبين الإمبراطور صلح أساسه أن يزوج إبنته للإمبراطور، والتى كانت لاتزال تعلن بصوت المنادى "نبيلة مكرسة".

وحدثت هذه الثورة من جهة فالنتان سنة ٦٤٤م، وقد إتهم فالنتان الشرير، أركاديوس رئيس أساقفة قبرص، والذى كانت حياته المقدسة والتقية معروفة لكل العالم، بأنه حليف (مارتين)، والبطريرك بيريس، وأنه معادياً لكونستان الإمبراطور الجديد.

ولما وصلت هذه الأخبار السيئة إلى الإمبراطور، أرسل جنوداً عديدة من القسطنطينية لكى يحضروا رئيس الأساقفة أركاديوس بطريقة مشينة، ولكنه كان قد بلغ أجله فتنيح مثل سائر البشر.

(هناك إثنان من رؤساء أساقفة قبرص بأسم أركاديوس والمقصود هو أولهما).

وعندما علم كيرلس بطريرك الخلقيدونيين بالإسكندرية، بهذه الأحداث حزن حزناً شديداً وهى: نفى مارتين وأولادها الذين كانوا قد أحضروه هو من المنفى، وعزل بيريس بطريرك القسطنطينية، وعودة فيلاجريوس عدوه، وموت البطريرك أركاديوس، وإنتصار قوة فالنتان.

هذه الحوادث جعلت كيرلس يبكى بلا إنقطاع لأنه كان يخشى أن يحدث له ما حدث سابقاً، وظل فى محنته حتى مات حسب قانون البشر. ولكن كان أشد ما يؤلمه أن يرى المسلمين لايلتفتون إطلاقاً، لما كان يطلبه لصالح المصريين. ولكن كان هو لا يألوا جهداً أن يضطهد المسيحيين ويقوم بأعمال الهراطقة، لذلك عاقبه الله الحاكم العادل نظير التعذيبات التى إرتكبها.

وكان المسلمون فى هذا العصر هم سادة مصر كلها، فلم يقدر الجنرال فالنتان وجيوشه أن يقدموا أية مساعدة للمصريين وأستمر سكان الاسكندرية على العكس، يقدمون الخدمات للمسلمين، وكانوا يئنون تحت ثقل الأعمال التى فرضت عليهم.

فى الوقت الذى فيه إختبأ كل أثرياء البلد فى الجزر لمدة عشرة أشهر.

ثم قام ثيؤ دور النبيل وكونستانتان قائد الجيش والجنود الباقين بصحبة الذين كانوا بين أيدى المسلمين كرهائن، وابحروا وجاءوا إلى الإسكندرية.

وحدث بعد عيد الصليب، فى العشرين من شهر هاملى، فى عيد القديس ثيؤدور الشهيد، قاموا برسامة الشماس بطرس بطريركاً، وأجلسوه على الكرسى الكهنوتى. (العشرون من شهر هاملى يقابل السادس والعشرين من يوليه وربما يتحدث الكاتب هنا على عيد الصليب والمقصود هو عيد ظهور الصليب فوق الجلجثة وتحتفل به الكنيسة اليعقوبية فى ١٩ مايو).

بعد ذلك ترك ثيؤدور مدينة الأسكندرية فى العشرين من شهر ماسكرام (٢٩سبتمبر سنة ٦٤٣م)، مع كل القوات والضباط، وتوجه إلى جزيرة قبرص، فدخل عمرو قائد المسلمين إلى مدينة الاسكندرية بدون أن يقابل أية مقاومة، فإستقبله شعبها بكل إكرام، رغم أنهم كانوا فى شقاء ومعاناة.

الفصل الواحد والعشرون بعد المائة

عاد الأنبا بينامين بطريرك المصريين إلى الأسكندرية، بعد ثلاثة عشر عاماً من هروبه من الرومان، وزار كل كنائس الاسكندرية (طبقا لكلام الأنبا ساويرس أسقف الأشمونيين، أن أنبا بنيامين ابتعد بعد إنتخاب كيرلس مباشرة أى سنة ٦٣٠م، ثم عاد إلى الأسكندرية بعدما إستدعاه عمرو، أى بعد ثلاثة عشر عاماً قضاها فى المنفى).

وكان لسان حال الجميع يقولون: أن طرد الرومان وإنتصار المسلمين حدث بسبب طغيان الإمبراطور هيرقل والمضايقات التى كان يسببها للأرثوذكسيين عن طريق البطريرك كيرلس!.

وقالوا: أنه لهذه الأسباب فشل الرومان، وأصبح المسلمون سادة مصر. وكان موقف عمرو يصير أكثر قوة يوماً بعد يوم. وأمر عمرو برفع الضرائب التى كانت مفروضة على الكنائس، ولم يأخذ شيئاً من أملاك الكنائس، كما لم يرتكب أى عمل من السلب أو النهب، بل كان يحميها خلال حكمه.

(قال الأنبا ساويرس اسقف الأشمونيين عكس ذلك، بأنه بعد الإستيلاء على الإسكندرية عام ٣٦٠م للشهداء، هدم المسلمون الأسوار، وأحرقوا معظم الكنائس، ومن بينها كنيسة القديس مرقص الإنجيلى).

وبعدما ملك عمر الأسكندرية تماماً، أمر بتجفيف قناة المدينة، كما فعل ثيؤدور الهرطوقى، وأوصل الجزية إلى ٢٢ باتر من الذهب (ربما تعبر عما يساوى ألف قطعة ذهبية شهرياً) لدرجة أن كثير من الشعب الذين كانوا يئنون من هذا الحمل وعجزوا عن الدفع، إختبئوا فى العام الذى يليه فى سنة ٦٤٤م.

وفى وقت دخول عمر إلى الأسكندرية، كان يوحنا قد عين حاكماً لها من قبل ثيؤدور النبيل، فألقى خطاباً على المسلمين حتى لايخربوا المدينة. وكان يوحنا مملوءاً عطفاً على الفقراء، وكان يعطيهم بوسع من أملاكه الخاصة، وكان يواسى الشعب ويتألم معهم فى حالتهم البائسة. وأما عمر فعزل ميناس وأستبدله بيوحنا.

(ولو أنه من الصعب قبول أن عمر سلم يوحنا وظائف الحكم تبعا لتنظيم الحاكم الرومانى القديم ثيؤدور)!

وحقيقة كان ميناس قد زاد جزية المدينة، التى كان عمرو قد حددها وهى ٢٢ ألف قطعة ذهبية، فجمع ميناس الهرطوقى أثنان وثلاثون ألف وسبعة وأربعون قطعة ذهبية، وسلمها للإسماعيليين.

وأنى لعاجز عن أن أصف مدى الحزن والأنين الذى أصاب المدينة بعد ذلك، فلقد بلغ الضيق بالسكان إلى درجة، سلموا أبناءهم فى مقابل المبالغ الضخمة التى

كان عليهم دفعها شهرياً! ولم يكن من منقذ، نعم ولقد تخلى الله عنهم وسلم المسيحيين لأيدى أعدائهم.

ولكن رحمة الهنا القوية، ستوقع الذين تسببوا فى ضيقاتنا وآلامنا فى الارتباك، وبمحبته للبشر سيجعلهم يتوبون عن خطاياهم، وقصدهم السىء، وسيغير الخطط المدبرة لمن يظلموننا. وهؤلاء الذين لم يقبلوا الملك المسيح يسوع ملك الملوك ورب الأرباب، إلهنا الحقيقى، هؤلاء العبيد الساقطين، سيهلكهم بطريقة شنيعة، كما ذكر الإنجيل المقدس "أما أعدائى هؤلاء الذين رفضوا أن أملك عليهم فهاتوهم وإذبحوهم قدامى" وعلى هذا فإن كثير من المصريين، الذين كانوا مسيحيين كاذبين، فقد أنكروا الديانة الأرثوذكسية المقدسة، والمعمودية التى تهب الحياة الأبدية، وإعتنقوا ديانة المسلمين، أعداء الله، وقبلوا هذه العقيدة... ... فقد تقاسموا الضلال مع هؤلاء الوثنيين، وحملوا السلاح ضد المسيحيين.

وبرز أحدهم ويدعى يوحنا، وهو خلقيدونى من دير سيناء، ترك عنه رداء الكهنوت، وإعتنق الإسلام، وتسلح بسيف، وقام يضطهد المسيحيين الذين ظلوا مخلصين لربنا يسوع المسيح.

الفصل الثانى والعشرون بعد المائة

والآن فلنمجد ربنا يسوع المسيح ولنرفع أسمه القدوس فى كل أوان، لأنه حفظنا نحن المسيحيون حتى هذه الساعة، من ضلال الوثنيين الأشرار والخادعين، ومن هاوية الهراطقة الخائنين فنسأله أن يحفظنا بقوته وليعضدنا بالرجاء فى وعده المقدس، لنتحمل هذه الكوارث، وليجعلنا جديرين بأن نحصل بدون خزى على ميراث ملكوته السماوى الأبدى الغير الفانى، فلنمجد أباه الصالح القدوس وروحه القدوس المعطى الحياة الأبدية أمين.

وقد أنتهى هذا العمل المبارك الذى ألفه يوحنا المؤرخ، مطران مدينة نيقيوس، لمنفعة الروح، والذى يحوى العديد من الأبحاث والأسرار المقدسة، وشرح للظواهر السمائية، التى أصابت الهراطقة، وتزعزع الأرض أحيانا بسبب عدم التقوى، حتى خربت مدينة نيقيوس الكبرى، ونزول مطر ونار من السماء، واختفاء الشمس منذ الصباح إلى المساء، وأحيانا تفيض الأنهار وتغرق مدناً بأكملها. وتارة أخرى تهدمت المنازل وهلك أعداداً كبيرة من البشر، ونزلت إلى أغوار الأرض..

وكل ذلك حدث بسبب أنهم قسموا المسيح إلى طبيعتين، بينما البعض الآخرين جعلوا منه مخلوقاً واحداً.

وقد فقد الأباطرة الرومان تيجانهم، والإسماعيليين والأتراك أصبحوا أسيادهم (تخيل المترجم الأثيوبى كما فى أيامه أن العرب والأتراك أمة واحدة منذ بدء الإسلام) لأنهم لم يتبعوا إيمان ربنا يسوع المسيح وقسموا ذلك الغير قابل للتجزئة.

وقد بُدىء بكتابة هذا الكتاب فى اليوم الثامن والعشرون من شهر هاملى وإنتهى فى اليوم الثانى والعشرون من شهر تيجمت يوم الاثنين فى الساعة السادسة، وكانت الشمس فى برج العقرب، والقمر فى برج الدلو. ودرجة دوران الشمس ١٩٥° وقمته فى ٤٢٧° وثلاثون دقيقة .

وكان طول النهار إحدى عشرة ساعة، والليل ثلاثة عشرة ساعة وكان النهار يتزايد والليل يقصر عشرون دقيقة. فى سنة ٧٥٩٤ للعالم، ١٩٤٧ للإسكندر، عام ١٥٩٤ لتجسد ربنا يسوع المسيح، فى سنة ١٣١٨ للشهداء وعام ٩٨٠ هجرية طبقاً للدورة الشمسية، ١٠١٠ للدورة القمرية، وبعد مرور نحو أربعة أعوام وسبعة شهور وثمانية أيام لإرتقاء مالاك ساجاد الثانى بن ملاك ساجاد الأول الذى نال بالعماد اسم (يعقوب) وبمرور ثمانية سنوات وثلاثة شهور وخمسة أيام على حكم الملكة (ملاك موجازا) التى أحبت الرب، وسميت بالعماد (ماريام سنا).

وقمت بترجمة هذا الكتاب بعناية كبرى من العربية إلى ghez لغة الجيز أنا العبد الفقير، وأحقر جميع الناس، مع الشماس غبريال المصرى الراهب على طقس القديس يوحنا القصير، وحسب أمر أثناسيوس قائد الجيش الأثيوبى والملكة ماريام سنا.

ونسأل الله أن يعطنا سلام الروح وصحة الجسد ولنمجد الذى وهبنا قوة لنبدأ ونختم هذا العمل، له المجد الدائم آمين.

فهرس الكتاب

كتب هذا الفهرس الأنبا يوحنا المدير وأسقف نيقيوس وقسمه فى ١٢٢ فصلاً وعنون الفصول كما يلى:

رقم الفصل	عنـــوان الفصـــل	الصفحة
مقدمة	....	٧
لفصل الأول	أسماء آدم وحواء وأولادهما، وأسماء المخلوقات	١٧
الفصل الثانى	أسماء الكواكب والشمس والقمر وعلاقتهم بالمؤلفات العبرية.	١٧
الفصل الثالث	أول من اشتغلوا بالملاحة وأول من جابوا البحار.	١٧
الفصل الرابع	أول من حفروا الخنادق، ومن تبعهم فى هذا المضمار.	١٨
الفصل الخامس	عن تأسيس بابل، ومن عبدوا صورة الحصان، وبداية صيد الحيوانات وآكلى اللحوم.	١٨
الفصل السادس	عن آكلى لحوم البشر، وقاتلى أبناءهم وعمن قتل أباه .	١٨
الفصل السابع	عمن تزوج أخته.	١٩
الفصل الثامن	عمن أسس مدينة نينوى، وأول من تزوج أمه.	١٩
الفصل التاسع	أول شخص أكتشف الذهب، وبحث عنه فى المناجم.	١٩
الفصل العاشر	أول شخص صنع أسلحة الحرب.	٢٠
الفصل الحادى عشر	أول من بنى المواقد (الأفران) ومن تزوج بأمرأتين.	٢٠
الفصل الثانى عشر	أول من أسس مدينة سميت بأسم مدينة الشمس	٢٠
الفصل الثالث عشر	من أسس المدينتين المسميتان باسم	٢١

الفصل الرابع عشر	تأسيس مدينة سمنود والبرابى	٢١
الفصل الخامس عشر	أول من أعلنوا عظمة الثالوث الأقدس الواحد من اليونانيين.	٢١
الفصل السادس عشر	كيف أدخلت زراعة الأرض فى محافظات مصر، وكيف كانت حالة مصر أصلاً.	٢١
الفصل السابع عشر	أول من مسح الأراضى، وفرض الضرائب فى مصر، وأول من أجبر السكان على إعطاء اتاوات للملك، وعن حفر القناة المسماه (Dik).	٢٢
الفصل الثامن عشر	عن ردم المستنقعات فى مصر، ومن جفف المياة حتى استطاعوا بناء المدن والقرى، إنشاء المزارع.	٢٢
الفصل التاسع عشر	من بناء الأهرامات الثلاثة فى مدينة منف.	٢٣
الفصل العشرون	أول من صنع الملابس الملونة.	٢٣
الفصل الحادى والعشرون	أول من عبد التماثيل، ومن أسس مدن: أيقونية، وترسوس، ومن أطلق اسم فارس على سوريا، وعن زرع الأشجار فى مصر، وأول من عبد الشمس والقمر والنار والماء.	٢٤
الفصل الثانى والعشرون	من جعل للقمر عبادة خاصة وأقام له مذبحاً ضمن الآلهة.	٢٥
الفصل الثالث والعشرون	من أطلق اسم ليبيا، من أسس مدينة تير وأعطى أسماء لكنعان، وسوريا، وسيسيليا.	٢٦
الفصل الرابع والعشرون	من أسس مدينة قرطجنا ومن سمى مدن أوربا.	٢٦
الفصل الخامس والعشرون	أول من صنع قيود خشبية، ووضعها فى أرجل أحد الرجال.	٢٧
الفصل السادس والعشرون	أول من عبد الأوثان وبنى هياكلها.	٢٧
الفصل السابع والعشرون	عن ملشيصادق الكاهن، وتأسيس صهيون المسماه ساليم، وتسمية اليهود بالعبرانيين	٢٧

	حروفها.	
الفصل التاسع والعشرون	ما حدث من طوفان المياة فى اتيكيو، وطول بقاء المياه بها.	٢٩
الفصل الثلاثون	عن فرعون خصم موسى، وكيف هلك مع قواته.	٢٩
الفصل الواحد والثلاثون	تغيير اسم مدينة ابشادى إلى نيقيوس، وكيف غير النهر مجراه من شرق المدينة إلى غربها.	٣١
الفصل الثانى والثلاثون	تأسيس مدينة القدس وتغيير أسمها إلى نيابوليس وبدء بناء بيت لله فى هذه المدينة.	٣٢
الفصل الثالث والثلاثون	من بدأ ممارسة إحدى الصناعات اليدوية من القدماء.	٣٢
الفصل الرابع والثلاثون	من وجد إحدى المخطوطات وقام بنشرها بين الناس، ومن إخترع التعليم وفسر بعض أشعار محفورة على لوح حجر.	٣٢
الفصل الخامس والثلاثون	الذى سن قانون الزواج مبينا أن الرجال يتزوجوا فتيات عذراوات، ومن أدخل نظام الوجبات.	٣٣
الفصل السادس والثلاثون	من بدأ من اليونانيين يعتقد أن الثالوث الأقدس اله واحد.	٣٣
الفصل السابع والثلاثون	أول من مارسوا الطب فى العالم	٣٤
الفصل الثامن والثلاثون	أول من شيدوا الحمامات فى العالم.	٣٤
الفصل التاسع والثلاثون	أول عازف على الناى وعلى آلات أخرى مثل البوق والنفير.	٣٤
الفصل الأربعون	عن إنشاء مدينة سيزيك، وإعلان الوحى وحدة الثالوث الأقدس، وأظهر للناس ميلاد الله من عذراء.	٣٥
الفصل الواحد والأربعون	أول من أنشأ محراب، وكيف تأسست كنيسة بأمر الملك قسطنطين مكانه.	٣٦
الفصل الثانى والأربعون	عن مسامير صليب ربنا يسوع المسيح، وكيف أحرز الأباطرة الانتصارات بهذه المسامير.	٣٧

الفصل الثالث والأربعون	من أعطوا أسماءهم على إقليمى أكا، ولاكوينا.	٣٧
الفصل الرابع والأربعون	من أعطوا اسم فلوفابا ثم أنشأوا عليها مدينة سميت (فلوفانسون).	٣٨
الفصل الخامس والأربعون	من أسس مدينتى سبرطة، فريجيا.	٣٨
الفصل السادس والأربعون	أول من علم العزف على الآلات الموسيقية.	٣٨
الفصل السابع والأربعون	من وهب إسمه لجزيرة أفسس، وهى آسيا وكانت تسمى أفسس وتغير أسمها إلى أيقونية.	٣٨
الفصل الثامن والأربعون		٣٨
الفصل التاسع والأربعون	كيف إستولى نبوخذ نصر على مدينة تير.	٣٩
الفصل الخمسون	من أخفى فلك نوح، ولوحى العهد، وعصا هارون التى أفرخت، قسط المن، والصخرة.	٣٩
الفصل الواحد والخمسون	عن حكم الملك كورش، والوعد الذى وعد به المسبيين من بنى اسرائيل بارجاعهم، وكيف منعهم قمبيز من بناء الهيكل وكيف ملك الاسكندر المقدونى بعد واحد واربعون يوماً.	٤٠
الفصل الثانى والخمسون	تأسيس مدينة ألبانيا.	٤٧
الفصل الثالث والخمسون	أول من شيد منزلاً كبيراً اسماه قصراً.	٤٧
الفصل الرابع والخمسون	مؤسس مدينة لافينيا.	٤٧
الفصل الخامس والخمسون	مؤسس مدينة قرطاجنة.	٤٧
الفصل السادس والخمسون	عن مؤسس مدينة روما، وكيف أطلق إسمها على الرومان جميعهم وعن إستخدام الخيول فى المعارك، وإقامة مكان لمعارك النساء، ونظام أوامر الجيش، ولماذا أقام أباؤنا الرهبان القداسات أول كل شهر.	٤٨
[illegible]	[illegible]	٥٠

والخمسون	والشراء وعن مؤسسة الحكام والقضاة.	
الفصل الثامن والخمسون	مؤسس مدينة تسالونيكى.	٥٠
الفصل التاسع والخمسون	من مؤسس المدن، الاسكندرية، كريزوبوليس وبيزنطية، والتعريف بالاسكندر وكيف أنتصر على داريوس، وأخذ ابنته أسيرة، وكيف اعتقل من الملكة كانداكة، عندما إقترب منها مع جواسيسه، ثم كيف تزوجها؟	٥١
الفصل الستون	متى ترجمت الكتب الموحاة من الله ومن فسروها؟	٥٢
الفصل الواحد والستون	من أسس مدن: انتيجوينا، وانتيوسن، واللاذقية، وأباميا.	٥٢
الفصل الثانى والستون	من أول من كتب التاريخ.	٥٢
الفصل الثالث والستون	من الذى عذب المكابين القديسين	٥٣
الفصل الرابع والستون	ما بين ميلاد يوليوس قيصر وحكم كليوبترا، وبناء الكنيسة الكبرى المسماه سيزاريون بالاسكندرية .	٥٣
الفصل الخامس والستون	من شيد قيصرية بفلسطين.	٥٤
الفصل السادس والستون	من شيد منارة الاسكندرية، وحفر قناة يصل بها ماء نهر جيجون إلى مدينة الاسكندرية العظمى، والعصر الذى ولد فيه ربنا يسوع بالجسد ولماذا جعل الرومان الشهر السادس (يولية) بداية شهورهم؟.	٥٤
الفصل السابع والستون	من جعل أحد الأيام مثل اليوم السادس فى شهر تير	٥٤
الفصل الثامن والستون	مؤسس مدينة طيبارية، فى حكم أى إمبراطور صلب ربنا يسوع المسيح؟.	٥٦
الفصل التاسع والستون	نهاية حكم نيرون المحزن.	٥٧
الفصل السبعون	الامبراطور دومتيان ونفيه للقديس يوحنا الإنجيلى ونياحة القديس يوحنا، وتأسيس مدينة دومتيوبوليس، ومقتل دومتيان	٥٧

	وإلغاء عادة المقاتلة.	
الفصل الواحد والثانى والسبعون	عن موت انياس التوفورى ومن تحملن الاستشهاد معه وبناء قلعة بابليون فى مصر ومن أعطاها هذا الاسم ومن حفر قناة تراجان، وشيد مدينة ممفيس.	٥٨-٥٩
الفصل الثالث والسبعون	من أسس أنتينودا إقليم الرق.	٦١
الفصل الرابع والسبعون	من جعل التزام الآباء بكتابة وصايا لصلح ابنائهم، ومن بنى بوابتين فى غرب وشرق الاسكندرية.	٦١
الفصل الخامس والسبعون	من أدخل الأسود فى مصر وفلسطين.	٦٢
الفصل السادس والسبعون	من أوجد نظام كتابة الحسابات والضمانات لكفالة البشر.	٦٣
الفصل السابع والسبعون	حكم دقلديانوس لمصر، وفقده عقله ونفيه، وأولاده الذين عملوا الشر، وكيف جلب الله الطاعون على الوثنيين لدرجة لم يوجد رجال يدفنون موتاهم، وحكم قسطنطين والأعمال الطيبة التى قام بها من تشييد الكنائس واكتشاف الصليب، وتأسيس مدينة القسطنطينية.	٦٣
الفصل الثامن والسبعون	إنشاء كوبرى فوق نهر ميرام، وخراب مدينة نيقية وظهور الصليب المقدس فوق الجلجثة فى وضوح النهار والآلام التى قاساها أثناسيوس الرسولى من الأريوسيين، ونفى ليبريس والأساقفة رفقائه بتحريض الأريوسيين، وعن الامبراطور يوليان الجاحد وكيف ترك رتب الكهنوت وأصبح قائداً للجيش ثم وصل أخيراً إلى العرش بدلاً من غاليوس أخيه، وكيف اضطهد القديس أثناسيوس بتحريض من الوثنيين محاولاً قتله وكيف قبلت الاسكندرية رفات يوحنا المعمدان حيث شيد له البطريرك ثاوفيلس مبنى،	٧٦

	رائع.	
الفصل التاسع والسبعون	عن البطريرك ثاوفيلس وبلده، ومولد القديس كيرلس ابن أخته.	٨١
الفصل الثمانون	عن موت الشهيد دوميس وما أنزله الله من عقاب على يوليانوس الجاحد وكيف قتل بيد القديس مرقوريوس الشهيد.	٨٣
الفصل الواحد والثمانون	إزدهار الكنيسة فى عصر جوفيان، وعوده أثناسيوس الرسولى إلى مقره بكرامة، ونمو وازدهار الايمان الارثوذكسى .	٨٧
الفصل الثانى والثمانون	عصر فالنتينان، وكراهيته للظلم وما كتبه على الأبواب الحجرية الشاهقة التى أمر الهراطقة ببنائها وكيف أغرقت الأمواج مدينة الاسكندرية وإرتفاعها بصلاة القديس اثناسيوس.	٩٠
الفصل الثالث و الرابع والثمانون	عصر ثيؤدوسيوس العظيم، وخطابه الذى ألقاه، أمام أسقف أيقونية عن وحدة الثالوث الأقدس والسلام والصلح الذى دعى اليه فى القسطنطينية وعن تيموثاوس بطريرك الاسكندرية، ومكسيموس الذى رسم بطريركا على القسطنطينية ومغادره أغريغوريوس أسقف نزبانزا لها. وبناء كنيستى ثيودوسيوس بالاسكندرية وقزمان ودميان. وأمر الامبراطور بهدم مدينة أنطاكية وحرقها والتهديد الذى بعث به أحد رهبان الاسقيط بشأن هذا الموضوع وما قاساه الامبراطور من الآلام وكيف ألغى تجارة النبيذ وأمكنه الدعارة والفساد.	٩٣-١٠٠
الفصل الخامس والثمانون	المذبحة التى ارتكبها اليهود فى أنميسار بعدما أهانو صليب ربنا يسوع بصلبهم طفلاً عليه بسخرية.	١١٣
الفصل السادس والثمانون	عن فيسكيس اليهودى الذى إدعى أنه موسى رئيس الأنبياء.	١١٤

الفصل السابع والثمانون — عن التفاحة الذى قدمت هدية للإمبراطور ثيؤدسيوس وما حدث مع أخته بوليخاريا وكيف ساد الظلام كل الأرض صباحاً ومساءاً لتولى ماركيان الهرطوقى الحكم. ١١٥

الفصل الثامن والثمانون — ما سقط من بروق ورعود وأمطار على القسطنطينية والنيران التى إمتدت على ضفتى النهر. واعتناق الفيلسوف الوثنى إيزوكاس الإيمان المسيحى الأرثوذكسى، وعن موطن البطريرك تيموثاوس وسقوط جبل فى سوريا، وما ساد القسطنطينية من وفيات بشعة، وإلحاد بازيليك وإنحرافه مع الخلقيدونيين، وكيف ثبت الامبراطور زينون سلطانه على القسطنطينية، وديونه والقضاة المهملين فى العدالة، وحكم زينون ونشره خبر حماته فى كل مكان. وما شنت ضده من حروب حتى خطفها الموت مع أعوانها. ١٢١

الفصل التاسع والثمانون — عن حكم أنسطاسيوس صديق الله بعد نبوة أبا جيرمى **Aba geremie** الراهب المتوحد بدير منوف وعن بناء الأبواب الحجرية "بالمورد" وخندق لاقامة الكوبرى الكبير الذى يربط بابل بالنهر. وعن تسمية فيلاليس وعن إنتصار البطريرك الكبير ساويرس، مرض ماكدونيوس وعن إلغاء اجتماع الأساقفة الخلقيدونيين. ١٣٣

الفصل التسعون — عن نفى ساويرس وإبعاده عن كرسيه فى انطاكية بسبب الهرطقات. وما أحدثه الامبراطور جستنيان من الأتعاب لسكان مدينة القسطنطينية، والصلاة المقدمة منهم إلى الله وعن الإنذار الذى سمعه جستنيان من الله. والنار الحارقة فى أنطاكية ومدن ١٤٨

	الضواحى، وعماد شعب لازس **Lazes** وملوك الهند والنوبيين وديانتهم السابقة. عن الزلزال الذى حدث فى مصر وعن الهنز **Hens** الخارجين، وأن الهنود والنوبيين كانوا يهوداً.	
الفصل الحادى والتسعون	كيف أننا نحن المسيحيون أخذنا تسميتنا من ثيؤدوسيس، وظهور الكنعانيين **gainailes** وعقيدتهم.	١٦٢
الفصل الثانى والتسعون	عن تأسيس مدينة روما.	١٦٣
الفصل الثالث والتسعون	عن الانقسامات التى حدثت فى القسطنطينية بخصوص الجسد المقدس الذى لسيدنا ومخلصنا يسوع المسيح.	١٦٥
الفصل الرابع والتسعون	عن أريستوماكيو ابن ثيودوسيوس وعن مدينة **Abasag** أباساى وعن الاتهام الذى حملوه ضده عند الإمبراطور الذى أوقفه وكيف أن ملك الفرس **Chosrois** آمن وأصبح مسيحياً.	١٦٦
الفصل الخامس والتسعون	عن النبيلة **Galandanh** وأسمها يعبر عن وقارها وعما ظهر لها فى السجن أثناء تعذيبها وإضطهادها.	١٧٠
الفصل السادس والتسعون	عن الذين تجمعوا فى حى بعيد عن مدينة الموصل، وعن الحيوان الذى يشبه إمرأة ظهر فى مصر.	١٧٤
الفصل السابع والتسعون	عن يولينيس الساحر الذى كان يقدم الذبائح للآلهة المزيفة باستخدام إناء من الفضة.	١٧٦
الفصل الثامن والتسعون	من الذى بدأ الكتابة بأسم ربنا يسوع المسيح.	١٨١
الفصل التاسع والتسعون	غرق مدينة **Antinoou**، وعن مدينة ترسوس عاصمة "سيلسيا" فى الليلة نفسها.	١٨٣
الفصل المائة	عن إختفاء الشمس أثناء النهار وظهور	١٨٤

	النجوم وعن الزلزال.	
الفصل المائة والواحد	عن Bourikons الحاكم الذى كان يمارس تدريبات التقوى وعن موته العنيف. وكيف طرد سكان القسطنطينية الامبراطور (موريس).	١٨٤
الفصل المائة والثانى	كيف أصبح قادة السفن أحرار بعدما فقدوا حمولتهم فى البحر وعن حكم Phocas وضحاياه المقتولين.	١٨٥
الففصل المائة والثالث	منع تعيين بطريرك أو أى رتبة كهنوتية دون موافقة Phocas كان من نتائج ما فعله الشرقيون والفلسطينيون أن المقابر إمتلأت بالدماء فى الكنائس بسبب اجتماع الناس في جرن المعمودية.	١٨٦
الفصل المائة والرابع	عن (كوفيلوس) ومدينة المورد، وعن المذبحة التى بسبب موته، نفذها فى أنطاكية وفى فلسطين.	١٨٨
الفصل المائة والخامس	عن زوجة هرقل الكبير وزوجة هرقل الصغير وعن فابيا إبنته التى كانت عذراء، وكيف انقذهم كريسب القاضى من أعوان فوكاس المعتدين.	١٨٨
الفصل المائة والسادس	الثورة التى قامت ضد فوكاس فى مصر وفى باريوط والاسكندرية وعدد الضحايا اللذين ماتو فى هذه الحوادث، ويكف ألقوا تمثال فوكاس على الأرض.	١٨٩
الفصل المائة والسابع	عن ثاوفيلس العالم، والنبوة التى قالها لنيكوستاس Nicotas وهى أنه "ستهزم فوكاس وتقضى على حكمه وحينئذ يملك هيرقل.	١٨٩
الفصل الثامن بعد المائة	عن الكوبرى الذى كان موجوداً فى مدينة دفاشير (Dofachir) القريبة من كنيسة القديس مينا.	١٩٦
الفصل التاسع بعد المائة	موت فوكاس وتشتيت ثروات القصر وما	١٩٨

	فضح زوجته وابنته.	
الفصل العاشر بعد المائة	عن ظهور الاسلام على أرض الفيوم وفشل الرومان المقيمون هناك.	٢٠١
الفصل الحادى عشر بعد المائة	مقابلة عمرو الأولى مع الرومان فى آمون"هليوبوليس".	٢٠٣
الفصل الثانى عشر بعد المائة	انسحاب اليهود الذين كانوا يخشون المسلمين وقسوة (عمرو) واستيلاؤه على ثرواتهم، إلى مدينة (منوف)، ثم هروبهم من أبواب مصر المفتوحة إلى الاسكندرية ومساعدة بعض الخونة لعمرو لتقليل عدد المصريين.	٢٠٦
الفصل الثالث عشر بعد المائة	صمود سكان سمنود أمام عمرو ورفضهم قبوله، وعودة **Kaladyi** فى صفوف الرومان، واستيلاؤهم على أمه وزوجته واخذهما فى الاسكندرية لأنه انضم إلى المسلمين وكان يدعو لتقدمهم.	٢٠٨
الفصل الرابع عشر بعد المائة	كيف استولى المسلمين على مصر والسنة الرابعة عشر للدورة القمرية واستيلائهم على قلعة بابل فى الخامسة عشر.	٢٠٩
الفصل الخامس عشر بعد المائة	عن موت الامبراطور هرقل وعودة البطريرك **Cyrus** من النفى ورحيله إلى مصر حتى يدفع الجزية للمسلمين.	٢١١
الفصل السادس عشر بعد المائة	كيف سلم الله الرومان لأيدى المسلمين، وطردهم بسبب عدم إيمانهم وهرطقتهم، وعن الاضطهاد الذى مارسوه ضد مسيحى مصر.	٢١٢
الفصل السابع عشر بعد المائة	كيف أصبح عمرو سيد إبشاتى أو نيقيوس. ومن هروب دوميتينوس القائد، وغرق جيشه فى النهر وعن المذبحة التى حدثت فى إبشادى والبلاد التابعة للعباس وجزيرته فى الثامن عشر من جمادى فى السنة الخامسة عشر للمرحلة القمرية ... **Sauna**	٢١٥

الفصل الثامن عشر بعد المائة	أصبح المسلمين سادة فى سيزاويه فى فلسطين وما تحملته المدينة قدراً لها.	٢١٦
الفصل التاسع عشر بعد المائة	ما حدث من انقلاب وضحايا كثيرة لسكان جزيرة كريت ودولتهم.	٢١٨
الفصل المائة والعشرون	عن سيروس **Cyrus** بطريرك الخلقيدونيين وذهابه بنفسه إلى بابل لمقابلة عمرو قائد المسلمين وقد أحضر الجزية بالسفن وسلمها لعمرو، وكيف زاد عمرو الجزية على المصريين- وعن موت كورين الخلقيدونى وهو يعانى تأنيب الضمير لتسليم مدينة الاسكندرية إلى أيدى المسلمين.	٢٢١
الفصل الواحد والعشرين بعد المائة	عودة الأنبا بنيامين بطريرك مصر من منفاه فى إقليم الرف **Rif** حيث مكث عشرة أعوام منفيا من الأباطرة الرومان وأربعة سنوات تحت سيادة المسلمين وما حدث من قصص ختامية للعمل	٢٣٢
الفصل الثانى والعشرون بعد المائة	ملخص الموضوع.	٢٣٤

Scanning House

سكانينج هاوس
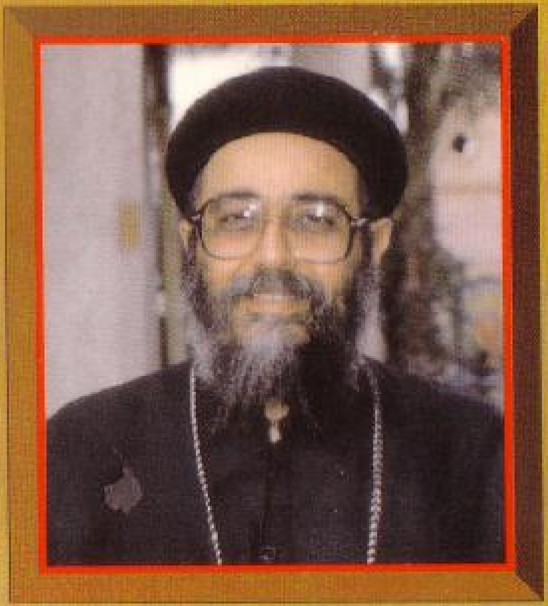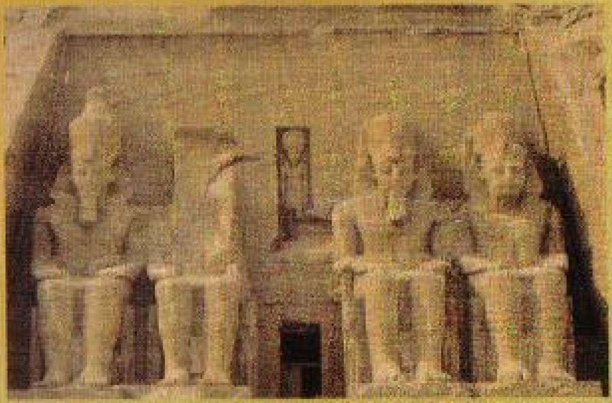
فصل ألوان إلكترونى-جمع تصويرى